الشعر العربي في المهاجر الاميركية

" رسالة رفعت الى دائرة الدروس العربية في كلية العلوم والاداب بجامعة بيروت الاميركية
لنيل شهادة استاذ الآداب والعلوم

بقلم

وديع امين ديب

بيروت – الجامعة الاميركية في ٢٥ ايار ١٩٤٥

الــــــــــى

ابي واخوتي في المهجّر والى اعمامي واخوالي والى كل مهجري كريم

المؤلف

مراجع البحث

المرجع	المؤلف	السنة	مكان النشر
مجموعة الرابطة القلمية	اعضاء الرابطة القلمية	١٩٢١	نيويورك (الولايات المتحدة)
مجلة العصبة	العصبة الاندلسية (حبيب مسعود)	١٩٣٥	سان باولو (البرازيل)
مجلة السائح	عبد المسيح حداد	١٩١٢	نيويورك
مجلة الفنون	نسيب عريضه ونظمى نسيم	١٩١٣	نيويورك
مجلة السمير	ايليا ابو ماضي	١٩٢٩	نيويورك
مجلة العالم السورى ( )	سلوم مكرزل	١٩٢٦	نيويورك
مجلة الاصلاح	الدكتور جورج صوايا	١٩٢٨	بونس ايرس (الارجنتين)
مجلة الشرق	موسى كريم	١٩٢٨	سان باولو
مجلة الجالية	سامي الراسي	١٩٢٢	سان باولو
مجلة الدليل	توفيق ضعون	١٩٢٨	سان باولو
مجلة البرازيل المصورة	جورج والياس مسره	١٩١٥	سان باولو
عدد جريدة ابي الهول التاريخي	شكرى الخورى	١٩٣٦	سان باولو
في الميزان الجديد	الدكتور محمد مندور	١٩٤٤	(مطبعة لجنة التاليف والترجمة (والنشر (مصر)
ذكرى فوزى المعلوف	عيسى اسكندر المعلوف (الجامع)	١٩٣٠	زحله (لبنان)
الغربال	مخائيل نعيمه	١٩٢٣	المطبعة العصرية (مصر)
جبران خليل جبران	مخائيل نعيمه	١٩٣٤	مطبعة لسان الحال (لبنان)
بلاغة العرب في القرن العشرين	محي الدين رضا	١٩٢٤	المطبعة الرحمانية (مصر)
فوزى المعلوف وادبه (Fawzi Ma'Luf et son Oeuvre)	الدكتور فايز عون	١٩٣٩	باريس (فرنسا)
الريحاني على ضوء نتاجه الادبي	المؤلف	١٩٤١	الجامعة الاميركية (بيروت)
قادة الادب العربي الحديث (Leaders in Contemporary Arabic Literature by Tahir Khemiri & Dr.Kampffmeyer)		١٩٣٠	القاهرة (مصر)
المختارات السائرة	انيس المقدسي	١٩٤٣	المطبعة الاميركية (بيروت)
السوريون في امريكا ــ الدكتور حتي (The Syrians in America)		١٩٢٤	نيويورك
دراسات في الادب المعاصر (H.A.R.Gibb Studies in contemporary Arabic)		١٩٢٨	لندن
يقظة العرب	G.Antonius (The Arab Awakening)	١٩٣٩	نيويورك
دائرة المعارف البريطانية	الطبعة الحادية عشرة		
المسألة الشرقية	مصطفى كامل	١٨٩٨	مطبعة الاداب (مصر)
ثورة العرب	احد اعضاء الجمعية العربية	١٩١٦	مطبعة المقطم (مصر)

العوامل الفعالة في الادب الحديث   انيس المقدسي   ١٩٣٩   مطبعة المقتطف القاهرة

الثورة العربية لامين سعيد   امين سعيد   ١٩٣٤   مطبعة الحلبي (مصر)

لبنان بعد الحرب   (اوغست اديب باشا)
(ترجمة عن الافرنسيه)
(الشيخ فريد حبيش)   ١٩١٩   مطبعة المعارف (مصر)

تاريخ للصحافة ج ٤   الفيكونت فيليب دي طرازي   ١٩٣٣   المطبعة الاميركية (ببيروت)

وعشرات المجلات والجرائد العربية في الوطن والمهجر ومن المجلات التي تصدر في الوطن الهلال والمقتطف والثقافة والامالي والمكشوف والاديب والجمهور اضف الى ذلك ما في مقدمات المؤلفات والدواوين المهجرية من دراسات وتقريظ وما في متنها من ملاحظات .

تـــوطـــــئة

لا ادعي انني قد احطت بالموضوع من جميع نواحيه . فهو ما يزال بحاجة الى الدرس والتنقيب لمن يشاء ذلك على انني تمكنت على ما اعتقد ، من رسم خطوطه الكبرى الاولية . ومن هذه الخطوط ارتسم امام عيني صورة تعكس ظلال هذا الادب والوانه . اما ان تكون الصورة فنية في اخراجها فذلك ما لا ادعيه ولعل القارئ الكريم يجد عذرا للمؤلف في الصعوبة التي يصادفها احيانا كثيره ولا سيما واذا كان الموضوع جديدا لم يدرس من قبل ، الا ما جاء من قبيل العرض الصحفي او من قبيل التقريظ الذى لا يخرج عن حد المدح والثناء سواء اخطاء الاديب او اصاب ولعل القارئ يعلم ايضا ان المصادر الاولية لهذا الدرس لم تكن موفورة تماما . فكثيرا ما كنت اجد المجلة المهجرية غير كاملة الاعداد ومنها ما خلا من اعداد سنة او سنوات من حياة المجلة . اضف الى ذلك ان بعض الدواوين المهجرية لمّا يطبع وبعضها لمّا يعرف في مكاتبنا العامه . ولذا كان علي ان اصرف قسما كبيرا من وقتي في البحث عنها في امكنة ثانية كالمكتبة اليسوعية ودار الكتب اللبنانية وما اليهما . وفي هذه المناسبه ارى لزاما علي ان اتقدم بالشكر الى كل من قام نحوى بقسط من المساعدة ضمن حدوده الممكنة فاخص بالذكر منهم الاديب مخائيل نعيمه الذى كان يتلطف فينتقل الي بعض هذه الدواوين والمصادر من مكتبته الخاصة في بسكنتا الى بيروت واذ ذاك فهو ياتي في طليعة من يتوجب لهم الشكر ومن هؤلاء الافاضل الادباء عيسى اسكندر المعلوف وامين الفريب والبر ريحاني ، ومنح الراسي فالى جميعهم اتقدم بعاطر الشكر والثناء ولا بد لي من اداء الشكر الى صديقي قدس الاب الخورى الياس نقولا الخورى الذى تكرم فارسل الى الشاعر ابي ماضي — وكلاهما في الولايات المتحدة — ان يبعث الي بديوانه الجديد — الخمائل — فارسله حضرته مصحوبا بكتاب رقيق ينم عن كرم اخلاقه ورهف احساسه . اجل قد يكون من الصعب علي ان اقوم في هذا العمل الشاق واضطلع باعبائه مع قلة المصادر وصعوبة المواصلات في ايام الحرب هذه وذلك في اثناء سنة واحدة لولا انني كنت على اتصال سابق بالادب المهجرى وادبائه ولعل القارئ يذكر ان لي في جملة مراجع هذا البحث كتابي الذى وضعته سابقا في ادب امين الريحاني . هذا عدا تلك المجموعة الشعريه التي قمت في جمعها في السنوات الاخيره من الشعر الحديث وبعد فانني ما ازال اشعر بالميل الى المضي في هذا العمل الى النهاية وارجو ان اتمكن يوما ما من الذهاب الى العالم الجديد للتحصيل العلمي اولا والاختبار ثانيا حيث يتسنى لي ان احتك بادبائنا المهجريين ، احتكاكا مباشرا فاتعرف بالجو الذى نشاءوا فيه والعوامل التي تركت اثرها في نفوسهم واذ ذاك يتاح لي ان اتعرف بهم تعرفا صحيحا وفي ذلك من الفائدة ما فيه هذا وارجو في حالة التقصير الشيء الذى يصعب تفاديه ان احظى بشيء من صفح القارئ الكريم وجل من لا يعرف الخطأ اليه سبيلا .....

المؤلـــــف

الى العالم الجديد

وتدب عناصر الانحلال في جسم الامبراطورية العثمانية فتسوء حالتها كثيرا ،وتتتابعها العلل والامراض فتعرف " برجل اوربا المريض " . (The sick men of Europ) وكان على رجال اوربا الاصحاء ان يغتنموا فرصة هذا الضعف ،ليقتسموا فيما بينهم ميراث الرجل المحتضر قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة . ثم لا تلبث الدول الطامعة ان تختلف على الغنيمة . وهنا تنشأ " المسالة (١) الشرقية " التي لم تكن سوى نزاع اليم بين الدولة العثمانية من ناحية والامم المغلوبة على امرها من ثانية . وفي جملتها دول البلقان والعرب . ويزيد المسألة تعقدا ، تدخل دول اوربا الكبرى في الامر وكل يغني على ليلاه . وهكذا تصبح المسالة الشرقية سببا في معظم المشاكل التي وقعت في العالم منذ ظهور ظهرت تركيا على المسرح الاوربي الى يومنا الحاضر . قال دبسي = " ليست حقيقة (٢) المسالة الشرقية في البحث عن الوقت الذى يتقلص فيه ظل الاتراك في اوربا ،وانما في من ذا الذى يخلفهم في القسطنطينية والسبفور والدردنيل " وبالطبع فقد لعبت روسيا دورا هاما في ذلك الصراع بالنسبة الى مركزها الجغرافي . وتضطرم في اوربا نيران الثورة الفرنسية وتنفجر براكينها فيسمع لها دوى في الخافقين .فتستفيق الامم المستعبدة من سباتها وهي تحاول ان تفتح عيونها للنور ، ولكن الليل ما يرح حالكا فتعود الى هجوعها وهي تحلم بالصباح الحبيب . ثم تتمخض تلك الثورة الخالدة عن رجل التاريخ العظيم فيولد نابليون وتولد معه مطامع فرنسا للفتوحات واذا اوربا ميدان فسيح للغازى العبقرى . وتحدثه نفسه بغزو الشرق فيغزوه . ويقال انه صرح لكاتم اسراره بوريان بعد انتصاراته اللامعة في ايطاليا قائلا = " ليس تمت امبراطوريات (٣) عظيمة الا في الشرق فكان على تركيا ان تحارب فرنسا راضية او مرغمة ،الى جانب الانكليز وروسيا ،مع انها لم تكن مقصودة (٤) بالذات،فقد كانت اول من اعترف بالجمهورية الفرنسية وكانت علاقاتها بها على غاية ما يرام . وكان نابليون يرمي من وراء غزوته الى انتزاع الهند من يد الانكليز الذين يستعصي عليه امرهم في جزيرتهم المنيعة فجاء مصر سنة ١٧٩٨ فاخذت بريطانيا بما عرف عنها من الدهاء السياسي تعمل على تحطيم اماله . فالبتطبه دول الشرق والغرب واشتركت تركيا في ذلك النضال فاختارت لحملتها رجلا البانيا اسمه محمد علي فلم تقو حملته على احتمال الصدمة الاولى . غير ان احوال اوربا السياسية حكمت على نابليون بالعودة بعد ان فقد اسطوله في معركة النيل في حربه ضد نلسن، الاميرال الانكليزى الشهير فعاد ادراجه بعد ان حمل الى الشرق شيئا من بذور الثورة الفرنسيه واذا مصر تنفخ بقبس من روح الغرب المتحفز للنهوض . ويرى محمد علي باشا في اثناء وجوده في مصر سبيلا الى تحقيق مطامحه فقام بتاسيس مملكة له . وكان عليه ان يخضع المماليك اولا فتم له ذلك سنة ١٨٠٥ ولعل نفسه حدثته بتاسيس امبراطورية عربية ولكن حلمه هذا ،تحطم على صخرة (٥) مناهضة بلمرستون .

فقد استولى في بادئ الامر على مصر والسودان وسوريا وكاد يستولي على الاستانة ، الا ان روسيا حالت دون تحقيق رغباته . وقد كوفئت على ذلك بالحصول على حق اجتياز مضيق الدردنيل ساعة تدعو الحاجة . وذلك في معاهدة خونقار اسكله سي (٦) سنة ١٨٣٣ . وتتنبه الدول الغربيه لخطر هذه المعاهدة ويحترق بلمرستون بابطاله في التدخل وتقديم المساعدة الفعاله للباب العالي واخيرا يتجه الاسطول البريطاني الى مياه الشرق الادنى فيستولي على عكا ويخشى محمد علي باشا مغبة الامر فيعقد معاهدة سنة ١٨٤١ ويقتصر نفوذه على مصر فقط مع الاعتراف بسيادة السلطان الذى ضمنت سلامته اذ ذاك الدول اوربا العظمى . وهكذا يوضع رجل اوربا المريض تحت وصاية الطامعين في ملكه . وهنا تبدأ المشكلة الكبرى فتتشابك المصالح الاجنبية وتدس الدسائس الكبيرة ويطيل الاختلاف من اجل الاحتضار . وتستمر الحالة في اضطراب وقلق الى ان جاء يوم فيه فكرت روسيا بمهاجمة تركيا على غير ما سبق سابق انذار . فزحفت جيوشها الى الفلاخ سنة ١٨٥٣ فانذرتها زميلاتها بالرجوع فابت فشهرت انكلترا الحرب عليها وايدتها في ذلك فرنسا فكانت حرب القرم سنة ١٨٥٤ ولم يكن امام روسيا حينذاك الا النكوص على اعقابها امام وعيد الانكليز والفرنسيين والنمساويين وبسالة الاتراك فكانت معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وفيها ايضا ضمنت سلامة الدولة العثمانية والغي حق الروس في حماية ولاية الدانوب والصرب والاعتراف بحياد البحر الاسود . وتعهدت الدول الاوربية في الوقت نفسه على ان لا تتدخل في شؤون تركيا بعد ان طلب اليها تحسين معاملتها مع رعاياها

---

(١) دائرة المعارف البريطانيه ص ٨٣١ مج ٨ طبعة ١١ وقد عرف هذا الاصطلاح السياسي منذ ايام مؤتمر فرونا سنة ١٨٢٢ ويعنى به ايضا المشكلة القائمه بين الشرق والغرب منذ فجر التاريخ (٢) المسالة الشرقية ص ٦ (٣) ثورة العرب ص ٤ (٤) دائرة المعارف البريطانية مج ٢٧ طبعة ١١ ص ٤٥٤ (٥) The Arab Awakening) يقظة العرب ص ٢٣ (٦) المسالة الشرقية ص ٧١ .

النصارى . ففعلت باصدار ذلك " الخطي الهمايوني " (١) المعروف وفيه ساوت بين جميع الطوائف من حيث دفع الضرائب ومنح الامتيازات الخ . وربما كان ذلك تجنبا لادعاء روسيا وغيرها بحق حماية الاقليات المسيحية والاشراف على امورها الخاصة . غير ان الجهل كان ما يزال مخيما فوق السلطنه العثمانية من اقصاها الى اقصاها . وكان التعصب الديني على اشده . فرأى الاجانب فرصة سانحة للصيد في هذا الماء العكر . ويبلغ التعصب ذروته في حادثة سنة ١٨٦٠ فكانت تلك المجزرة الاليمة التي ذبح فيها الكثيرون من مسيحي دمشق ولبنان . وازداد الكره بين الطوائف الى حد بعيد واذ ذاك ينهض بطرس البستاني الشهير فيؤسس جريدة نفير سوريا (The clarion of Syria) وهي اول جريدة سياسية ظهرت في البلاد . وفيها دعا الى نبذ التعصب الذميم الذى لا ينشأ الا في مستنقعات الجهل والغباوة . وبعدها بثلاث سنوات يؤسس مدرسة وطنية تفتح ابوابها لجميع الطلاب على اختلاف مذاهبهم ونحلهم . وكان الشيخ ناصيف اليازجي استاذ اللغة العربية فيها . وعلى اثر تلك المذبحة ارسلت فرنسا جيشا الى لبنان لقمع الفتن واعادة النظام ومنذ ذلك الحين

.../...

يصبح لبنان مستقلا عن الدولة العثمانية ، في تصريف اموره الداخلية وتكفل حمايته بعض الدول الكبرى في الغرب . وفي سنة ١٨٦١ توفي السلطان عبد المجيد وبموته زال كل امل بالاصلاح فخلفه اخوه عبد العزيز وكان جاهلا مستبدا وهو الذى جرّ الدولة الى غير الافلاس والفقر . جاء في كتاب مارى ملز باتيوبك ما يلي = " كان السلطان عبد العزيز يلف بغاوى النساء (٣) وكان له منهن تسعماية امرأة يحرسهن ثلاثمايه من الخصيان " ؛ اما الناس — (٤) العدو الاكبر من الامة — اولئك الذين يدفعون الخراج ويأكلون الكرباج ثم يحملون السلاح للجهاد — فدعهم يعيشون في جهلهم واوساخهم وامراضهم وشقائهم المستمر —

وفي سنة ١٨٧٦ خلع السلطان عبد العزيز ثم بعد حين وجد ميتا ولم يعرف سبب موته فيتبوأ عرش المملكة السلطان عبد الحميد والفتن ما تزال تضطرم في انحاء السلطنة وفي هذه السنة تنهض بلغاريا لرفع النير التركي وتلاقي الموأزرة من روسيا التي اعلنت الحرب على الاتراك سنة ١٨٧٧ ثم كانت معاهدة (٥) برلين سنة ١٨٧٨ وفيها اعترف باستقلال الصرب والجبل الاسود ورومانيا وقسم من بلغاريا وفيها استولت بريطانيا على جزيرة قبرص لقاء مساعدتها للدولة العثمانية وسلخت روسيا اردهان وباطوم . وتعهدت تركيا ايضا بدفع ثلاثة ملايين روبله للقيصر كتعويضات حربية . وبهب بعض احرار العثمانيين من اتراك وعرب وسواهم ممن يغارون على مصلحة الدولة العثمانية لدرء هذا الفساد فلا يفلحون .

" فقد كان في الشرق العربي (٦) احرار يهاجمون الفساد ويحملون على السياسة الغاشمة التي كانت تدفع بالبلاد الى هوة الانحطاط وابرز ما نرى ذلك في عهد مدحت باشا ابي الاحرار العثمانيين" فانه لما تولى ولاية سوريا ظهر في بيروت حركة ادبية ترمي الى احياء الشعور القومي وقد اهتمت حكومة الاستانة بهذه البوادر الثورية واخذت تسعى لمعرفة اصحابها فلم تفز بطائل . واقتضت السياسة نقل مدحت سنة ١٨٨٠ الى ازمير ثم محاكمته بتهمة قتل السلطان عبد العزيز فتخلص عبد الحميد منه وبوقت قصير استطاع ان يبطش برجال الحرية والدستور وان يرجع بالبلاد الى عهد الاستبداد المطلق .

والظاهر ان مدحت باشا لم ينهض للاصلاح الا بعد ان بلغ السيل الزبى وفي ذلك يقول الاستاذ احمد امين في حديثه عنه على صفحات " ثقافية " (٧) . " جاء مدحت باشا الى الوجود والدنيا مدبرة عن الدولة العثمانية وحكمة الجزر تلي حركة المد و حكام في كل ولاية يحكمون البلاد بعقول ضيقة وشهوات واسعة . فخفخة في المظهر وسخف في المخبر لا يتقيدهم قانون ولا يردعهم عدل ولا يرون للشعب حقا الا ان تومر فتطيع وتنهب فتصبر بل لا يكفيهم الصبر على المصيبة وانما يتطلبون المدح والثناء عليهم في ظلمهم وطريقة حكمهم . فمن امتعض من ذلك فهو ثائر ومن شكا فهو كافر فاورث ذلك الهجرة عند من احتفظ بابائه . والذل والهوان عند من لصق بارضه . لا عناية بصحة ولا تعليم . فالامراض فاشية والجهل عميم والمسلمون في ذلك اسوأ حالا من المسيحيين . "

. . . / . . .

يستنتج مما تقدم ان الناس كانوا سواء امام ظلم عبدالحميد فلم يرحم مسلما ولم يراع حرمة مسيحي . وكان له من الجواسيس جيش جرار فامتلأت البلاد بالعيون فما سلمت دار امنه او جماعه هادئه . وغصت السجون بالناس من سائر الاجناس وابتلعت الحيتان في مياه البسفور ما شاءت من لحوم البشر الابرياء . فلم يكن امام العرب والشعوب المحكومة الا ان توضع للذل او تفزع الى السيف لعلها .

---

(١) يقظة العرب ص ٥٧ (٢) يقظة العرب ص ٤٩ (٣) سلاطين بني عثمان الخمسة ص ٣٤ (٤) النكبات ص ٥١ (٥) دائرة المعارف البريطانية مج ٢٧ طبعة ١١ ص ٤٦٣ (٦) العوامل الفعالة في الادب الحديث ص ١٠ (٧) مجلة الثقافة عدد ٢٥٩ ص ٤ السنة ٥

تجد لها مخرجا . ثم يحدث الاحتلال الانكليزي في مصر سنة ١٨٨٢ فتصبح مستقلة في الكثير من شؤونها ويجد العرق الاحرار فيها ملجأ يلجأون اليه فاخذ السوريون واللبنانيون بالنزوح اليها وهناك اسسوا وعاضدوا النوادي العلميه والادبية وانشأوا المجلات والجرائد ، الامور التي مهّد لها الطريق محمد علي باشا وابناؤه من بعده في مشاريعهم الاصلاحية . وكان لاستقلال لبنان في سنة ١٨٦١ اثر بعيد في نهضة العرب وانبثاق الوعي القومي والعمل الادبي . لا سيما بعد ان اصبح ميدانا للارساليات التبشيرية التي كان من اثارها تاسيس (١) المدارس الابتدائيه والثانوية ثم قيام الجامعتين الاميركيه واليسوعية في بيروت اضف الى ذلك عامل الهجرة الى العالم الجديد . فقد اخذ اللبنانيون بعد حوادث سنة ١٨٦٠ يوجهون انظارهم نحو الغرب وهناك قدر لهم ان يحتكوا بمدنيات حديثة مبنية على اساس من العلم والفن . كل هذه العوامل من الثورة الفرنسيه الى الاصلاح الذي قام به محمد علي باشا الى هجرة اللبنانيين والسوريين الى الثورات التي انبثقت في البلقان اقول كل هذه الامور مجتمعة حركت في نفوس العرب الميل الى التخلص من العسف التركي . ولعل اول فكرة استقلاليه محضة نشأت تحت سقف هذه الجامعه الاميركية فقد اسست في هذه البناية أول جمعية سرية لتحرير الوطن العربي . ومن هولاء المؤسسين (٢) اذكر السيد حسن بيهم الشيخ ابراهيم اليازجي والسيد فارس نمر . وقد طلب الى احد اعضائها العاملين الشيخ ابراهيم اليازجي نظم قصيدة حماسية في مساوىء الاتراك ففعل فكانت القصيدة السينية التي يشير اليها الاستاذ المقدسي في كتاب العوامل الفعالة في الادب الحديث ، والتي من ابياتها =

فالترك قوم لا يفوز لديهم الا المشاكس
فاستوقدوا لقتالهم نارا تروع كل قابس .

وكان لنشر تلك القصائد صدى عميق في نفوس الاتراك فاهتمت حكومة الاستانه للامر وارسلت اشعارا بالقاء القبض على كل من يشتبه به ويقول سركيس (٣) ان الحكومة زجت اناسا كثيرين في السجون وما ان تسربت افكار الاستقلال العربي ، الثورة على الاتراك الى النفوس حتى تنكر العثمانيون للعرب واخذوا يعملون لقتل الثورة في مهدها . وقد بالغت الحكومة الاتحادية في هذا كله فكمت افواه الاحرار من العرب والاصلاحيين منهم وبالغت في اهانتهم واحتقارهم . ثم اخذ

. . . / . . .

الاتحاديون يسمون بكل قواهم الى " تتريك" الشعوب العثمانيه وكان اعظم الكتب خطرا في المناطة بهذه الدعوة كتاب " قوم جديد "(٤) قال عبدالله من خطبة القاها في جامع ابا صوفيا ونشرت في الكتاب المذكور = " ما هذا الجهل وما هذه الغفلة التي استولت عليكم تعلقون اسماء خلفاء العرب على جدران جوامعكم (امثال ابي بكر وعمر وعثمان) ولا تذكرون احدا من الخلفاء العثمانيين الذين قدستهم الاحاديث النبوية الكثيرة . "

ثم كانت الحرب الكبرى فدخل الاتراك الى جانب حلفائهم الالمان مرغمين أو راضين ، فخشي رجال الدولة من ثورة تحدث فبثوا العيون الكثيرة واخذوا يطاردون الاحرار من بلد الى اخر. فكان نصيب سوريا من ولاة الاتراك السفاح جمال باشا وقد تظاهر(٥) في اول عهده بكرهه للاتحاديين وبميله الى العرب حتى اطمانوا اليه فاذا به بميط اللثام عن وحش شرس في جلد حمل وديع . واذا احرار العرب بين شهيد وطريد ،

على كل عود صاحب وخليل   وفي كل بيت رنة وعويل . (٦)

وكان هناك جمعيات سياسية عربية تعمل في السر والعلانية على الانفصال يشد ازرها في ذلك بعض الدول الاوربية المعادية " فلما اشتعلت نيران الحرب العامة والغيت الامتيازات الاجنبية اسرعت الدولة الى تفتيش (٧) القنصليات المعادية فوقع في يديها بعض الوثائق السرية واذ ذاك تمكنت من اكتشاف اسرار الجمعيات العربية فقبضت على فئة من كبار الزعماء وفر الباقي منهم الى اوربا ومصر . ومن هولاء من استطاع ان يفر الى اميركا بعدئذ .

وهنا يجدربنا ان نقف قليلا لنوجه النظر الى العالم الجديد حيثما اخذ اللبنانيون والسوريون يقبمون لانفسهم وطنا جديدا . ولهذه الهجرة اسباب كثيرة ولعل من اسبابها المباشرة عامل الفقر الناجم عن التضيق الاقتصادى الذى فرضته الدولة العليه على لبنان كما يذكر اوغست اديب باشا في كتابه (لبنان بعد الحرب) (٨) " فالسبب الاول في مهاجرة الالوف من اللبنانيين انما هو ذلك القانون الاساسي الذى وضع سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ فان اشد ضرر جلبه على لبنان هو حصره ذلك الجبل في حدوده الحالية ولولاه ما كنا راينا ذلك المشهد المؤلم مشهد اناس في ضنك شديد من العيش يرمون من اعالي صخورهم نظرات الياس الى ما عند سفح جبلهم من السهول الواسعة الخصبة التي يقصيهم عنها اختلال الامن واستبداد الحكام .

---

(١) يقظة العرب ص٤٣ (٢) من محاضرة للدكتور رستم في صف التاريخ (٣) سر مليكه ص ٦٣ (٤) ثورة العرب ص ١٤٧ (٥) ثورة العرب ص ١٦٢ (٦) العوامل الفعالة في الادب الحديث ص ٨٦ (٧) الثورة العربية لامين سعيد ج ١ ص ٦٦ (٨) لبنان بعد الحرب ص ١٠٥ .

... / ...

(١)
ومن هذا القبيل ما ذكره الدكتور فيليب حتي من ان العوامل الاولية للنزوح عن الوطن كانت العوامل الاقتصادية . ويذكر ان الهجرة بدأت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر وان اول لبناني دخل الولايات المتحدة هو انطونيوس البشعلاني الذى نزل في بوسطن سنة ١٨٥٤ وجاء في تاريخ حتي ايضا ان اول عائلة سورية دخلت الولايات المتحدة هي عائلة جوزف عربيلي من الشام وذلك سنة ١٨٧٨ ثم ياخذ الزحليون بالهجرة اولا وتمتد هذه الحركة الى باقي المدن والقرى اللبنانيه . ويذكر في الصفحة الثامنة والخمسين من الكتاب نفسه انه في "خلال احدى عشرة سنة (١٨٩٩ — ١٩١٠) بلغ عدد المهاجرين نحو ستين الفا . وجاء في عدد جريدة ابي الهول التاريخي الذى اصدرته ادارة ابي الهول تذكارا لمرور خمسين عاما على الهجرة اللبنانيه الى تلك الديار ما يلي = " اول (٢) مهاجر وطئت قدماه أرض البرازيل هو يوسف مزباره وقد توفي منذ ثلاث سنوات وكان سفره من البرتغال الى الريو على مركب شراعي وذلك سنة ١٨٨٠ وكيف كان الحال فقد اخذت الهجرة بالازدياد والتوسع مع مرور الزمن كما اخذت اسباب العيش بالنمو والازدهار . وقد لفت نظرى في عدد ابي الهول التاريخي هذا صورة رمزية على غلاف العدد من الخارج ترمز الى الحالة التي كان عليها المهاجرون عند بدء هجرتهم والى الحالة التي توصلوا اليها بعد حين ففي الشطر الاول منها صور بغال وعكارين من بياعي " الكشة " وفي الشطر الثاني صور مختلفة لمظاهر المدنية الراقيه وقد كتب تحت الصورة ما يلي = —

" ينبئك الرسم المتقدم عن الحالة التي كنا فيها في بدء هجرتنا كما ينبئك عن الحالة التي وصلنا اليها بعد مرور ٥٤ سنة على هجرتنا الى هذه البلاد العزيزة ، انتقلنا من بيع السلع الحقيرة والايقونات والمسابح وحمل الاثقال وتسيير القوافل وتجشم الاسفار والنوم في الخلاء الى السعة في العيش فشيدنا المنازل وبنينا المخازن فاصبحنا بعد هذا التطور السريع نملك في سانبولو وحدها ما يقارب الاربعة الاف بيتا وفي عاصمة الاتحاد ما يقارب ذلك . ومنذ عشرين سنة اقتحمنا الزراعة فاقتنينا من مزارع البن ما توازى مساحته اضعاف (٣) اضعاف الجمهورية اللبنانية . " ويقول الدكتور مجيد خدورى في مجلة المعلم الجديد البغداديه حزيران سنة ١٩٣٩ ص ١٤٢٥ " وربما كانت معامل ياقت اخوان للاقمشه القطنيه اكبر معامل في اميركا الجنوبيه " فهل رأيت فتحا اوسع من هذا الفتح وهمة ابعد من هذه الهمة . الا يذكرك هذا بالفتح الفينيقي فالعربي بل الا يذكرك هذا بقول شاعر النيل حافظ ابراهيم عندما يقول =

ما عابهم انهم في الارض قد نثروا — فالشهب منثورة مذ كانت الشهب

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا — الى المجرة ركبا صاعدا ركبوا

وحديثا عاد النائب الكريم السيد وديع الاشقر من زيارته البرازيل فادلى بحديث الى مندوب "الصفاء" جاء فيه =" ان اخواننا (٤) في البرازيل وعددهم ١٧٠ الفا اصابوا نجاحا كبيرا في التجارة والزراعة ، وانهم يكادون يحتكرون الصناعة في مدينة سانبولو اهم المدن الصناعية في اميركا اللاتينيه . على ان هذا الازدهار في التجارة والصناعة والزراعة لم ينعم الوطن الغالي وطن الاباء والاجداد ولكن ما العمل وهم لم يهجروه الا مرغمين .

(٥)

شردت اهلك النوائب في الارض م وكانوا كانجم الجوزاء

واذا المرء ضاق بالعيش ذرعا ركب الموت في سبيل البقاء

ارض ابائنا عليك سلام وسقى الله انفس الاباء

ما هجرناك ال هجرناك طوعا لا تظنى العقوق في الابناء

وبقول رشيد ايوب —

الا لا ارانا الله عود الدولة (٦) تكون لها اسرى وأموالنا نهبى

السنا الالى عافو الحياة بظلها وجابوا بلاد الله واستوطنوا الغربا

ومثله فوزى المعلوف —

قسما باهلي (٧) لم افارق عن رضى اهلي وهم ذخرى وركن عمادى

لكن انفت بان اعيش بموطني عبدا وكنت به من الاسياد

وقال عقل الجر —

حن للارز (٨) بعد شط مزاره وصبا للشام في تذكاره

بلبل من مخمائل الشرق م اقصته الرياح الهوجاء عن اوكاره .

---

(١) السوريون في امبركا ص٤٨ (٢) عدد ابو الهول التاريخي ص ٣ السنة الثامنة والعشرون سنة ١٩٣٦ ت ١ (٣) عدد ابي الهول التاريخي ص ٢ (٤) مجلة المكشوف السنة العاشرة عدد ٣٨٢ ص ١ (٥) ديوان ابي ماضي ج ٢ ص ٦٣ (٦) الايوبيات ص٤٠ (٧) ذكرى فوزى المعلوف ص٣٠ (٨) مجلة الشرق العددان ١١ و ١٢ السنة ٤ ص ٤ .

وبمثل هذه اللهجة يحدثنا الشعراء الباقون امثال القروى وفرحات وشكرالله الجر وعريضه . ولعلنا عائدون الى هذه النزعة في حديث اخر يقتضيه سياق البحث وابة القول فقد استطاع السوريون واللبنانيون المهاجرون ،بما وهب لهم الله من الاستعداد العقلي ،ان يجاروا ارقى الشعوب حضارة وعلما ،في كل ميدان من ميادين الفكر والعمل . ولعل الاندلس في عصورها الذهبية وهي التي حولها العرب الى بلد عربي ،لم تشاهد نهضة ادبية كالتي قام بها احفادهم في الاندلس الجديدة . وكما ان الاندلس الاسبانية تدين في ازدهارها الادبي الى دولة بني امية السورية المنشأ ،هكذا تدين الاندلس الامريكية في ازدهارها الادبي الى احفاد اولئك الابطال الميامين . فقد عرف لهم العالم الجديد من النوادى السياسية والدينية والاجتماعية والادبية شيئا كثيرا . وانني لمكتف هنا بذكر جمعيتين ادبيتين ،نشأت احداهما في امريكا الشمالية والثانية في امريكا الجنوبية ،اقول اكتفي بذكرهما و لما كان لهما من اثر في الادب المهجرى الذى نحن في صدده . وهما جمعيتا الرابطه القلمية والعصبة الاندلسيه = واعضاء الرابطة (١) هم = جبران خليل جبران مخائيل نعيمه ،ه ايليا ابو ماضي ،نسيب عريضه ،رشيد ايوب ،وليم كاتسفليس ،عبد المسيح حداد ،ندره حداد ،وديع باحوط ،الياس عطالله .

اما اعضاء العصبة (٢) فهم = ميشال معلوف ،رشيد الخورى ،نظير زيتون ،جورج معلوف ،توفيق قربان ،اسكندر كرباج ،الياس فرحات ،عقل الجر ،حبيب مسعود ،انيس الراسي ،جرجس كرم و

. . . / . . .

نجيب يعقوب ، شفيق المعلوف ، توفيق ضعون ، قيصر الخوري ، نصر سمعان ، نعمه قازان ،
انطون سعد حسني غراب . ولا يعني هذا ان ادباء المهجر ليسوا سوى هذه الفئة التي ذكرت
اسماؤها في سلك الجمعيتين المشار اليهما بل قد تجد بينهم من ليس باديب ولا بشاعر وانما هو
من الغاوين او المناصرين ولعل الرابطة كانت احرص على اختيار اعضائها من العصبة . وكيف
كان الحال ، فهناك شعراء وادباء لم ترد اسماؤهم وبينهم الكاتب الكبير والشاعر اللامع ومنهم امين
الريحاني ، فوزي المعلوف ، امين مشرق ، شكرالله الجر الياس قنصل ، سعيد البازجي و جورج صيدح
وهناك طائفة اخرى من الادباء والشعراء امثال محبوب الشرتوني ، زكي قنصل ، مسعود سماحه نخلة ورد
جبران ، يوسف البعيني ، سليم نادر ، احمد نجم ، جبلين سعاده جورج صوايا ، اسعد رستم ميشال عزّاب
الدكتور ورثي الحداد ، الياس صباغ ، جورج كنودي ، موسى الحداد ، قيصر المعلوف ، يوسف غانم ، خليل
النبوت ، يوسف طعمه ، جورج عساف ، الامير امين ارسلان ، الارشمندريت انطونيوس بشير ، راف متراج رشيد
عطية هذا ومن شاء فليرجع الى عدد جريدة (٣) ابي الهول التاريخي حيث يجد لائحة طويلة باسماء
الادباء والشعراء الذين ترعرعوا وعملوا تحت سماء امريكا الجنوبية وفي جملتهم شعراء (٤) المعنى
والزجل ومن شاء ان يتصوف بادباء امريكا الشمالية فعليه ان يرجع الى فهارس مجلاتها الادبية
كمجلة الرابطة القلمية والفنون والسائح والسمير والعالم السوري التي تصدر باللغة الانكليزية
(The Syrian World) وليست العبرة في ورود الالقاب والاسماء . هذا وقد
عرفت من اديبات المهجر وشاعراته السر مكرزل و كاتي زريق ، سعيد عطية ، ماري الخوري ، لبيبه حنا ،
نجلا صعبي ، سعدى حداد ، مريانا صوايا .

وهناك ادباء نظموا ونثروا ما شاؤا في اللغات الاجنبية اعرف منهم بالاضافة الى الريحاني
وجبران ونعيمه الادباء فريد ابو شديد ، اسعد بيطار ، سليمان جريج ، رياض المعلوف ، فريد غريب ،
سليم الخازن ، ولم كاتسفليس ، الدكتور حتي ، الفرد معوّر حسن صبحي ، امين بدر ، الدكتور حبيب
كاتبة ، نجيب كاتبة ، الدكتور بشاره ، سلوم مكرزل ، الدكتور شكاره ، بولس دياب ، جورج كتيسي ، سركيس غنام
والدكتور منصور الحداد
مع العلم ان الكثيرين ممن ذكروا لم يكونوا ادباء بالمعنى الفني الصحيح ، ومع ذلك فقد ساهموا في
قيام طائلة النهضة الادبية المباركة التي اكثر ما تتجلى في نتاجهم الادبي والصحافي . على ان بعض
الصحف العربية المهجرية كانت تنشأ لغاية وقتية كأن تهاجم حزبا من الاحزاب او فردا من الافراد
لجر مغنم ما ، ثم لا تلبث ان تموت كما يذكر الفيكونت فيليب دي طرازي في مؤلفه تاريخ الصحافة
الشيء الذي نبهني اليه يوم كنت ازوره للوقوف على بعض الجرائد والمجلات وقد ايد هذه الرواية
الكثيرون من ادباء المهجر العائدين المقيمين في الوطن ، ممن كنت على اتصال دائم معهم امثال
امين الغريب ، مخائيل نعيمه ، البرت ريحاني ولبيب الرياشي .

هذا وقد يأخذك العجب اذا علمت انه انشأ واسس في الولايات المتحدة تسع (٥) وسبعون
جريدة ومجلة ، وفي كندا ست منها ، وفي المكسيك سبع عشرة ، وفي البرازيل خمس وتسعون ، وفي
كوبا ثلاث وفي الارجنتين ثمان وخمسون ، وفي تشيلي ثمان ، وفي ارغواي واحدة . وهناك جرائد
ومجلات اخرى اسست بعد (٦) وعن صدور تاريخ الصحافة المشار اليه . وبين تلك عدد ليس بقليل
كان يصدر في اللغات الاجنبية كمجلة العالم السوري ومجلات اخرى ("The Syrian World"

لصاحبها سلوم مكرزل وجريدة فوليا دامنيا التي تصدر باللغتين البرازلية والعربية والجريدة السورية اللبنانية لصاحبها موسى عزيزى تصدر باللغتين العربية والاسبانية وجريدة حويودو " الاتحاد " تصدرها الجمعية الوطنية الاشورية وكانت تطبع بالسريانية والعربية والانكليزية وبعد فان دلت هذه الجداول الضخمة (٥) على شيء فانما تدل على ان وطنا عربيا انيم لنا في العالم الجديد وان اندلس جديده قد اشرقت من حيث غربت شمس الشرق وهي عائدة لا محاله طالما الارض في دورانها والفصول تغدو وتجيء.

———

(١) مجموعة الرابطة القلمية سنة ١٩٢١ ص ٣١٦ (٢) مجلة العصبة سنة اولى عدد ٨ ص٧٦٣

(٣) عدد ابي الهول التاريخي ص ٦٥ (٤) جاء في عدد ابي الهول التاريخي ما يلي =

اول جريدة نشطت اولاد الذكاء شعراء العامة بنشر منظوماتهم كانت هذه /الهو/ الجريده وقد ورد اسم ابي امين ديب مسعود في جملة الاسماء (٥) هنا جدول تاريخي لا شهر الجرائد والمجلات المهجرية نقلا عن كتاب تاريخ الصحافة (لطرازى) مع العلم ان هناك جرائد ومجلات ثانية نشات بعد صدوره . من اشهرها مجلة العصبة (اميركا الجنوبية) ~~لصاحبها~~ لصاحبها حبيب مسعود وهي في طليعة المجلات المهجرية .

بعض جرائد ومجلات لميركا الشمالية

كوكب اميركا	الدكتور ابراهيم ونجيب عربيلي	١٨٩٢
الايام	يوسف المعلوف	١٨٩٧
الهدى	نعوم مكرزل	١٨٩٨
مرآة الغرب	نجيب دياب	١٨٩٩
مرآة الدائرة	عيسى الخورى	١٩٠٠
جراب الكروى	انطون زريق	١٩٠٢
المهاجر	امين الغريب	١٩٠٣
الدليل	اسعد ملكي ونجيب بدران	١٩٠٤
صوت المكسيك	سعيد فاضل عقل	١٩٠٨
سوريا الجديده	ـ الدكتور نسيم الخورى	١٩١٠
الصاعقة	يوسف مسلم	١٩١٠
العالم الجديد	ـ سلوم مكرزل	١٩١٠
البيان	سليمان بدور وعباس ابو شقرا	١٩١١
السائح	عبد المسيح حداد	١٩١٢
العالم الجديد النسائي	ـ عفيفة كرم	١٩١٢
الفنون	نسيب عريضه ونظمي نسيم	١٩١٣
النسر	نجيب بدران	١٩١٤
الحياة	حنا المندى	١٩١٥

بعض جرائد ومجلات اميركا الجنوبية

الرقيب	اسعد خالد ونعوم لبكي	١٨٩٦
العدل	شكرى انطون	١٩٠١
الرموز	رشيد الخورى	١٩٠٢
السلام	وديع شمعون	١٩٠٢
الافكار	الدكتور سعيد ابو جمره	١٩٠٣
الزمان	مخائيل السمرا	١٩٠٥
ابو الهول	شكرى الخورى	١٩٠٦
البريد	يوسف ظاهر	١٩٠٩
الجالية	جورج مسره	١٩١٠
الجديد	نجيب طراد وفارس نجم	١٩١١
الحمراء	الياس طعمه	١٩١٣
القلم الحديدى	ـ جورج حداد	١٩١٣
اميركا	اسكندر شاهين	١٩١٣
البرازيل	جورج مسره	١٩١٥
ارزة لبنان	يوسف الحتي	١٩١٦
العاصمة	منير اللبابيدى	١٩١٩
لبنان الكبير	ـ يوسف ناصيف	١٩٢٠
الجريدة	الدكتور خليل سعاده	١٩٢٠

بعض جرائد ومجلات اميركا الشمالية

الحرية	نسيب وهبه	١٩٢١
الرفيق	محبوب الشرتوني	١٩٢٥
السمير	ايليا ابو ماضي	١٩٢٩

بعض // جرائد ومجلات اميركا الجنوبية

الجالية	سامي يواكيم الراسي	١٩٢٢
الوطن الحر	الحزب الوطني السوري	١٩٢٢
الشرق والغرب	لبيبه هاشم	١٩٢٣
الاستقلال	الامير امين ارسلان	١٩٢٦
الشرق	موسى كريم	١٩٢٨
الدليل	توفيق ضعون	١٩٢٨
الاصلاح	الدكتور جورج صوايا	١٩٢٨.

المـــهجريـــون واللـــغـــة

يستخلص من مقدمة الشعر والشعراء ، ان ابن قتيبة يقسم الشعر الى اربعة اضرب ، وافضلها " ما حسن (١) لفظه وجاد معناه " والالفاظ الحسنة في شرعه هي "ذات المقاطع الحسنة والمخارج الحسنة ". ويذكر العسكرى ان العرب يفضلون في الغالب الالفاظ على المعاني فيقول = " وليس الشان (٢) في ايراد المعاني . فالمعاني يعرفها العربي والعجمي ، والقروي والبدوى . وانما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من اود النظم والتاليف ." ويقول ابن الاثير المراد من الشعر ابراز المعنى الشريف في اللفظ اللطيف . واللفظ اللطيف من خصائصه كما يستنتج ز العذوبة والتداول والجزاله والوضوح ومدار ذلك التركيب = " الا ترى الفاظ (٣) القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب ."

والظاهر ان مدار الفصاحة في الالفاظ عندهم و يتوقف على كثرة استعمال بلغاء العرب لها هذا بالاضافة الى بعض تلك الخصائص المشار اليها . لكن ابن الاثير يقول في مقدمة كتابه ، ان كل ذلك لا يجدى نفعا اذا لم يكن هناك الذوق يحكم . " واعلم (٤) ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذى هو انفع من ذوق التعليم . فان الدربة والادمان ، اجدى عليك نفعا ، واهدى بصرا وسمعا . وهما يريانك الخبر عيانا ، ويجعلان عسرك من القول امكانا . فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك ما اخطاك ."

وكاني بادباء المهجر ياخذون براى ابن الاثير في الاحتكام الى الذوق ، الى حد بعيد . وبعضهم ياخذ به دون ما اعتبار كلي للخصائص التي يشير اليها هو او سواه من اللغويين . ويسرف جبران في ذلك كثيرا . فيرغب في ان يكون ذوق العامة هو المرجع الاساسي . وليس من الضرورى ان يكون للقدماء راى في الامر . " لكم من لغتكم القواميس (٥) والمعجمات والمطولات ولي منها ما غربلته الاذن وحفظته الذاكرة من كلام مالوف مانوس تتداوله السنة الناس في افراحهم واحزانهم" وفي مقال اخر يتسائل فيما اذا كان باستطاعة اللغة العربية الفصحى ان تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها . وذلك في مناسبة استفتاء قامت به مجلة الهلال الراقية ، فيجيب قائلا = " ان اللهجات العامية تتحور وتتهذب ويدلك الخشن فيها فيلين ولكنها لا ولن (٦) تغلب " وهو يدلل على ذلك باللغة الايطالية الحديثة = " فقد كانت لهجة عامية في القرون المتوسطة ، وكان الخاصة يدعونها بلغة " العجم " ولكن لما نظم بها دانتي وامثاله قصائدهم الخالدة اصبحت تلك اللهجة لغة ايطاليا الفصحى . وصارت اللاتينية بعد ذلك هيكلا يسير ولكن في نعش على اكتاف الرجعيين" واذن فجبران يجوز استخدام الالفاظ العامية وان لم ترد في كتب الاقدمين واشعارهم . والحكم الاخير في ذلك يعود الى ذوق الشاعر ، الذى يغربل اذواق العامة فياتي بالخلاصة الطيبة ، وبعض الفاظهم فيجيء منها بالزبدة الشهية . فيقول = " ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين اصابعه . فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر واذا كان الشاعر ابو (٧) اللغة وامها فالمقلد ناسج كفنها وحفار قبرها " .

واذن فرايه هنا يخالف في كثير اوقليل راى من تقدموه من الادباء والنقاد . فالعسكري مثلا ٤ وابن قتيبة وابن الاثير والجرجاني وقدامة وسواهم لم يجيزوا للشاعر في شيء ان يستخدم الا الالفاظ العامية بالمعنى المفهوم ولم يرضوا بذوقه حكما . وقد كرهوا له الخروج على اوضاع اللغة وتقاليدها الا بمقدار ضئيل كالجوازات الشعرية مثلا . ومع هذا فلم يسلم اولئك .

(١) الشعر والشعراء ص ٣ — ٤ (٢) الصناعتين ص٥٥ (٣) المثل السائر ص٨٨ (٤) المثل السائر ص٣ (٥) بلاغة العرب في القرن العشرين ص٥٢ (٦) بلاغة العرب في القرن العشرين ص٧٧ — ٧٩ (٧) وتحريره ابا اللغة ولعلها خطاء مطبعي .

الشعراء من السنة النقاد . واما جبران فاننا نراه هنا يخول للشاعر وللشاعر وحده حق التصرف في امور اللغة والحكم فيها . وقد جاراه في ذلك بعض ادباء المهجر وبينهم المعتدل والمتطرف ولعل الناظم الهزلي المعروف اسعد رستم في طليعة اولئك الثائرين على الرجعيين من ارباب اللغة وان يكن رايه ليس بالشيء الذى يعول عليه كثيرا لصفته الهزلية وسواء اكان جدا جادا ام هازلا فانه يعكس في شعره شيئا من تلك الثورة الاصلاحية التي هدق اليها المهجريون .

عقنقل مع (١) دمقس وخنفقيق	لها في النظم لسعارة لزوما
وما ذنبي اذا "الحنت" يوما	فقلت تلوح في الافق " النجوما "
فانكي جبر ضوط والحريسرى	وابراهيم حافظ "والنسيما "

— ولا مشاحة في ان ثورة بعض المهجريين على اللغة العربية ناجمة عن رغبتهم في التحرر عن قيودها الثقيلة المعقدة والسير بها في مضمار التطور الذى هو مظهر من مظاهر الحياة . هذا ولا بد للثورة مهما كان نوعها من التطرف والجموح في احيان كثيرة . ولمخائيل نعيمه راى في اللغة وجيه يحسن بنا ان نثبته هنا . كيف لا وصاحبه ناقد فني ولعله اول من الف في النقد الفني في مطلع نهضتنا الحديثة وقد يكون خير من يضطلع بمثل هذا العبء . فهو الى شاعريته مصور نوعا ما واديب واسع الاطلاع . وانه ليجيد من اللغات الاوربية الحية الانكليزية والروسية وله فيهما اشعار (٢) رائعة واطلاع واسع . وكتابه الغربال من كتبنا التي لها قيمتها في فن النقد ومنه اقتبس هذه الفقرات " ان شاننا مع ضفادع الادب (٣) لشان والله غريب عجيب . يطالعون ما نكتب فيقولون = " ونعما العواطف ونعما الاسلوب لكن ... اللغة كاننا فيما نكتب او ننظم نلقي عليهم دروسا في اللغة وكان لا هم لنا من النظم الا ان نتحاشى الخطف والاشباع واستعمال "تحمم بدلا من استحم (٤) ثم يضيف قائلا :

في الادب العربي اليوم فكرتان تتصارعان . فكرة تحصر غاية الادب في اللغة وفكرة تحصر غاية اللغة في الادب وجلي ان نقطة الخلاف هي الادب نفسه " وقصارى الكلام يا سادتي ، ان القصد من الادب هو الافصاح عن عوامل الحياة كما تنتابنا من افكار وعواطف . ليست اللغة في ادق تراكيبها سوى مستودع رموز نرمز بها الى افكارنا وعواطفنا وانه يحسن بنا الاحتفاظ بهذه الرموز ما زلنا قاصرين عن استبدالها بادق منها . وان بعض هذه الرموز يصبح على مرور الايام طلاسم فلا جدوى نبذة "

وهنا رب سائل يقول ترى ما هو راى ادباء الوطن في نظرية المهجريين هذه . فاجيبه بما اجاب به العقاد وذلك على اثر صدور الغربال . والعقاد كما هو معروف عن نقاد بارع وله في النقد جولات موفقة في كثير من المواقف . وكتابه في نقد شعر شوقي يك قد لا يقل قيمة عن كتاب نعيمه. وهو الى ذلك اديب له الكثير من المؤلفات الشعرية والنثرية . ولعله يمثل من ناقدي ادب المهجر الفئة المعتدلة ، ولنا مع المتطرفين منهم حديث اخر ان شاء الله . واليك شيئا مما قال في رده على نعيمه :

فرايي ان الكتابة(٥) الادبية فن ، والفن لا يكتفي فيه بالافادة ولا يغني فيه مجرد الافهام . وعندي ان الاديب في حل من الخطأ في بعض الاحيان ولكن على شرط ان يكون الخطأ خيرا واجمل واوفى من الصواب . وان مجاراة التطور فريضة وفضيلة . ولكن يجب ان نذكر ان اللغة لم تخلق اليوم . فنخلق قواعدها واصولها في طريقنا . وان التطور انما يكون في اللغات التي لها ماض وقواعد واصول . ومتى وجدت القواعد والاصول فلماذا نهملها اونخالفها الا لضرورة قاسرة لا مناص منها . ومع هذا يلوح لي ان الخلاف بيننا خلاف في التطبيق لا في الجوهر لان المؤلف الالمعي يعرف العلاقة بين اللفظ والمعنى حسن تعريف ." ويضيف قائلا =

" هبوا كتابنا وشعراءنا العرب في الاقطار الامريكية قد ذهبوا بالحرية الى ابعد من مداها فهل ننسى لذلك ماثر هذه الحرية ومحاسنها ونجهل الجهل الذي لا مسوغ له فنغلق ابوابنا كلها دونها ".
اجل ان المهجريين لم يتقيدوا كثيرا بقيود اللغة وهذا القول ينطبق بصورة خاصة على ادباء امريكا الشمالية . فقد وجد .

---

(١) ديوانه ص ١٠ (٢) اخبرني نعيمه نفسه ان قصيدته " النهر المتجمد " وضعت اولا في اللغة الروسية (٣) الغربال ص ٩١ (٤) اشارة الى ما اخذه النقاد على جبران عندما قال " هل تحممت بعطر " واستحم هي اللفظة القاموسية . (٥) الغربال ص ١١ — ١٢ .

بين ادباء امريكا الجنوبية اناس يحرصون كل الحرص على اللغة وقواعدها كما جاءت على لسان القدماء وقد استرعى انتباهي تلك الابحاث اللغوية التي كانت تنشرها بعض مجلاتهم الادبية في العدد بعد الاخر . الشيء الذي تكاد لا ترى له اثرا في مجلات امريكا الشمالية = اذكر على سبيل المثال البحث التالي كما جاء في مجلة البرازيل المصورة (١) =

" قال الشاعر القروى في مجلة العصبة جزء حزيران سنة ١٩٣٦ ص ٤٦٥ ما يلي :—

ورباه اني قد عصيتك عامدا — لاراك اجمل ما تكون غفورا
ولقد جنيت من الذنوب كبارها — فمنا بعفوك ان يكون صغيرا

وليلاحظ ان الهاء في رباه الواقعة في متن الكلام ، هي كالهاء في " واحسرتاه " التي استعملها صديقه فوحات وانتقدناها في سالف الايام وان قوله " منا " بعفوك (اى نجلا بعفوك) ان يكون صغيرا ، يعد في نظر الادباء غلطا كبيرا . اذ كيف يضمن اى يخجل حضرته وهو الراجي لا المرجو. بل كيف يرضى بالعفو الصغير ، وهو انما يريد العفو الكبير . وهو لو قال =

ولقد جنيت من الذنوب كبارها — املا بعفوك ان يكون كبيرا

لكان اجاد وما خضع لانتقاد . ولكنه اراد الطباق ولعله اراد تقليد المتنبي في قوله الشهير :—

وتعظم في عين الصغير صغارها — وتصغر في عين العظيم العظائم

ويجدر بي ايضا ان اثبت هنا الكلمة التي تقع على الصفحة الحادية من مجلة البرازيل (٢) المصورة اثباتا لما تقدمت به من ان ادباء امريكا الجنوبية كانوا غير راضين عن ثورة اخوانهم في امريكا الشمالية كل الرضى . واليك ما جاء تحت موضوع " الاندلس الجديدة " .

" مجلة الاندلس الجديدة هي المجلة الراقية التي يصدرها الشاعر الاستاذ شكرالله الجر الخ . على ان تلك المقالة الطويلة في انتقاد اشعار ايليا ابي ماضي قد جاءت على غيرما ينتظر الادباء . وما كان استشهاده بقول الشيخ طه حسين مما يقوى حجته ضد خصمه الشاعر الاديب . لان الشيخ المذكور ليس حجة في اللغة بل الحجة هو الاب نسطاس الكرملي الذى قال في بيروت لنسيب له من آل عواد انه يحب بابي ماضي ويفضله على كثيرين من شعراء المهجر ونرى انه اذا وجد في شعر ابي ماضي ما يؤخذ به فذلك لا تباعه احيانا طريقة التجديد — هذا التجديد الذى يضر اكثر مما يفيد ." .

والغريب ان البعض من ادباء الجنوب كانوا يتهجمون على ادباء الشمال ، اذا جاز لي هذا القول ، ويعيبون عليهم امر استخفافهم بالاصول النحوية والصرفية والبيانية . فيقول احدهم =

" والادباء المهاجرون قسمان ، قسم يقطن امريكا السكسونية ، كان سيل المحيط طغى جرافا فابعده عن مواطن العربية ، فتحلل من بعض ربط قواعدها ولم يراع ، ما عدا القليل منه ، عهود لغة الاباء والاجداد ، ومال الى ادب الافرنج فنقل منه الى العربية غرائب الاستعارات والتشابيه وتصرف في شق الالفاظ اى تصرف . وفيه يقول فوحات (٣) =

اصحابنا المتمردون خيالهم — تمضي قريش به وتحيا حمير
لغة مشوشة ومعنى حائر — خلف المجاز ومنطق متعثر .

... / ...

وقسم (٤) يقطن امريكا اللاتينية وبالاخص بلاد البرازيل وهؤلاء حافظوا على طريقهم من اداب العربية وزادوه تليدا . ولم يحلوا اواصر تربطهم بالعربية بل زادوها احكاما وشدا وفيهم بعض علماء اللغة وحماة ذمارها . وطالما امتلات صفحات مجلاتهم واعمدة جرائدهم بالابحاث اللغوية ". هذا وصاحب هذه الكلمة يعود فيجد لاولئك عذرا لانهم يعيشون بعيدا عن مواطن البلاغة والفصاحة . وانا ارى انه لابد ان يكون هناك سبب معقول لهذا الفرق ، الذى نجده بين اولئك وهؤلاء من حيث العناية باللغة والاهتمام باصولها وفروعها . ولعل ذلك راجع الى امرين . الاول هو ان العرب في امريكا الجنوبية كان عليهم ان ينشئوا المدارس الابتدائية

---

(١) البرازيل المصورة اب سنة ١٩٣٦ ص٢٢ (٢) البرازيل المصورة ص ٢٣ من عدد اب سنة ١٩٣٦

(٣) عندما ذهب فرحات الى امريكا لم يكن يعرف من قواعد اللغة شيئا يذكر . ولهذا كان منصرفا الى نظم الشعر العامي ثم ما لبث ان تعلمها واخذ ينظم الشعر الفصيح (الشرق عام ١٢ ج ٤ ص ٢) (٤) مجلة الاصلاح ج٤ سنة ٤ ص ٣١٠ .

والعالية هم بانفسهم . وذلك بالنظر الى تاخر تلك البلاد علميا اذا ما قيست بالولايات المتحدة التي تعد في طليعة البلدان المتمدنة ثقافة وعلما . وبهذا يكون قد تسنى لادبائهم ان يظلوا على اتصال باسباب اللغة ولا سيما الناشئون منهم . اما في امريكا الشمالية فالحالة تختلف في قليل او كثير . قال الدكتور حتي :

" ليس من بلاد متوفرة فيها وسائط التعليم الابتدائي توفرها في الولايات المتحدة فعلى كل طالب بين السادسة والرابعة عشرة من عمره ان يلازم المدارس العمومية المجانية ذكورا واناثا . وفي كثير من الولايات جامعات تعرف باسمها " State Universities " يتمكن الطالب ان يتعلم فيها بنفقة زهيدة حتى يحرز اية شهادة كانت او رتبة علمية . وهو يذكر ان السوريين لم ينشئوا سوى المدارس الدينية الابتدائية التي اكثر ما تقام الى جانب الكنيسة حينما وجدت على ان الاكثرية الساحقة من(١) الطلاب تذهب الى المدارس العامة . واذن فقد يكون هذا سببا من الاسباب في تمسك ادباء الجنوب بلغتهم . جاء في عدد ابي الهول التاريخي ما يلي :-

" اول مدرسة عربية فتحت في العاصمة هي مدرسة نسيم الخوري بولس " بوسار " واول من تعلم فيها كان يوسف بدوي والدكتور يوسف نادر وهما من مواليد هذه البلاد". ويضيف قائلا = " اول مدرسة انشئت في سانبولو هي مدرسة الشدياق جبور يوسف عبد الاحد " مزيارة " مولجير بوعاية الخوري صليبا". وبعدئذ ياخذ المهاجرون بتاسيس المدارس العالية ومن هذه الكلية السورية البرازيلية للشيخ وديع اليازجي والكلية الوطنية للاداب والعلوم لرئيسها ومؤسسها لويس حاياك . والكلية الشرقية للاستاذ سليمان الصفدى . ومن شاء الايضاح فليعد الى المجلات البرازيلية العربية وجرائدها حيث يراها تعلن عن موعد رجوع الطلاب من الفرصة وفتح المعهد ابوابه لمن يشاء منهم .وعن المستوى العلمي الذى بلغته تلك المؤسسات الثقافية .

.../...

ولعل السبب الثاني في اهتمام ادباء امريكا الجنوبية باللغة وقواعدها يعود الى وجودهم في بلد لاتيني واحتكاكهم بالمدارس اللاتينية التي هي بالاجمال اكثر عناية من المدارس السكسونية في امر اللغة وقواعدها . وهذا ما نلاحظه فعلا في هذه البلاد . ولهذه الفروق اسباب تربوية لا اراني معنيا بها الان . واليك ما يقوله الريحاني وهو من ادباء امريكا الشمالية :—

" ان في العالم اليوم طريقتين اوروبيتين في التعليم الراقي على الطريقة السكسونية والطريقة اللاتينية . ولكن ارباب الفكر وذوي الثقة في علمي التعليم والتربية يفضلون الاولى على الثانية . فقد قام حتى في فرنسا من يحبذون الانجلوسكسونية اجمالا ويفضلونها على اللاتينية.ومن هؤلاء الفيلسوف له بون القائل = " الشاب اللاتيني يتعلم لغة من اللغات بدرس كتب النحو والاستعانة بالمعجم والشاب الانكليزي يتعلم لغة من اللغات دون ان ينظر في المعجم او في كتاب من كتب النحو وانما يقرأ ويتكلم . ويضيف له بون = " يتضح ان في المنهج السكسوني (٢) يعتمد الطالب اولا على التجربة والعمل في المنهج الاخر يعتمد اولا على الكتب والنظريات . "

ومهما يكن من امر فقد ثار ادباء المهجر في الامريكتين على تقاليد اللغة واوضاعها كما ثاروا على الشعر القديم واغراضه وبالطبع فقد كان ذلك على درجات مختلفة . من هذا ما قرأته للشاعر الثائر شكرالله الجر،صاحب مجلة الاندلس الجديدة في عاصمة البرازيل ، في المقدمة التي يقدم بها ديوان رشيد ايوب الخوري — هي الدنيا — حيث يقول = " يتغنى بعضهم بالمتانة ويخصون (٣) الشعر الوطني والاجتماعي بهذه الميزة لفخامة او ضخامة في الفاظه . على حين ان المتانة في الشعر هي ان تاخذ الكلمة محلها من المعنى وسواء في ذلك الشعر الوطني الحماسي ام الغزلي الوجداني . وقد يتفق للشاعر ان يخلق كلمة لا عهد للادب بها ليؤدي صورة في نفسه يعز عليه ان يستبدلها بسواها مع الاحتفاظ بنبرتها وصداها المستحب . وهذا هو في عرفي الذوق الفني الذي يولد مع الشعراء وينمو بنمو سليقتهم الشاعرة ".

ومما ذكره الاديب ميخائيل نعيمه بلسان الرابطة القلمية التي كان كاتم اسرارها ما يلي = " ان الرابطة (٤) القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قراء العربية لولا اعتقادها بانها قد اتخذت من الادب رسولا لا معرضا للازياء اللغوية والبهرجة العروضية الخ . فقد كفانا ما عندنا .

---

(١) السوريون في امريكا ص٩١ (٢) التطرف والاصلاح ص٣٧ (٣) هي الدنيا ص ٢ (٤) الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ ص ٧ .

.../...

من المعجزات اللغوية ،وآن لنا ان نتعطف ولو بالتفاته على ذاك " الحيوان المستحدث " الذى كان ولا يزال سر الاسرار ولغز الالغاز . فعلنا نجد فيه ما هو احرى بالنظر والدرس من راس السمكة في قولهم " اكلت السمكة حتى راسها ". هذا ولم يكن الريحاني وغيره من ادباء المهجر اقل حماسا من زملائهم في الرغبة بالاصلاح . " ان اللغة (١) جسما لا ينمو الا بالغذاء الجديد .. اقطع الغصن اليابس ولقح الغصن الطرى تسلم الشجرة لتنمو وتزهر . كذلك فعل دانتي في اللغة الطليانية وشكسبير في اللغة الانكليزية ،وهوغو في اللغة الفرنسية (وما هولاء بلغويين ولكن اللغوى يتبع الشاعر فينقح كتب اللغة لتشمل ما في جديده لفظا ومعنى من الجميل الحلو البليغ) ان رقي اللغة لفي الخروج على السجع العقيم من مالوفها مع المحافظة على روحها " وما قاله = " ولكني افضل هذا الانشاء — وفيه من غرابة وركاكة ما فيه — على انشاء عربي لا غبار على سيبويته " وقد اخذت معانيه كلها وسمانيه من " الفرائد الدريه " وغيره من المحفظات " اللغوية .

واذا نحن عدنا الى كبار ادباء اميركا الجنوبية رأينا هم يجارون الشماليين في الكثير من المكارهم التحررية وهم يعترفون لجبران بانه رافع لواء التجديد في اللغة العربية وادابها . وهذا ما تكاد تقرأه في كل كلمة شعرية او نثرية قيلت في مناسبة موته .كالذى تقرأه في مجلة الاصلاح الراقيه لصاحبيها الدكتور جورج صوايا في العدد (٢) الخاص الذى يقدمه الى روح الاديب الراحل . وبين المتكلمين الامير امين ارسلان والدكتور صوايا فالشعراء الياس فرحات ،جورج عساف ،نخلة الحلو ،شفيق المعلوف ، وامثالهم . هذا وقد يكون ان شعراء المهجر ليسوا كشعراء الوطن لغة " وافصاحا " ولكن ذلك لا ينفي وجود الاخطاء في كتاباتهم . على ان بعض تلك الاخطاء التي ارتكبها المهجريون كان بالامكان تلافيها لو بذل في سبيلها شيء من العناية والحرص ،وقد ضرب اكثرهم من علوم اللغة بقسط وافر، ومع هذا فاخطاؤهم ليست بالشيء الذى يذكر اذا ما قيست بما عندهم من حسنات .

قال الدكتور مندور " نعم قد يخطئون في النحو والصرف (٣) ولكن هذه في نظرى اشياء نادرة لها نظائرها عند اكبر الكتاب ، والى اليوم لا يزال الفرنسيون يضربون المثل بفلتير في الخطأ والاملاء وانما يعيب الاسلوب عدم التجديد او العجز عن الابداع ،وتلك عيوب لا وجود لها في شعرهم . اما استخدام الالفاظ المالوفة فلست ارى فيه موضع ضعف بل قوة ،ذلك لان الالفاظ المالوفة ،ولا اقول المبتذلة ،هي التي تستطيع في الغالب ان تستنفد احساس الشاعر ، كما انها اقدر من الالفاظ المهجورة على دفع شاعرنا الى التداعي ،وقد كثر استعمالنا لها في الحياة فتحددت معانيها ."

ومهما يكن من شان فالاعتدال في استخدام الجوازات اللغوية شيء مرغوب فيه ، كما ان التطرف في كل شيء امر مرغوب عنه ولعل المهجريين معذورون فيما وقع لهم من اخطاء وهم الذين يعيشون في بلاد ،الفتى العربي فيها ،كما قال المتنبي ، " غريب الوجه واليد واللسان " ولطالما تمنيت واتمنى ان ياتي يوم فيه نرى بعض قواعد هذه اللغة التي نحب ،قد عدلت تعديلا يتلائم وروح العصر . لقد آن لنا ان نعلم بان على الطالب ان يجيد اكثر من لغة واحدة ويتعرف باكثر

من ادب واحد . وانه لا يريد بعد الان ان يموت موت الغراء عندما قال " اموت وفي نفسي من " حتى " شيء".

يجدر بي بعد هذه المقدمة القصيرة ان اثبت شيئا هنا ،من تلك الماخذ التي اخذها النقاد على المهجريين ،كنماذج مختلفة :

الاصل	الصواب	المرجع
شفعت بنا امام ل رحيم	شفعت لنا الى اب رحيم	الاعاصير ص ٢٧
فبناهما مبسوطة تشحذ الجدا	تسال الجدا او تستجدي الخ .	السائح الممتاز لسنة ١٩٢٥ ص ٧٦
ومن لم يعش بندثر	يندثر او يندثر	المواكب ص ١٣
طوقتني بمعصميها	طوقتني بساعديها	الذكرى ص ٤٧
وانت تغوى ناظري على السهر	يقال اغراه بالشيء	بلاغة العرب في القرن العشرين ص ١٩٣
يسقط صريعا ويمسي شر مغلوب	يسقط ويمسي بالجزم	السمير شباط سنة ١٩٣١ ص ١٣٠

---

(١) الريحانيات ج ٣ ص ٦٠ — ٦٢ (٢) مجلة الاصلاح ج ٨ سنة ٣ عدد خاص (٣) في الميزان الجديد ص ٥٥ .

الاصل	الصواب	المرجع
ان سمعت الرعد يدوى	وهي قاموسيا يدوّي بتشديد الياء .	همس الجفون ص ١٨
وبا رب عجل على مصرعي	بدون على او فالمعنى يتغير .	بلاغة العرب في القرن العشرين ص ١٩٠

هذا شيء من اخطائهم وعندي ان كثيرا منها ليس بخطأ فادح . اجل اننا لا نجد في محيط المحيط مثلا فعل دوى من الثلاثي بمعنى الصوت ولكننا نجد المصدر منه . فقد جاء في القاموس المشار اليه " دوّي الريح (١) حفيفها . وعرفه قدمٌ بانه صوت كالهدير يسمعه الانسان من داخل اذنه ". واذن افلا يجوز ذلك على سبيل المجاز . عندما كنت اجتمع بالاديب نعيمه كنت اساله رايه في الموضوع فيبتسم ويقول " عجبا من هولاء المتعنتين ". واراني في هذه المناسبة مضطرا لنقاش اولئك النقاد المتطرفين وانا لا اريدهم الا مقتنعين ورائدي الاخلاص . اذكر منهم على سبيل المثال السيد " صريع (٢) الاحرار " والدكتور عمر فروخ . وليأذنا لي بتذكيرهما اولا بان الخطأ اللغوي يقع لاي كان منا في لغة تعقدت قواعدها ،وتشابكت اصولها ،ولعلهما ادرى مني بما نشأ من اختلاف في تقرير مصيرها عندما كان جدودنا لا يزالون بعيدين عن مهاوي العجمة كما يزعم المؤرخون . وفي اختلاف البصريين والكوفيين خير دليل على ما اقول . وما يزال هذا الاختلاف يتفاقم امره مع الايام حتى يومنا هذا . وقد يكون ذلك من جملة الدوافع التي اهابت بادباء

المهجر الى الثورة الاصلاحية التي حملوا لواءها . ولعلهم اكثر منا احساسا بمصاعبها لاحتكاكهم بشعوب مؤمنة بالتطور عاملة بناموسه الطبيعي . وقد مدت الى جميع مرافق حياتها بسبب من الاصلاح والتقدم .

وهاكم ما يقوله ابن قتيبة : ــ " وقد اخذ الناس (٣) على الشعراء في الجاهلية والاسلام الخطأ في المعاني والاعراب وهم اهل اللغة وبهم يقع الاحتجاج فهل اصحاب الحديث في سقطهم الا كصنف من الناس " .

وبعد فانا لست ممن يرغب في الخروج على اوضاع اللغة الا اذا كان في ذلك ما يؤول لخيرها . والقواعد في اللغة شيء لا بد منه . ولكنني اعود فاكرر بان التطرف امر غير محمود . فالرجعي المتطرف هو كالتقدمي المتطرف . غير ان الثاني يفضل الاول كثيرا . لانه في الاقل ينظر الى الامام وهو يسير مع موكب الزمان وان يكن يخطى قد لا يؤمن معها العثار .

قال السيد " صريح "

لم يلتق ادب (٤) المهجر بالذوق العربي ولا بالصبغة العربية فالكلمات التي افتتن القوم باستعمالها مثل اللاابدية ،احلام اللانهاية ،دموع الاوقيانوس ،ابتسامات الشفاه ،وقلائد النجوم ،كانت جملا منفردة لا تنطوي على معنى يدرك بالحس ولا بالفعل ولا يستقر القارئ ريثما يفكر فيها ــ اذا كان من الذين يفكرون فيما يقرأون ــ ليتحول عنها نهائيا ". ويضيف قائلا = " انا من الذين يحبون ان يروا في الادب العربي عناصر قوية تزيد في ثروة اللغة العربية . وكنت اود لو يقيض لادب المهجر من يظهر ميزته الخاصة ويعمل على رفع مستواه ويجدد له ابدا رونقه. ولكن ما اخرجه مقلدوا ادباء المهجر في امريكا وسوريا لا يشجع كثيرا على هذا الاعتقاد . من منا يكره ان يكون في الادب العربي عنصر جديد . ولكن من منا لا ينفر من السخافة التي ياتي بها المقلدون اننا اذا احببنا ان نجعل لجبران مكانة في تاريخ الادب العربي فلنكرم اسلوبه ولنقتلع الاعشاب السامة من حدائقه وجنائنه ".

والظاهر ان صاحبنا غير راض عن هذه الالفاظ والاصطلاحات التي يستخدمها المهجريون وامثالهم . مثل اللاابدية ،احلام اللانهاية ،وابتسامات الشفاه الخ . لاسباب منها انها غير معقولة فهي لا تدرك اولا . وربما كان السبب الثاني لانها لم ترد في معاجم اللغة . وقد يكون السبب الثالث لانها تخالف القياس والمنطق . فالشفق لا يبتسم ويجب الا يبتسم . وكان على الشاعر ان يقول ابتسامة الوضى مثلا . واذا كانت هذه بعض اسبابه فما رايه في قول الشاعر = " والطير يرقص مذبوحا من الالم " . ترى ما هي هذه العناصر القوية التي يشير اليها في الفقرة الثانية ،والتي يجب ان يراها في الادب العربي . وهل له ان يضع لنا كلمات جديدة واصطلاحات جديدة اصح من



(١) لحيط المحيط ج١ ص٧٠١ (٢) من شاء فليراجع ما دار من نقاش بين صاحب هذا اللقب وبعض جرائد المهجر كجريدة الاصلاح مثلا (٣) مختلف تاويل الحديث ص ١٥ (٤) مجلة الدليل ج٩ سنة ٤ ص ٦٥٣ .

هذه التي يحتج بها واغرب من هذا كله ، حكمه الجزاف ، على ان ما اخرجه ادباء المهجر لا يصلح لان يسمى ادبا كما يستنتج من استقرائه . وهو ينصح للنشء باقتلاع الاشواك السامة من ادب جبران . وكان من الافضل له أن ينصح لهم بالاقلاع عن ادب جبران طالما هو لا يخلو من السم ولو شاء ان يعتدل قليلا لنصح لهم بوضع تلك الالفاظ السامة بين اقواس قوية ليظل محجورا عليها الى أن تموت او يقيض لها الله من يفك اسرها ويخلي عنها .

ان نقده هذا ليذكرني بمقالة لطيفة قرأتها حديثا في مجلة الهلال الراقية ، للدكتور احمد زكي باشا . " لفي اللفظ بريدنا(١) الفقهاء والمتاصرون ، على ان لا يكون من الفصحى الا ما حوته القواميس او ثبت بالتحقيق انه جاء في كلام العرب ، والعرب القدم الاولين . حتى لقد يحتج المحتج للفظ ببيت الشاعر ، فيقول قائلهم هذا مولد . ثم يقبل الصيد ان قبلها متسامحا وهو كاره . اما ان كان اللفظ عاميا صريحا فهو لفظ منبوذ لا تمر به ايدي البراهمة من الكتاب فان هم احتاجوا اليه اضطرارا ، لان الفصحى لا تسعفهم بمثل معناه ، فتحوا له على الورق قوسا ، ثم اخذوا اللفظ باطراف اناملهم واسقطوه على الورق في عجلة اسقاطا حتى لا يطول مسه للبنان الطاهر . ثم هم عجلوا فاغلقوا عليه بقوس اخر خشية ان تفوح رائحته الكريهة ."

انك لتقرأ الرواية الافرنجية فتحس فيها بالحياة ، وبانها تقص عن هذه الحياة ، وتقرأ الرواية العربية للكاتب المتفصح فتحس كان اعرابيا خرج من القبر حيث ثوى القرون ، فما افصح ولا بان ، لان النطق لم يرك الاشيا ، فكل شيء رآه على قدم كان عنده نعلا ، فالجزمة نعل ، والشبشب نعل والصندل نعل . اني لا ادعو الى العامية ، ولكني ادعو الى توسيع الفصحى حتى تشمل الكثير ما في العامية الحاضرة من سلالات عربية أخنى عليها الزمان بضياع انسابها ".

فاين هذا القول مثلا من قول الدكتور عمر فروخ الذي ملأ صفحات مجلته الامالي اوكاد من اخطاء جبران — = " لا اريد ان ابدأ(٢) مقالتي هذه بجدال في ما هو الشعر . هل هو في اللفظ او في المعنى ؟ وهل هو في الشعور او في الخيال . لانني اجد ان البحث في نظم جبران خليل جبران لا يتناول الا مبادئ الاسلوب اللغوي من غير ان يتجاوزه الى الاسلوب الفني . ونحن اذا تناولنا جبران من ناحية السبك فاننا نتاوله من ناحية لا يستطيع احد ان يجادل فيها او يدافعنا عنها ثم يضيف قائلا = —

والان ناتي الى اسلوب جبران في الشعراو الى نظم (٣) جبران على الاصح بعد ان نترك سرقاته لمقالات تتلو . وقبل نقد الاسلوب الفني ننقد اخطاءه اللغوية والنحوية " وحضرته يتناول كتاب

المواكب في النقد فيأتي بالمآخذ الكبيرة . ويدع القارئ بعضها ليرى الطريقة التي جرى عليها الدكتور في نقده .

١) ومن لم يعش يندثر المواكب ص ١٣ (والاصح سكونهما ثم احالتها للقافية)

٢) من آم نعيم الخلد مبتشر " ص ١٦ (مبتشر . ()

٣) فان تحرز من انباء بجدته " ص ٢٠ (والاصح ابن بجدتها قاموسيا)

٤) تكاد تفي ثنايا ثوبه الابر " ص ٢١ (وهل الثوب يدميه وخز الابر)

٥) ومن مستانف خلت " ص ٢١ (استانف .)

٦) فمن يعانق يبقى " ص ٢٨ (والاصح فمن يسابق يسبق)

٧) هل تحممت بعطر " ص ٢٩ (هل استحممت)

٨) فكلما رمت غابا قام يعتذر " ص ٣٠ (والصواب قامت تعتذر لان الغاب جمع لا مفرد)

هذا وهنالك اخطاء ثانية ضربنا عنها صفحا لضيق الوقت بكى منها هذه الشواهد الثمانية للبحث والنقاش — فنقول = لقد اجاز العرب ، في مثل الشاهد الاول ، تحريك الروي بالكسر كقول زهير =

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم

---

(١) مجلة الهلال ج ٥ سنة ٥٢ ص ٦١٥ — ٦١٧ (٢) مجلة الامالي ص ٢٧ عدد ٣٥ من السنة الاولى (٣) قد يقصد بذلك ان جبران لم يكن سوى نظام لبس الا ..

وكان الاصح ان تسكن الميم . وكأني بجبران يقول = كيف يجوز في مثل هذه الحالة ، استخدام الكسر دون الضم . وهل من مانع منطقي . وبالطبع الجواب معروف . " هكذا وردت في كتب اللغة . " على اننا اذا امعنا النظر قليلا لم نجد شيئا يمنع من استخدام الضم . ولعل المسالة عائدة الى الذوق . فليس في "ضمة" ما يقدح في المعنى ، او يحط من كرامته . نحن نعلم بقينا ، ان العامل الشرطي يقتضي تسكين الروي . ولكن نعود فنتساءل ، اذا كان هذا الروي ساكنا ، الا يجوز تحريكه بالضم نزولا عند موسيقى القافية . والا فما راي اسيادي اللغويين بقول الفرزدق —

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

الم تكن نعم ساكنة . فحركها الشاعر بالضم . بلى ونعم . ثم الا يحق لجبران او سواه ان يشتق من الفعل الثلاثي " بشر" فعلا اخر بمعنى استبشر . فاذا كان الجواب بالنفي فاي معنى للاشتقاق اذن . ان اللغة العربية لتمتاز عن بقية اللغات بميزة الاشتقاق هذه ، ولكن المتعنتين يكرهون لها الا ما اشتقت المعاجم ، ومع هذا فهم يرغبون لها بالحياة . وفي الشاهد

الثالث ما الذي يمنع جمع ابن بجدتها . لا شيء . وانما هكذا وردت في المعاجم والدكتور لا يضن علينا بذكر بعضها . وفي الرابع ، ما الذي يحول دون قول الشاعر = " تكاد تدمي ثنايا ثوبه الابر ." الا يجوز ذلك على سبيل المجاز . الم يقل الشاعر ولعله امرؤ القيس " فسلي ثيابي عن ثيابك تنسل . وقد عنى شيئا آخر غير الثياب . وفي الخامس الا يجوز لنا ان نشتق وزن " استفعل " من الفعل الثلاثي " أنث " الذي يذكر المعجم منه وزن " تأنث " (٢) بمعنى صار انثى . ونحن نعلم أن وزن استفعل او استفعل يفيد الطلب . واذن فالمستأنث هو الذي يتطلب الانوثة لثنيه وهو حتما غير المتأنث . هذا اذا نحن غضضنا صفحا عن تلك الموسيقى الانيقة التي توجبها الثاء المتكررة في البيت ذاته =

ومن خفيف ومن مستأنث خنث   تكاد تدمي ثنايا ثوبه الابر .

وفي المثال السادس الا يمكن اعتبار " من " اسم موصول لا يقصد به الشرط . وفي السابع البيت تحمم الباقر وقعا في الاذن وادل على المعنى المبهم من استحم . ولهذه اللفظة حديث طويل من شاء فليرجع اليه في الغربال (٢) . وفي المأخذ الثامن او الاخير اطلب الى الناقد الكريم ان يعود الى المواكب مرة ثانية ... لعل الضمير في " قام " لا يعود الى الغاب بل الى الدهر وهب جبران قصد به ان يعود الى الغاب بمعنى آخر ، فانه يبقى في حل من الخطأ فالغاب من اسماء الجمع واذن نصحح اعتباره كالمفرد = لكن هو الدهر في نفسي له أرب   فكلما رمت غابا قام يعتذر ،

كما يقال طار الطائر وطارت الطير وبعد ، فانا ارجو الا يساء فهمي ، فاعتبر راضيا عن كل ما قام به المهجريون من اصلاح ، وادعو اليه من ثورة . ولكنني احببت ان اشير في الدرجة الاولى ، الى تعنت بعض النقاد ، ذلك التعنت الذي لا اجد له مبررا يستحق الذكر . فاذا ما دعا المهجريون الى الاصلاح اللغوي ، فليس معنى ذلك انهم يريدون القضاء على اللغة الفصحى . واذا ما دعوا الى استخدام بعض الالفاظ العامية ، فليس معنى ذلك انهم يريدون منها ، ان تحل محل لغة الخاصة. وانما هم يدعون الى غربلة الالفاظ واختيار المناسب منها ، بالرغم من انهم لم يكونوا موفقين في اختيار الفاظهم الشعرية كل التوفيق . وجل ما هنالك ان الكاتب بحاجة احيانا الى تبني الالفاظ العامية التي لا مقابل لها في اللغة الفصحى ، والتي لها مقابل ولكنه لتقادم العهد اصبح لا يفيد ، ما يفيده اللفظ الجديد . فهنالك الفاظ عامية ، لها لونها الخاص ، ومعناها الخاص ، وموسيقاها الخاصة ، لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الاحوال . كلفظة " ترمور " التي يستخدمها اللبنانيون للحمل الصغير او الخروف الصغير تحببا وتلطفا . وترد هذه اللفظة كثيرا في قصة " العاقر " للاديب ميخائيل نعيمه في كتابه " كان ما كان " فهل من " العدل الفني " في شيء ، ان نطلب الى نعيمه ابدالها بالخروف لانها لم ترد في القاموس الا بمعنى السفينة العظيمة . اجل لقد آن لنا ان نتساهل في اشياء قصد منها الخير ليس الا .

كما انه قد آن لنا ان نفهم الادب فهما صحيحا ، بحيث لا نفرقه عن الحياة في شيء.
وغني عن البيان ان مثل هذا الادب ، لا بد له من ريشة فنية توشحه بالاظلال الندية والالوان المشرقة . ولعل القصصيين ، وهم الذين ينتزعون حوادثهم في الغالب من صميم الحياة ، اجدر الادباء باستخدام بعض الالفاظ العامية التي تخلع على قصصهم شيئا من الواقع الامر الذي لا غنى للقصصي عنه ، مهما شط به الخيال . الا اذا كانت قصته قديمة في موضوعها ومادتها فلنجدد والا فعبثا نطلب نهضة وننشد تقدما .

---

(١) محيط المحيط ج ١ ص ٤٤ (٢) الغربال ص ٩٨ (٣) المواكب ص ٣٠ .

مقاييسهم الادبية

انني وان كنت غير معني بتاريخ النقد في دراستي هذه ،لاجد نفسي مضطرا الى الوقوف مرة ثانية ،على ما كان عند العرب القدماء من مقاييس ادبية ،ليصح لنا المقابلة بين القدامى والمحدثين ،من حيث النظر الى الشعر والعناصر الاساسية التي يتالف منها . وفي ذلك تمهيد لا بد منه ، لتفهم الفرق الكائن بين الادبين القديم والحديث ،ان يكن هنالك من فرق اساسي .

والظاهر ان النقد كان قد مرّ باطواره المختلفة قبل ان وصل الى ما وصل اليه في يومنا هذا ،وذلك جريا على سنة النشوء والارتقاء ومجاراة للمدارس الادبية في جميع ادوارها . فليس من المعقول مثلا ،ان يبحث النقاد في الشعر الرمزي قبل ان يكون هنالك شيء منه . والذى يلاحظ من دراسة كتب النقد الادبي كالتي وضعها ابن قتيبة ،وقدامة والعسكرى والجرجاني وابن رشيق وابن الاثير وسواهم ،ان الشعر لا يخرج عن كونه كلاما موزونا مقفى له معنى . فيقول صاحب العمدة في باب حد الشعر وبنيته = " البنية(١) من اربعة اشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية. فهذا هو حد الشعر لان من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر لعدم الصنعة . كاشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي (صلعم) وغير ذلك مما لم يطلق عليه انه شعر . والمتزن ما عرض على الوزن فقبله " واذا هو حدثنا في اللفظ والمعنى قال = " اللفظ جسم(٢) وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ،يضعف بضعفه ويقوى بقوته . ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب منهم من يوثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده وهم فرق مختلفة ويضيف قائلا = " واكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى . سمعت بعض الحذاق يقول = " قال العلماء اللفظ اغلى من المعنى ثمنا واعظم قيمة واعز مطلبا . فان المعاني موجودة في طباع الناس يستوى الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على جودة اللفظ وحسن السبك وصحة التاليف . الا ترى لو ان رجلا اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود ،بالغيث والبحر . وفي الاقدام بالاسد . وفي المضاء بالسيف ،وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس . فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة ،لم يكن للمعنى قدر . . .

" وفي مكان اخر يقول = " وللشعراء الفاظ معروفة ،وامثلة مالوفة لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولا ان يستعمل سواها واذا عدت بالقارئ الكريم الى العسكرى راه لا يختلف كثيرا عن صاحبه ابن (٣) رشيق حيث يقول = " ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ،ممن تقدمهم ،والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم اذا اخذوها ،ان يكسوها الفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض من تاليفهم . فالمعاني مشتركة (٤) بين العقلاء ،فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ووضعها وتاليفها ونظمها ." فيستفاد من قولهما بان لا اهمية للخلق والتوليد في المعاني . وانما تتوقف على مقدرة الشاعر في الجمع بين الالفاظ جمعا بيانيا جميلا يزيد الى رونق المعنى السابق ،رونقا يكسبه اياه القالب اللفظي .

والعسكرى (٥) يدلل على ذلك ببعض الشواهد الشعرية . واليك مثلا منها = —

هو الشمس وافت يوم دجن فافضلت على كل ضوء والملوك كواكب

فقال الثاني :-

بانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفي شرعه ان الثاني احسن السبك . ولعل الجرجاني (٦) يفضل صاحبيه حيث يقول = " فاذا رايت البصير (٧) بجواهر الكلام يستحسن شعرا ، او يستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول = حلو رشيق ، وحسن انيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن احوال ترجع الى اجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل الى امر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده . واما رجوع الاستحسان الى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، وكونه من اسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا . وهو ان تكون اللفظة مما يتعارف الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشيا غريبا ، او عاميا سخيفا سخفه بازالته عن موضوع اللغة واخراجه عما فرضته من الحكم والصفة ". فهو يرى ان نغمة الالفاظ لا يتوقف على فصاحتها ورنتها فحسب ، بل على كيفية وقوعها

---

(١) العمدة ص ٧٧ (٢) العمدة ص ٨٠ (٣) توفي ابن رشيق في القرن الخامس حوالي سنة ٤٦٣ هـ (٤) الصناعتين ص ١٨٦ (٥) توفي العسكرى حوالي سنة ٣٩٥ هـ (٦) توفي الجرجاني حوالي سنة ٤٧١ هـ (٧) أسرار البلاغة ص ٣ .

في الجملة او في النظم فيقول = " فلو انك عمدت (١) الى بيت شعر او فصل نثر ، فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق وابطلت نقده ونظامه الذى عليه بني ، وفيه افرغ المعنى ، واجرى نحو ان تقول في " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل " منزل قفا ذكرى من نبك حبيب " ، اخرجته من كمال البيان الى محال الهذيان ". وترتيب الالفاظ في شرعه انما يتاثر بترتيب المعاني " المرتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل ".

وهكذا فهو يوفق بين جمال الالفاظ وجمال المعاني . ولعل نقاد العرب لم ينتبهوا الى امكانية ما قد توحيه اللفظة الواحدة من صور واظلال ، الاشياء التي نوه بها بعض الرمزيين اليوم . وانما نظروا الى الالفاظ من حيث فصاحتها مفردة ، وبلاغتها عند التركيب . وغني عن البيان ان العرب لم ينظروا الى القصيدة كوحدة تامة ، بحيث ينظرون اليها كلوحة فنية تجمع شتى الالوان ومختلف الاظلال لتحقيق صورة شاملة من صور الحياة . وانما كانوا ينقدونها كلمة كلمة وبيتا بيتا في كثير من الاحيان . ولعل المعاني عندهم ليست الا ما تحويه الاستعارات والتشابيه . ومنها ما هو عام مشترك وما هو خاص مولد . فالتشابيه المشتركة هي كتشبيه الشجاع بالاسد والكريم بالبحر كما تقدم . فيقول ابن رشيق على لسان حاذق ما يلي =" ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوى الجاهل فيها والحاذق . الا ترى ، لو ان رجلا اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث

وفي الاقدام بالاسد الخ .

ولا مشاحة في أن النقد كان قد مر باطوار مختلفة ففي طوره الاول كان نقدا شخصيا مرجعه الاستحسان الشخصي والذوق الفردي على غير ما تحديد لهذا الذوق . واحكامه اذ ذاك اوليه ساذجة وان يكن بعضها لا يخلو من اصابة . وهي التي نراها مبعثرة في متون الكتب الادبية كالاغاني والعقد الفريد . وقد يكون منها بعض هذه الاحكام . " قيل لابي (٢) عمرو بن العلاء اى بيت تقوله العرب اشعر . قال البيت الذى اذا سمعه سامعه ،سولت له نفسه ان يقول مثله . ولان يخدش انفه بظفر كلب اهون عليه من يقول مثله . وقيل لعميرة ،ما اشعر بيت قالته العرب . قال الذى لا يحجبه عن القلب شيء . وقيل للاصمعي اى بيت تقوله العرب اشعر . قال الذى سابق لفظه معناه ". واما في الطور الثاني وفي الثالث فقد اخذ النقد بالتوسع فاصبح يعنى بالاستعارات والتشابيه وما اليها . ومقاييسه اذ ذاك مستمدة في الغالب من اقوال فحول الشعراء . ولعل الطور الاخير هو طور النقد الفني الذى يعني بوحدة الشعر بوجه عام . فينظر الى مزايا الجمال والقبح فيه ،بالنظر الى تآلف الاجزاء واختلافها ،الى اتزان الانغام وتشويشها ،الى انسجام الالوان وتنافرها ،وبالتالي الى وحدة الموضوع من حيث الاتجاه العام . ومن ثم الى شخصية الشاعر واثرها المستقل ،في ادبه . ولعل العرب لم يعرفوا هذا النقد الفني الا في نهضتهم الاخيرة . وذلك عندما اخذ ادبهم يحتك بالادب الغربية التي من ابرز صفاتها الوحدة والتمركز لا فرق كان هذا في موسيقى الشعر او في غرضه ورسالته . وبالطبع فقد كان الاديب اللبناني اسبق من سواه الى الاخذ بسنة الشعر الحديث والعمل بمقاييسه . وذلك عائد الى اتجاه لبنان الى العالم الغربي والى الادب الغربي . ولهذا الاتجاه اسباب كثيرة ،تمتد بجذورها الى استقلال لبنان سنة ١٨٦١ وايجاد الكليات العلمية (٣) والادبية فيه ، والى هجرة السوريين واللبنانيين الى امريكا وغيرها من بلاد الله ،تحت عامل الضغط الاقتصادى والاستبداد . وكانت مسيحية لبنان مساعدا اساسيا في ذلك الميل الى الغربيين والاخذ عنهم . يؤيد ذلك ما يذكره الاديب الكبير الاستاذ احمد امين في تحدثه عن مدحت باشا واصلاحه ،وعبد الحميد وظلمه . " فالامراض (٤) فاشية والجهل عميم . والمسلمون في ذلك اسوأ حالا من المسيحيين . لان الجمعيات المسيحية في الامم الغربية تعين مسيحيي الشرق بفتح المدارس لهم ا ونشر التعليم بينهم ا والمسلمون حائرون بين اقدام على التعليم في هذه المدارس ،مع التعرض لما يمس دينهم ،وبين الاحتفاظ بدينهم ومعه الاحتفاظ بجهلهم ."

لا اخالنا نغالي في شيء اذا قلنا ان الفضل الاول في النهضة الادبية الحديثة يرجع في الدرجة الاولى الى مسيحيي لبنان

---

(١) اسرار البلاغة ص ٢ (٢) العقد الفريد ج٣ص ١٤٢ (٣) اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر — النصولي — ص٣٦ فتحت المدرسة ابوابها في ١٦ اكتوبر سنة١٨٦٦ وقد تخرج منها اول صف طبي بعد انهاء دروسه سنة ١٨٧١ ومنهم الدكتور شميل صاحب مجلة الشفاء كما جاء في مجلة المقتطف السنة السابعة ص ٣٨٨ وكانت الدروس تلقى بالعربية فالف وعرب ولخص اساتذتها وفي طليعة فانديك جملة طيبة من الكتب العلمية وشرعت المطبعة الاميركية تنشر المؤلفات المدرسية (٤) الثقافة عدد ٥٩ ص ٤ سنة ٥

الامر الذى يعترف به اخوانهم العرب في سائر البلاد العربية . من ذلك ما يقوله الروائي توفيق الحكيم :—

" فادبنا الحديث ادب (١) مراحل متتابعة متكاملة ، بل ادب موجات متداخلة احيانا تتدفع كل منها في وجهة خاصة من وجهات التيار ، وتتاثر بدفقة اختها ولكنها تحمل شيئا خاصا بها لا تعرفه تلك . فالموجة الاولى سورية ، ولقد اندفعت الموجة الاولى من عندكم من سورية ولبنان وهي موجة يمكن ان ندعوها " بالكلاسيكية الجديدة " بعثت الحياة في الادب عن طريق تلقيها الاسلوب القديم ببعض الفكر الغربي . وهي موجة انتجت الشدياق واليازجي وفرح انطون . واخرجت في مصر بعض شعراء الجيل الاسبق وكتابه . ولعل الرمز الاكمل هو تعريب البستاني للالياذة وقد وقفت هذه الموجة على عتبة القرن الحاضر وتتالت قواها فلم تنتج ممثلين كبارا اخرين . والموجة الثانية امريكية ، واذ ذاك انطلقت الموجة الثانية ولكن من المهجر . ففي المهجر للمرة الاولى في ادبنا الحديث ولدت المدرسة الرومانتيكية العربية وانبجس الشعر الغنائي والنثر الصوفي ، حاملا نسيم لبنان الى الحضارة الامركية ممثلا في الريحاني وجبران ونعيمه وابي ماضي ولا ريب ان هذه المدرسة وحدها تمتلك في مدارسنا الحديثة ، شخصية متميزة متماسكة ، ولكن اثرها اضاع اكثر قوته في الصحراء الكبرى في طريقه الى مصر ، ويذكر الحكيم في تتمة المقال ان الموجة الثالثة مصرية ويتنبأ ان تكون الموجة الرابعة سورية لبنانية مرة ثانية . ويمثل هذا البيان تقريبا يدلي الدكتور طه حسين فيقول —

" ان من يزعم من ادباء الشرق العربي المعاصرين انه ليس مدينا (٢) للبنان بشيء من ادب فهو منكر للحق ، كافر للنعمة جاحد للجميل ".

ومما جاء في تعليق الاستاذ محمد حاج حسين على كتاب فائز عون الذى وضعه في ادب فوزي المعلوف ، في اللغة الفرنسية لنيل شهادة الدكتوراه في الادب من جامعة باريس الفقرة التالية :—

" وهنا كنت ارغب (٣) ان يستفيض زميلي عون ، في بحث هذه الحالة الطارئة في الشعر العربي ، ولكنه اقتضبها بخفة ، فان مطران قام باكبر ثورة عرفها الشعر العربي ، فهو الذى نقل الشعر من اغراضه القديمة الى اغراضه الحديثة الى وحدة القصيد والموضوع ، وان كانت بذورها ملقاة في بعض الشعراء القدامى . والحقيقة ان مطران كان يرسل تاملاته الحالمة ، في قصائد " المساء " وغيرها من الوان الطبيعة عندما كان شوقي في هجعته في ظلال القرون الغابرة . وساعد مطران على التجديد والثورة قراءته للادب الاجنبية وخصوصا الفرنسية ودينه المسيحي الذى كان يحرره من ربقة الماضي وتقاليده الراهقة . فكان ينغم عواطفه واصدائه للطبيعة بوحدة موثقة وشوقي غارقا في المديح منكب على التمرغ في القصر ، ذلك القصر الذهبي الذى سجن فيه شاعريته الطليقة ".

ومهما يكن في القول من اسراف ، فالامر الذى لا يختلف فيه اثنان هو ان النهضة الادبية الحديثة مدينة لابناء لبنان في بزوغها ومرد ذلك عائد الى استقلال لبنان داخليا واحتكاكه بالادب الغربي . وكونه مسيحيا لم يتحرج عن الاخذ باسباب المدنية الغربية المسيحية فاكب عليها بمقدار ما

اتيحت له الفرص . واذن فقد انبثقت النهضة الادبية من سماء سوريا اولا والذين رفعوا لواءها عاليا انما هم اللبنانيون . واللبنانيون في دورهم يعترفون بان التجديد الادبي جاء اليهم عن طريق المدارس الغربية . كما يعترف المصريون مثلا ان بزوغ النهضة المصرية الجديثه يعود الى حملة نابليون اولا ثم الى نزوح الشاميين(٤) ثانيا . وقد جاء معنا ان لبنان كان اسبق الامصار العربية الى الاحتكاك بالغرب بالنسبة الى استقلاله ومسيحيته . على ان المدارس التي اسسها الموسلون في لبنان لم تكن في اول عهدها تعنى كثيرا بالعلوم والاداب العالية او بالفنون الجميلة بمقدار عنايتها بالامور الدينية والروحية . مع العلم ان بعضها يرجع الى ما قبل سنة ١٨٦٠ في تاريخ تاسيسها ولكن بعد سنة ١٨٦٠ اخذت المؤسسات التهذيبية تتجه اتجاها علميا واخذت تكثر عددا وتتنوعا . فقد عرفت

---

(١) مجلة اصداء عدد ٦ ص ٣ سنة اولى (٢) مجلة المكشوف ص ١ سنة ١٠ عدد ٣٨٦ (٣) نقلا عن مجموعة قصاصات من مجلات وجرائد مختلفة جمعها الاستاذ عيسى اسكندر معلوف في كتاب خاص . والظاهر ان مقاله هذا كان قد نشر في " مراحل الحرب السياسية " كما هو مكتوب في اعلى القصاصة .(٤) قال المنفلوطي =" ان جرجي زيدان كان رئيس البعثة العلمية السورية التي وفدت الى مصر فغيرت وجه العالم المصرى تغييرا كليا ،وعلمت ابناءه كيف يؤلفون ويترجمون وينشئون الجرائد والمجلات — النظرات ج ٣ ص ١٣٥

سوريا بعد ذلك التاريخ بالاضافة الى الارساليات الاميركية واليسوعية ،الارساليات الانكليزية والالمانية والمسكوبية الروسية . ويذكر المؤرخ جورج انطونيوس " ان ما اسدته المعاهد اليسوعية(١) من خدمة في حقل التهذيب لذو قيمة هامة ،ولكن اثرها في الحقل الادبي ظل ضئيلا بالنسبة الى سواها اى بالنسبة الى الموسسات الاميركية مثلا التي اخذ اساتذتها بترجمة الكتب الانكليزية الى العربية لتكون لغة التدريس مبينها الكتب العلمية والدينية وهذا ما حصل فعلا . كذلك فقد ذكر لي الاديب مخائيل نعيمه شيئا عن المدارس المسكوبية في ذلك الحين يستفاد منه ان المدارس المسكوبية كانت تعني بالاداب العربية عناية خاصة قال = " حوالي سنة ١٩٠٠ قررت الحكومة الروسية ان تحذوا حذو غيرها من دول اوربا في تشجيع العمل التبشيرى تعزيزا لنفوذها الادبي والسياسي . فتاسست جمعية برئاسة الغرندوق سرجيوس واخذت تجمع الاموال للقيام بما هدفت اليه . فكانت المدارس المسكوبية المنتشرة في بعض انحاء لبنان وفلسطين . من ذلك مدرسة المعلمين المسكوبية في الناصرة وهي التي درس فيها عبد المسيح حداد ونسيب عريضه ومخائيل نعيمه . والشيء الذى يعني اليه حضرته والذى يجب ان يذكر في هذه المناسبة هو قوله = ولعل مدرسة الناصرة هي اول مدرسة ارسال في الشرق الادنى عنيت بامر اللغة العربية وتدريس ادابها . فقد كنا ننقل على دفاترنا ما كان يملى علينا من دروسها مترجمة عن اللغة الروسية من قبل احد المستشرقين الروس وليتني اذكر اسمه ."
على ان هذا كله لا يكفي لان يكون سبيلا الى التعرف بالاداب الغربية فقد ظلت هذه الاداب مجهولة او غير معمول بمدارسها حتى تجلت غيوم الحرب العظمى عن انبثاق عهد جديد وقد انطوى سفر بني عثمان لينشر مكان سفر آخر .

واما ادباء المهجر فقد تسنى لهم ان يحتكوا احتكاكا مباشرا بالاداب الغربية وبادبائها . يدلنا على ذلك انخراط بعض ادبائنا هناك في سلك جمعياتهم الادبية كما كان الريحاني مثلا عضوا في نادي(١) الثريا الامريكي الادبي . والمطلع على مجلات المهجر الادبية يجد ان تلك المجلات قلما تخلو من مقال او قصة او شعر مترجم وليس من الضروري ان يكون الشاعر المترجم عنه شاعرا امريكيا . فقد اخبرني نعيمه ان القرن التاسع عشر لا يعرف شاعرا امريكيا لا معا كما هي الحالة اليوم وهولاء معاصرون لنا فاستنتجت من حديثه انه لم يتاثر كثيرا بالادب الاميركي المعاصر . ولعل شعره متاثر بالادب الروسي فقد اخبرني ان قصيدته " النهر المتجمد " المنشورة في ديوان " همس الجنون " كانت قد نظمت اولا في اللغة الروسية . على ان الريحاني يعترف (٣) بفضل الشاعر الامريكي ولت وتمن وجعله اول الداعين الى الشعر المنثور كما سيجيء . كذلك نعيمه يحدثنا باثر وليم (٤) بلابك الشاعر الانكليزي في الادب الجبراني ثم بتاثره بعد حين بالادب الالماني او بادب نيتشه . وبعد فانك عندما تطلع على ما كتب ادباؤنا من مؤلفات ، تؤخذ بما تجده فيها من مقتبسات ادبية لسواهم من ادباء الغرب والشرق . ولعل اكثر ادباء الشرق اثرا في آدابهم المذكورون منهم كالمعري والخيام والغزالي وابن سينا . هذا وللمجاري الفلسفية والعلمية كما للثورات السياسية والاجتماعية الغربية ، اثر ظاهر لا يحتاج الى برهان قال الريحاني :

" فمن المصلحين العثمانيين الى المصلحين الروسيين مرحلة قصيرة ، وتكاد اسباب مجلس المبعوثين تتصل باسباب مجلس الدوما . وفي الدوما تتجلى لنا ارواح باكونين وتحد غانيف وتولستوي وغوركي . وهولاء منبثقون من فولتير وروسو وديدرو وهوغو . وروسو فلتير وهوغو لديتون لكالفين وجون نكسي ولوثيروس ، بكثير من الحرية التي تنبعث اشعتها من اقوالهم . فالثورة الروسية اذا هي ابنة الثورة الفرنسية وكلكم على ما اظن تعلمون ذلك . والثورة الافرنسية وهذا ما لا اظنكم تعلمون هي احدى نتائج الثورة الروحية التي اطلقت ضمير الانسان من قيود الخرافة السوداء ".

لا اريد ان اذهب بالقارئ الكريم بعيدا ، ولكنني احببت قبل الرجوع الى ما نحن في صدده ان اشير الى بعض تلك العوامل التي دفعت المهجريين للثورة على بعض ما في الادب العربي القديم من مقاييس ، لاستخدام غيرها مما يناسب نهضتنا الحديثة تمشيا مع روح العصر . فقد ذكر البعض من مؤرخي هذه النهضة الحديثة ، ان العنصر الجديد الذي نراه في ادبنا العربي الحديث ، عنصر غربي في اصله . وهذا

---

(١) يقظة العرب ص ٤٥ (٢) ذكرى الريحاني ص ٨ (٣) الريحانيات ج ٢ ص ١٨٢ (٤) جبران خليل جبران ص ٩٩ (٥) الريحانيات ج ٢ ص ٣٧ .

مما لا ريب فيه . ولكنهم قلما يعينون الزمان والمكان بصراحة وجلاء فالاستاذ عون الذى وضع كتابا في ادب فوزى المعلوف ، لنيل شهادة الدكتوراه في الادب من جامعة باريس كما تقدم ، يذكر ان مطران كان(١) المجدد الاول في الادب العربي في ادبه الرومانتيكي وقد يكون في قول ذلك شيء من الصحة . ولكن المطلع على ادب مطران وشعر مطران وما كتب مطران لا يجد اثرا واضحا لهذا التجديد او دعوة صريحة اليه . فان مطران وان كان قد انصرف بعض الشيء عن المدح والفخر والرثاء ، الامور التي شغلت شوقي بك زمنا طويلا ، الى المواضيع التاريخية المختلفة وغيرها ، فانه ظل حريصا على مقاييس الاولين كل الحرص ، ولا سيما في الاوزان واللغة . وقد يكون في قصائده التي وضعها في نيرون وبزر جمهر وامثالهما شيء من الادب الكلاسيكي لا الرومانتيكي الا اذا كان الاستاذ عون يشير الى ادبه " الطبيعي " او الى قصصه الشعرى . او شعره القصصي . وقد يكون من الخير ان ناخذ راى مطران في القضية .

" اثيرت في اخريات هذه السنين حركة عمد منيروها الى احداث ريب في النفوس(٢) من جهة اصلاح اللغة العربية الفصحى او كفايتها لمجاراة العصر في مقتضياته حتى الادبية منها . ويقيني انه اذا هناك قصور فهو منا وليس منها " الى قوله =" الاديب هو الذى يحسن التعبير بالاصطلاحات المتواضع عليها في كل لغة عما يوحيه اليه عقله ، او تجيش به نوازعه واهواؤه او يقع عليه حسه ، مصوغا في الفاظ فصيحة ، مفرغا في قالب اصيل ، والسر كل السر في احسانه الابانة ، ان يملك لغته فيصرفها في الاداء تصريف المتضلع منها المستبحر في فنونها ، البصير في مفرداتها ، الخبير بتراكيبها المتشبع بروحانيتها "

فالمستفاد من كلامه ان الشاعر يتوجب عليه ان لا يخرج على اوضاع اللغة مهما كلفه الامر . ويلاحظ من كلامه انه لا يختلف كثيرا عن اقوال ابن رشيق والعسكرى وابن قتيبة وسواهم . ولعل تمسك مطران بالاساليب القديمة والمقاييس القديمة هو الذى حمله على نظم قصيدته " الطويلة النفس " وان شئتم ملحمته الكبرى في نيرون ، اذا جاز لي هذا القول ، على روى واحد من اولها الى اخرها ، فجاء حرف الراء مكررا في اكثر من اربعمئة قافية . وقد فعل ذلك بكثير من الاجهاد والتكلف ليكون ذلك " الاديب المتضلع من لغته ، المستبحر في فنونها ، البصير بمفرداتها ، ولكن حرصه هذا على ان لا يعيد القافية الواحدة مرتين وهو يلتزم رويا واحدا في قصيدة هذا طولها ، قاده الى ما قاد المعري الى لزوم ما لا يلزم . وفي ذلك من التكلف ما فيه واذ ذاك لا بد للشاعر من السير على ضوء المعاجم اجل قد يكون ان مطران تاثر بالادب الغربي ، وبدوره عاد فتراءى اثرا في الادب العربي المعاصر ، ولكن اثره هذا يبقى ضئيلا ، اذ كان عليه ربما ان يجارى الوسط الذى يعيش فيه في امور عدة . وبذور التجديد في ديوانه قليلة كما يلاحظ وهب مطران كان متجددا في ادبه مؤمنا برسالة التجديد فهل كان بامكانه في ذلك الحين ، ان يدعو الى ثورة ادبية كما فعل المهجريون . المعقول ان يكون مطران قد بدأ يجدد كما يلاحظ في بعض قصائده القصيصة ، ولكن تجديده كان من ناحية الفرض وليس من ناحية الاسلوب واللغة والوزن . ولعله لم يمض في تجديده الى النهاية لئلا يتهم بالمروق من اقداس الادب الصحيح .

وقد يكون من العدل في شيء ، ان نطلع على راي المهجريين في شأن التجديد قبل ان نبحث في مقاييسهم التي نادوا بها :—

" ما رايك في الحركة التجديدية في الادب العربي . فاجاب امين الريحاني " انها ابتدأت في الريحانيات (٣) والجبرانيات فهي لبنانية لا مصرية . على انها لم تكن مقبولة عند بدء ظهورها وذلك لامرين الاول قيامها بفكر جديد متطرف والثاني بروزها في قالب خشن . قلت ان روح التجديد بدأت في اللبنانيين غير انها ما لبثت ان تغلغلت في المصريين حيث اتخذت شكلاً جديداً اقرب من لغة القرآن في الاسلوب واقل تطرفاً في الفكر . والاسبقية اليوم بيد المصريين بحملها ثلاثة او اربعة من ادبائهم طه حسين وهو افرنسي الثقافة ، سهل ممتنع في جميع ما يكتب عيبه الاكبر التكرار . وحسين هيكل وهو الماني الثقافة قد لا يخلو من التعمد . ومحمود العقاد وهو انكليزي الثقافة ، لا يقل عن رفيقه تعمداً . بقي اسماعيل مظهر وهو في نظري مفكر كبير انما تنقصه تلك الروح المحركة التي اسميها ديناميت الادب .

محرر مجلة الرياضي في انطلياس — هل هناك تجدد في الشعر اللبناني اليوم .

---

(١) اطروحة عون ص ١٤ (٢) المقتطف ج ٥ مج ٧٧ ص ٥١٧ — ٥١٩ (٣) مجلة السمير ص ٣٠ في ايار سنة ١٩٣٣ .

الريحاني — كلا وقد كنت ولا ازال اعجب من بعض شعرائنا يتعملون المعاني تعملاً . ثم ان القافية والوزن اللذين يعبدهما العرب ، قيد ثقيل على الشعر . انها منافية لروحه . سر الشعر ان يكون طبيعياً متدفقاً في النفس . والوزن يقول له لا تستطيع ان تخرج الا بهذا الطريق كما يقول الانبوب . زد على هذا كله ان اكثر القصائد العربية عديمة الوحدة التي هي من اساسات الفن وبهذه المناسبة اقول ان الشاعر ايليا ابو ماضي هو الوحيد الذى يحافظ على هذه الوحدة ".

فاذا ما تدبرنا قول الريحاني وجدناه يعترف ضمنا ان الاسبقية في التجديد عائدة له ولامثاله من المهجريين كجبران وابي ماضي وسواهما ولعله مخطئ في قوله الشعر اللبناني ليس فيه شيء من التجديد والوحدة . فقد يصح حكمه هذا على ادباء الرعيل الاول كشعراء بني اليازجي والبستاني والحوراني والكستي وامثالهم وعلى بعض رجال الرعيل الثاني كالقلاييني وحليم دموس وناصر الدين ، وعلى شبلي ملاط وبشاره الخوري الى حد ما . اما شعراء الشباب اذا جاز هذا القول امثال امين نخلة والياس ابي شبكة وغصوب ومعلوف وعقل وصلاح لبكي والاسير وثابت وحيدر وعمر ابو ريشة وبدوي الجبل وبدر ... من شعراء سوريا النابهين وغيرهم من الشعراء الناشئين فقد تاثروا بالادب الغربي الى حد بعيد . وكيف كان الحال فادب المجددين سواء كانوا من رجال الوطن او المهجر ، يرى مطبوعاً بطابع الغرب

ومدارسه الادبية . وما المدرسة الرمزية التي يدعو اليها سعيد عقل وامثاله من الشعراء سوى مدرسة غربية وهي في الاصل افرنسية(١) كما تذكر دائرة المعارف البريطانية . ثم ان الوحدة التي يشير اليها الريحاني ليس من الضروري ان توجد في الشعر الغنائي الذى هو في الغالب نفثات متقطعة تخرج من موشور الوجدان ملونة بالالوان المختلفة والرغبات المتباينة . وانما هي من خصائص الشعر الملحمي والقصصي التي تتضافر اجزاؤه فتتجه اتجاها واحدا الى هدف واحد يرمي اليه المخرج الادبي . هذا وما يصح على تطور الشعر في لبنان ينطبق عليه في سائر الاقطار العربية ولعل الشاعر علي محمود طه في طليعة شعراء مصر المجددين . على ان التجديد في الادب المهجرى كان على درجات اوسع وقدجاء مصحوبا بابواق الدعاية وطبول الثورة . وآية القول هو ان التجديد جاء الينا عن طريق الغرب واول من تنبه اليه كان الادباء اللبنانيون وخصوصا ادباء المهجر لاحتكاكهم المباشر بالادب الغربي او الاجنبي بصورة عامة اذ قد يكون التجديد الذى يرى في الادب العراقي اتيا عن طريق الفرس او الاتراك ولعل في ترجمة رباعيات الخيام التي قام بها الشاعر احمد الصافي النجفي خير دليل . واذا كان لا بد من حصر الموضوع قلت ان التجديد بطبله وزمره جاء الينا عن طريق المهجر وبصورة خاصة عن سبيل الولايات المتحدة . تلك البلاد التي تاخذ بكل مبدأ جديد وتدعو الى كل دعوة جديدة لا فرق كانت من نتاجها او من نتاج سواها . وقد مر معنا ان مهجريي الجنوب اى امريكا الجنوبية كانوا غير راضين عن حركة اخوانهم كل الرضى . ولكنهم ما لبثوا ان اطمئنوا اليها بعض الاطمئنان قال شفيق المعلوف :-

انهم بالتجديد(٢) في شعرنا العربي ، ان نرأب ثلمة لا ان ننخر ثلمات ، وان نخرج به من المحاكاة الى الابتكار ، مستحدثين له المعاني التي نريدها نحن ، لا التي تجرنا اليها القافية ، دون ان نخرج على روح اللغة وروابطها الصحيحة . او نتنزل عن تخيلاتنا الشرقية الموسومة بطابع خاص يميزها عن تخيلات شعراء الغرب ".

ففي كلمته هذه شيء من الايمان بالتجديد بلكنه حريص على ان لا يساء فهمه فيعد من " الخوارج ". وسنعود الى هذا الموضوع في مناسبة ثانية بعد ان نكون قد عرفنا شيئا من مقاييسهم الادبية . ولعل في اطلاعنا على ما وضعوا لنا من المقاييس ، سبيلا الى التعرف بما عندهم من نتاج ادبي . قال نعيمه في غرباله تحت موضوع المقاييس الادبية =" اذا كان في الادب(٣) من اثار خالدة ، ففي خلودها برهان على ان في الادب ما يتعدى الزمان والمكان . وجلي ان المقاييس التي نقيس بها مثل هذه الاثار ، لا تتقيد بعصر ولا تتعلق بمصر . اذن ففي الادب مقاييس ثابتة تتجاوز الزمان والمكان . وقيمة الامور الروحية انما تقاس بالنسبة الى حاجاتنا الروحية واهمها =

اولا .— حاجتنا الى الافصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية ،من رجاء وياس ،وفوز وفشل وايمان وشك وكل ما يتراوح بين اقصى هذه العوامل وادناها من الانفعالات والتاثرات .

---

(١) الموسوعة البريطانية طبعة ١٤ تحت المادة ذاتها (٢) ذكرى فوزي المعلوف ص ٢١
(٣) الغربال ص ٧٠ — ٧٥ .

ثانيا .— حاجتنا الى نور نهتدى به في الحياة ، وليس من نور غير نور الحقيقة ،حقيقة ما في انفسنا وحقيقة ما في العالم حولنا .

ثالثا .— حاجتنا الى الجميل في كل شي ،ففي الروح عطش ولا ينطفي الى الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال .

رابعا .— حاجتنا الى الموسيقى التي ان لمفردات اللغة التي نصوغ منها منشوراتنا ومنظوماتنا صفات عجيبة وميزات غريبة . فلكل كلمة معنى او روح ولكل كلمة رنة ولكل كلمة صبغة او لون "الى قوله=" ومنهم ،وهم قليل ،من جمع بين دقة الافصاح وجمال التركيب وعذوبة الوقع وحلاوة الحقيقة .من هذا النوع مؤلفات شكسبير . فليس من كل ما ظهر في العالم حتى اليوم من شعراء وكتبة ،تمكن من ان يجوب اقطار النفس البشرية كما جابها هذا الممثل الانكليزى " الى قوله = لا اعلم كيف وصلنا الى هذا الحد من الهبوط وعندنا من الاثار الادبية ما لو نقيس بادق المقاييس لكان راجحا كقصائد ابي العلاء ،الذى جمع في كثير منها بين دقة البيان وجمال التنسيق ورنة الوقع وصحة التفكير".

يستدل من مقايسه ان الادب اخراج فني ورسالة عاليه وخير الادب ما كان صورة صادقة للحياة بحيث يتغلغل الاديب الى اعماق النفس البشرية فيرسم ما يجول على صفحاتها من رغبات وينعكس من امال . ويلاحظ ان ادباء المهجر عموما معجبون بادب ابي العلاء المعرى لما فيه من جمال الحقيقة وصحة التفكير . ويكاد الاستاذ نعيمه يتفق مع زميليه جبران والريحاني في الراى . فجبران يضيف الى ذلك قائلا = ان للشاعر حاسة سادسة فهو يرى ما يراه الغير و يسمع ما لا يسمعه سواه . " ينظر الشاعر الى وردة (١) ذابلة فيرى فيها ماساة الدهور ،ويشاهد طفلا راكضا وراء الفراشة فيرى فيه اسرار الكون ،ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الارض والسماء ،يقف الشاعر امام شلال فيقول =

فيه من السيف الصقيل بريقه	وله ضجيج الجحفل الجرار
ابدا يرش صخوره بدموعه	اتراه يغسلها من الاوزار ."

هذا وجبران لا يكتفي باداء رايه مهادئا او مسالما ولكنه ثائر من درجة اولى غير انه لا يهدم

شيئا الا ليبني سواه . " لكم من(٢) لغتكم العروض والتفاعيل والقوافي ،ويحشر فيها من جائز وغير جائز ،ولي منها جدول يتسارع مترنما نحو الشاطئ، فلا يدري ما اذا كان الوزن في الصخور التي تقف في سبيله ،ام القافية في اوراق الخريف التي تسير معه ."

ويثور جبران على اغراض الشعر فيقول = " لكم منها الرثاء والمديح والفخر والتهنئة ،ولي منها ما يتكبر عن رثاء من مات وهو في الرحم ويابى مدح من يستوجب الاستهزاء . لكم منها " الفصيح " دون " الركيك" " والبليغ " دون " المبتذل " . ولي منها ما يتمته المستوحش وكله فصيح وما ينفض به المتوجع وكله بليغ ،وما يلثغ به الماخوذ وكله فصيح وبليغ".

وله مقالة في موضوع " شعراء المهجر " ولعلها رد على بعض شعراء امريكا الجنوبية ممن كانوا ياخذون عليه وعلى امثاله خروجهم على مقاييس " الفصاحة " و " البلاغة " الى " الركالة والابتذال " . ولعل القارئ ما يزال يذكر بيتين (٣) الياس فرحات العار ذكرهما في ازدراء الادب العربي في امريكا الشمالية ،فيقول جبران = " لو تخيل الخليل (٤) ان الاوزان التي نظم عقودها واحكم اوصالها ستصير مقايسا لفضلات القرائح وخيوطا تعلق عليها اصداف الافكار ،لنثر تلك العقود وفصم عرى تلك الاوصال " الى قوله = " الشعر يا قوم روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحيي القلب وتنهدة تسرق من العين مدامعها ، اشباح مسكنها النفس وغذاؤها القلب ،ومشربها العواطف ، وان ~~لم يضع مقاييس واضحة معينة مفرغة في قالب من الكلام المسؤول~~ . جاء الشعر على غير هذه الصور فهو كمسيح كذاب نبذه اولى "

ومما لا شك فيه ان جبران ،وان لم يضع مقاييس واضحة معينة مفرغة في قالب من الكلام المسؤول كان في طليعة من دعا الى نبذ ما في الادب القديم من مقاييس تقليدية عقيمة. فقد كان بعض نقاد العرب ،ان لم يكن كلهم ، يمتدحون الشاعر الطويل النفس ،الكثير النتاج ،الصناع في محاكاة من سبقوه من القدامى ،على غير ما اعتبار احيانا ،لمادته . فكثيرا ما كان " الكم الوزني الادبي " دليلا على تفوق الشاعر . وبعبارة ثانية فان بعض النقاد كانوا يقيسون الشاعرية احيانا

---

(١) ديوان ابي ماضي ج ٢ ص٣ (٢) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٥٢ (٣) ص ١٢ من هذا الكتاب (٤) دمعة وابتسامة ص ٧١

بمقياس الكمية لا مقياس النوع . ومع ان مقاييس جبران لم تكن واضحة في حدودها ولكنها كانت واضحة فيما كتب والف بالرغم مما اخذ عليه من اخطاء لغوية وبيانية ولعله بحق زعيم المدرسة المهجرية فاغراض الشعر التي نظر اليها القدماء نظرة تقدير واعجاب ،في قولهم مثلا في امرئ القيس " اول من وقف واستوقف وبكى واستبكى " ينظر اليها هو واصحابه في المهجر نظرة استخفاف واستهجان نظرة تختلف عن نظرة ابي نواس " الشعوبية " في التهكم المر والازدراء لاطلال العرب واسباب معيشتهم .

واذن فدعوة المهجريين الى التجديد في القرض والاسلوب كانت واضحة بحيث لا تحتاج معها الى دليل . سواء في المقاييس التي وضعوها او في المقالات والقصائد التي نثروها ونظموها . اجل قد تكون رغبة جبران في التخلص من بعض قواعد اللغة راجعة الى ضعفه اللغوى الشيء الذى يشير اليه نعيمه في كتابه جبران خليل جبران حيث يقول .

" كان جبران(١) يقرأ ويلحن في قراءته الى حد انه لو سمعه رجل غريب لا يعرفه ولا يعرف عنه شيئا لقال قارئ القصيدة غير ناظمها . وقد نبهته الى بعض هفوات نحوية منها قوله =

فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر(٢)

فلم اتمكن من اقناعه ، لا بالاعرابي ولا بالمنطق . لكنه قال لي انه اذا توفق الى قافية تاتي بذات المعنى او باقوى منه بدلها منها والاترك البيت على حاله . ويشير نعيمه في ذيل الكتاب الى البيت هذا غير في الطبعة المصرية فجاء —

" وسارق الحقل فهو الباسل الخطر "

ولعل الريحاني كان في دعوته الى التجديد اكثر تحفظا من سواه ، ومع هذا فقد ثار على الرجعية مرارا سواء في الحقل الادبي اوالاجتماعي او السياسي . وله في الشعر والشعراء اقوال واراء قد يصح اتخاذها كمقياس ادبي من درجة عالية .

" اما الشاعر الكبير (٣) ، شاعر العالم وكل زمان فهو قلب العالم وعقله ، والشاعر الصميم من تمشى في ظلال الحقيقة فتتبع اشعتها حتى النهاية ، فيكتشف حقائق اخرى هي من حقائق الحياة كالنور من الشمس . ولا اظن ان هذه المزايا كلها اجتمعت لشاعر واحد من شعراء العرب كما اجتمعت لهو ميروس وشكسبير ". وترى الريحاني في مقال اخر يقلد متهكما اصحاب المقامات معرضا بما كانوا يشغلون به انفسهم من ترهات . وقد اشغلهم اللفظ الغريب عن حقيقة الحياة . ونحن نعلم ان اخر من الف في المقامات كان الشيخ ناصيف اليازجي او لعله اشهر من الف فيها من ادباء القرن التاسع عشر . واذن ففي قول الريحاني شيء من الاشارة الى اولئك وامثالهم ، حيث يقول =

" وفي صفاريت من الادباء يطوفون حول القصور المشمخرات علهم يفوزون بشيء من اعلاق السراة ، او في خريت من ولاة الامر خيدع ، او في متنطع مخر نبق ، دفطس (٤) وفته في حشو جوجؤه بما لا يفيد من العلوم . او في — ولكن البساطة اولى واشفى . مالنا وخطبة لم تفتق رتق سمع ، ولا خطب مثلها في جمع " هذا وقد وضع الريحاني في اخر ايامه كتابا موضوعه " انتم الشعراء " وجهه الى شعراء الدموع امثال بشاره الخوري على اثر ازدراءه بشعره الباكي مما غضب بشاره واصحابه فاجابوه بكتاب اخر موضوعه " اجل نحن الشعراء " وكان ما كان مما لست اذكره . وبالطبع فشعراء لبنان ليسوا بحاجة بعد الى كتاب الريحاني وقد اطلعوا على الادب الغربي اطلاعا واسعا . واثر الادب الغربي في نتاجهم الادبي لا يحتاج معه الى برهان . وللاديب كرم ملحم كرم مقالات عدة ينوه فيها ليس بتاثر ادبائنا فحسب بل يشير صراحة الى سرقاتهم واحدة واحدة . من ذلك ما اخذه على الشاعر الياس ابي شبكة في سرقاته عن الادب الفرنسي (٥) مؤيدا ذلك بالشاهد والدليل.

ولم يسلم بشاره الخوري من التهمة ايضا . فان افضل ما يرى من قصائده وهي قصيدة الا المسلول كان قد استلهم فيها الشاعر الفرنسي الرقيق الفرد دى مسه في قصيدته " الكاس والشفاه" (A.de Musset, La Coupe et les lèvres) وكيف كان الحال في كتاب " انتم الشعراء " للريحاني شي من المقاييس التي دعا اليها المهجريون ومنها العمق في التفكير بحيث يكون

---

(١) جبواه خليل جبران ص ١٦١ (٢) وتحويره الباسل الخطوة مفعول به ثاني. (٣) الريحانيات م ٣ص ٣٦ (٤) الريحانيات ج ٢ ص ٩٦ (٥) راجع مجلة الامالي السنة الاولى عدد ٣٠ ص ٣ والاعداد التي تليه .

الشاعر شاعرا وفيلسوفا في آن واحد . " وانك لتجد الفلسفة البعيدة(٦) الغور والمرمى في شعر غوته الالماني (Goethe) وفي شعر وضزورث (Wordsworth) الانكليزي . ناهيك شكسبير (Shakespeare) وما احاط به في شعره ورواياته من طبقات النفس والفكر ،ومن افاق الخيال والتصور ،ومن جوامع الادب والفلسفة . وما قولك ايها القارى الاديب ،بابي العلاء شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء . وما قولك بالفارض شاعر التصوف والفلسفة الالهية . وهل اذكرك بقصيدة الفيلسوف ابن سينا في النفس .

هبطت اليك من المحل الارفع　　　ورقاء ذات تعزز وتمنع

ان في نبات خيال الشعراء العبقريين ونبات افكار الفلاسفة الكبار لفلسفة هي الشعر ،وشعر هو الفلسفة ، اما الحقيقة الكبرى — الحقيقة السابقة الشاملة الدائمة الثابتة ، انما هي التي تجمع بين الحقيقتين ،بين مايدركه الشاعر بحسه الدقيق وما يدركه الفيلسوف بعقله المحيط . هي حقيقة غوته في فوست " Foust " وهي حقيقة شكسبير في " هملت " (Hemlet) وهي حقيقة المعرى في اللزوميات " ثم ينتقل الى الشعر الباكي فيقول = " هولاء يبكون ويتوجدون اما تقليدا لان بدويا في قديم الزمان بكى الاطلال والدمن — واما تمويها ،لانهم تعلموا في المدارس ان الشعر من الشعور — فقط — وان اشد حالات الشعور في الشعر — هي الدموع" . الى قوله =" وهل في شعرائنا نحن العرب من كان اسوأ خطا ،واشد بوسا ،وارق شعورا ، من رهين المحبسين ابي العلاء . ومع ذلك فانك لتنسى المه الشخصي عندما تسمع في شعره انة الالم القومي ، بل الانساني ."

وفي هذه المناسبة ،ارى من الخير اثبات راى شاعر مهجرى في الموضوع ،فقد عثرت على مقالة تهكمية لاذعة يوجهها ابو ماضي الى الاديب سليم ابي جمره من ادباء بيروت من اجل شعره الباكي ،في قصيدته ، " حملت سراجي ثلاثين عاما " حيث يقول =

حملت هموم الحياة طويلا　　　ولدت وجاء الشقاء معي .

فيقول ابو مضي = " صاحب[٧] هذه المقاطع الشعرية الباكية في ضعف وخور ، المرتجفة في كآبة وقنوط . في الثلاثين من عمره كما يعترف في العبارة التي توجها بها وهي " حملت سراجي ثلاثين عاما " وهي السن التي يقتحم فيها الشباب المخاطر ضاحكا ويركب الاهوال طروبا الخ .
وهو كما تدل صورته المنشورة فوق القصيدة غير دميم الخلقة ، وغير مريض وغير ذي عاهة . ولا يبدو من سيمائه ولباسه انه فقير او جائع ولكنه يبكي " ولعل ابا ماضي اراد من نقده هذا ان ينبه القارئ الى ما هنالك من فرق كبير بين شاعر يبكي واخر يبتسم وقد نشر قصيدته " فلسفة الحياة " التي مطلعها " ايها ذا الشاكي " في العدد ذاته .

ايها ذا الشاكي وما بك داء كيف تمسي اذا غدوت عليلا

ولا ارى المجال يتسع الان للرد على ابي ماضي ولعلنا نلتقي مرة ثانية . وهو في اعداد ثانية من مجلة السمير يهاجم اصحاب المعارضات الشعرية لانها تسلب المرء شخصيته الادبية وتذهله عما في نفسه فيتحدى غيره محسنا ومسيئا دون ان تكون له غاية يعرفها او غرض يرمي اليه . " ما اضل المقلدين [٨] الذين يتركون مصدر الالهام الاول لكل شاعر ، وهو الحياة نفسها ويعكفون على معارضة قصيدة لشاعر غير ، لا عصره عصرهم ، ولا محيطه محيطهم ، ولا حياته حياتهم ولا الوان عواطفه وامانيه كالوان عواطفهم وامانيهم ".

الى قوله = " اما الذين يطربون لهذا التخلبط في الشعر فانما يطربون لانهم لا ينظرون الى القصيدة على كونها صورة فنية لا يكفي ان تكون فيها الوان زاهية والوان قاتمة بل يجب ان يكون بين هذه الالوان تناسب وتجانس وان يكون لكلها معنى شامل قصد اليه الشاعر عندما رصف قوافيه الكثيرة . . . "

واذن فمن الاشياء التي يريدها ابو ماضي لاخوانه الشعراء هو ان يكون شعرهم صورة للحياة . وصورة فنية . شاملة تتمازج الوانها وتتالف اظلالها ، بحيث يكون هناك شيء من النسبة والتناسب بينها هذا وذاك لابراز فكرة واحدة . ويستفاد من كرهه للشعر الباكي وللغزل المذكر [٩] كما يشير الى ذلك في اخر المقال ، وللمعارضات الشعرية ، ان الشعر الراقي هو ما خلا من تلك الاشياء وانما هو الشعر المبتكر المستقل الذي يقوم على اساس الشخصية الشعرية والرسالة التي يدعو اليها الشاعر . وهو اشد ما يكون

---

(٦) انتم الشعراء ص ٤١– ٤٣ (٧) مجلة السمير ص ٦٢٧ سنة ٣ عدد ١٤ (٨) مجلة السمير سنه اولى عدد ٩ ص ٣٨٦ – ٣٨٧ (٩) قلما تجد شعرا مهجريا في خطاب " الحبيب " مع انه ليس في قول الشاعر يا حبيبي مايفيد المذكر دائما فصيغة فعيل هذه ترد بمعنى المحب والمحبوب ولكنهم كما يلاحظ من تشبيبهم ابوا الا مناجاة الحبيبة واستخدام صيغ التأنيث الصريحة

كرها للشعر التقليدى ولاصحابه من الشعراء والداعين اليه او المؤمنين به . وهو يكره ان يكون هناك امارة في الشعر لان في ذلك شيئا من التضليل والتدجيل . فقد يقف الشاعر في ناحية ويحلق في ثانية . ومن ذلك غضبته على الدكتور طه حسين عندما قال =

" ان زعامة الشعر التقليدى(١٠) في مصر قد انتقلت بعد وفاة شوقي الى العراق وسوف يتنازعها هناك الصافي والزهاوى"

فيرد ابو ماضي قائلا = " انها كلمة جرى بها قلمه في غير تمحيص وتناولها كثيرون وفسروها بلا تمحيص . فالشاعر " التقليدى " لا يصح ان يحسب في الشعر فكيف يصح ان تكون له زعامة. اذن فالدكتور عند اعترافه للشعر الزائف بزعامة زائفة لا يلطم وجه الشعر الحقيقي لطمة قاسية مهينة فحسب بل يصفع الراى العام المفكر في البلاد العربية صفعة تذهب بما فيه من كرامة وجلال ." الى قوله "والمضحك ثورة بعض الكتاب في بيروت على طه حسين لنقله تلك الزعامة الزائفة الى العراق كانما هي شيء فيه مجد وعلا . وقد قدمنا ان الشعر يعلو عن هذه السفاسف التي لا نرى لها عند سوانا من الامم شبيها ولا مثيلا على كثرة الشعراء النابغين عندهم . ولكن الشرق الذى مرت عليه الاجيال والعصور يرفع الامراء ويتعبد لهم ، يصعب عليه ان يبدل اطواره في ليلة ونهار . واخبروا ان امارة الشعر اقرب الى ان تكون خرافة وهمية كخرافة " سنتا كلوز" عند الاميركيين . فاذا صدقها بعض الشعراء واهتموا لها فلا يستغربن الامر احد ، لان قلوب الشعراء كقلوب الاطفال ."

والظاهر ان ثورة ابي ماضي على الدكتور طه حسين لا تخلو من " انانية ".
فابو ماضي — على كرهه لمثل تلك الاشياء الصبيانية على زعمه — فانه ما يزال يفتح صدر بجلته السمير لكل تقريظ يتناول ادبه . ولا سيما اذا كان هنالك شيء من الاعجاب .
فهو لا يستنكف مثلا ان ينقل شهادة الصافي في امارته وذلك يوم هبط مرجعيون زائرا وكنت في جملة المستقبلين المرحبين . قال الصديق الفرد ابو سمرا صاحب جريدة القلم الصريح المرجعيونية =
" جمعتنا الصدف بصديقنا الاستاذ الشاعر العراقي الكبير مترجم رباعيات الخيام وعضو المجمع العلمي الفارسي السيد احمد الصافي النجفي في مقهى مرجعيون مع نفر قليل من الادباء والشعراء فسالنا :— اي الشعراء احسالبك من الحالبين يا استاذ . فاجاب =

— ايليا ابو ماضي .

— من هو امير الشعراء بنظرك .

— " صرحت في حديث (١١) عقدته معي جريدة " الاسبوع المصور " في الشام عن الشعراء من حيث قوة النظم وقوة الانتاج شوقي . اما من حيث قوة الشاعرية والشعور الصادق فاميرهم ايليا ابو ماضي ، وان حكمي على ايليا لم اصوره عن ديوانه القديم ، بل عن ديوانه الاخير المسمى " الجداول " هذا بالرغم من انني متشائم وهو متفائل في الحياة ."

ورأيت قبل ان اسجل شهادة الصالي عليه في كتابي هذا ، ان اعود فاتصل به لاقف على رايه اليوم . فكان ان قال لي " ارجوك يا اخي ان لا تعتبر ما فهمت به في الامس شيئا ازليا ." فقلت له اتريد ان تطلع على ديوان الخمائل فهو اخر ما انتجه ابو ماضي وقد ارسله لي حبنا بواسطة احد اصدقائي في المهجر فقال خبذا . ولكنني لا اريد ان اكون مسؤولا عن اي شيء اخر وابتسم ابتسامة عريضة فودعته شاكرا بعد ان وعدته اخيرا .

يستخلص من هذه المقاييس وامثالها ومن هذه الشهادات واضرابها ان موازين اليوم تختلف عن موازين الامس . وان المهجريين عموما يرغبون بان يروا في الشعر مادة جديدة وغالبا جديدا وغرضا جديدا . وليست الالفاظ والقوالب بحد ذاتها شيئا هاما بالنسبة لما تنقل من فكرة جديدة او معنى مبتكر . وبالتالي فالاسلوب الادبي ليس سوى وسيلة والغاية .... هي في الرسالة التي يتضمنها . واذا ذكر العسكري ان العرب (١٢) يفضلون في الغالب الالفاظ على المعاني فانا اذكر ان عرب المهجر يفضلون في الغالب المعاني على الالفاظ . وهذا يقودنا حتما الى التعرف بالتجديد الادبي ومظاهره الجديدة .

---

(١٠) مجلة السمير ص ٢ سنة ٤ ج ١٧ (١١) مجلة السمير ص ٢٧ سنة ٤ ج ١١

(١٢) راجع ص ١٠ من هذا الكتاب .

التجديد الفني ومظاهره

لست ازعم ان التجديد في الادب العربي ،لم يحدث الا في النهضة الحديثة ، اذ ليس من الطبيعي ان تستمر الاشياء على حالها دون ان يطرأ عليها شيء من التبديل والتحوير . فالتطور حادث لا بد منه . وهو على ما يرى سنة تتناول جميع مظاهر الحياة فلا يعقل اذن ان يكون الادب الجاهلي كله كالادب الاموى مع تقارب العهد . ولا يعقل ان يكون الادب الاموى كله كالادب العباسي . ولا يعقل ان يكون الادب العباسي كله شبيها بما يعاصره من الادب الاندلسي . فالاشياء تتغير بتغير الزمان والمكان . مع الايمان ان هناك فئة من الشعراء يعيشون لغير زمانهم . فمنهم من يسبقه . ومنهم من يتاخر عنه . والسباقون في م شرعي هم العبقريون الخالدون .

وقديما لاحظ النقاد ان عمر بن ابي ربيعة مثلا وابا نواس والمعرى وابن الرومي كانوا قد ادخلوا شيئا جديدا الى قديم اقداس الادب العربي وذلك بالنسبة الى سواهم . كما لوحظ ان الا الادب الاندلسي او بعضه جديد في قالبه قالب الموشحات التي راى فيها المؤرخون لونا جديدا من الالوان الادبية ومتعة طريفة من متع الفن ووسيلة مغرية من وسائل الصنعة قال ابن خلدون :—

" واما اهل الاندلس (١) فلما كثر الشعر في قطرهم ،وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغايه استحدث المتاخرون منهم فنا منه سموه بالموشح . ينظمونه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا يكثرون من اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراس والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون الى قوله = " وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر الفريرى . واخذ عنه ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد . وكان اول من برع في هذا الشان عبادة القزاز شاعر المعتصم ابن صمادح صاحب المرية ،(في قوله)

بدرتم شمس ضحا غصن نقا مسك شم
ما اتم ما اوضحا ما اورقا ما انم الخ .

وزعموا انه لم يسبقه وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف . وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتانق فيها فتقدم الاعمى الطليطلي للانشاد فلما افتتح موشحته المشهوره بقوله =

ضاحك عن جمان سافر عن در ضاق عنه الزمان وحواه صدرى
صرف ابن بقي موشحته وتبعه الباقون ." هذا بعض ما جاء في مقدمة ابن خلدون

وهو شيء لفت نظر ادباء الشرق في ذلك الزمان لما فيه من جديد . ولعل الجديد في الادب الاندلسي لم يخرج عن حد القالب . بدليل ان الصاحب بن عباد ،عندما اطلع على كتاب العقد لصاحبه ابن عبد ربه ،قال فيه = هذى بضاعتنا ردت الينا مع العلم ان كتاب العقد يخلو من الموشحات التي نسبها ابن خلدون لواضع هذا المؤلف الاندلسي النفيس ولعل ابن عبد (٢) ربه هذا غير صاحب كتاب العقد او بالاحرى اسم لمسمى اخر كما يرى استاذنا جبرائيل جبور واذن فالتجديد في الادب شيء يحدث في كل زمان ومكان . بل لا بد له من ان يحدث بالرغم من وجود بعض الفئات التي تلزم القديم في كثير من التاليه والتعبد . وما هولاء الذين يزعمون بان الادب المهجرى لا يختلف عن الادب الاندلسي في شيء سوى صنف من الناس اعماهم الهوى فضلوا سواء السبيل . وقد يكونون غير مدفوعين بهوى او ماخوذين [بدعاية" ولكن جهلهم للاشياء جعلهم يعرفون بما لا يعرفون . فكما كان الادب الاندلسي جديدا في قالبه هكذا فالشعر المهجرى جديد في الكثير من مظاهره وقدرايت ان التجديد فيه يتناول اللفظ

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٤ (٢) ابن عبد ربه وعقده ص ١١١ .

في النـــوع

وقد مر معنا ذلك في فصل " المهجريون واللغة " مثلما يتناول النوع والقالب والمعنى والغرض . مع ايقين ان الادب المهجرى عربي لا غش فيه وقد يكون التجديد المستحدث توسعا فيما سبق حدوثه كتوسعهم في قوالب الموشحات وما اليها . قال الشاعر المهجرى اللامع شفيق المعلوف في تحدثه عما جاء به اخوه المرحوم فوزى من تجديد الادب بما يلي :—

" لو استثنينا (١) شعر عمر بن ابي ربيعة لما حظينا في الشعر العربي بغير القليل مما يحق لنا ان نسميه قصصا (*dramatique*) او ما يشبهه وليس هذا النوع وحده هدف المجددين . فان هناك انواعا تقتضي الاستفاضة وتتطلب من الشاعران يرخي لها عنان المخيلة ليجيء بصورة كاملة واضحة ولكن القافية الواحدة المتكررة في الاعجاز تحول بينه وبين ما يريد برغم ما في اللغة العربية من المترادفات التي تعد بالمئات احيانا . ان خلو الشعر عندنا من الملاحم يثبت لنا هذا القول فلو اراد الشاعر العربي ان ينهج في موضوعه نهجا محدودا لاسقط في يده لم تخل الاداب العربية من مخرج يبلغ منه المجددون غايتهم فلدينا الاسلوب الاندلسي ،واذا كان شعراؤه ومن جاء بعدهم لم ينظموا به الملاحم فقد تنبهت الى ذلك فئة في هذا العصر منها العلامة المرحوم سليمان (٢) البستاني معرب الالياذة ،وما كانت الالياذة لتنقل شعرا الى اللغة العربية لو لم تقسم اناشيدها الى موشحات وقصائد متنوعة البحر والروى . "

ومن المحتمل ان يكون شفيق المعلوف قد استمد بعض معلوماته هذه من مقدمة الالياذة نفسها حيث بنفي مترجمها سليمان البستاني وجود ملاحم عربية بالمعنى الذى فهمه الفرنجة على ان البستاني بجد في المعلقات شيئا شبيها بها وانما على صورة مصغرة جدا ثم ينتقل مع التاريخ الى المقامات فالقصص العربية المشهورة كقصة عنترة مثلا ويتدرج في البحث والاستعراض الى رسالة الغفران لصاحبها المعرى فيرى فيها خير نموذج للملحمة العربية . قال =

" وان من احسن ملاحم المولدين ملحمة نثرية جمع فيها صاحبها شتيت المعاني واوغل في التصور حتى سبق دانتي الشاعر الايطالي وملتن الانكليزى الى بعض تخيلاتهما الاوهي رسالة الغفران لابي المعرى . ولكن استغلاق عبارتها وفقدان الطلاوة الشعرية منها ينحطان بها عن درجة امثالها من ملاحم الاعاجم . واما المنظومات الاخبارية والاراجيز التاريخية التي يقصد بها تدوين الاخبار فهي كثيرة في كل عصر من عصور العرب . " ولعله يشير هنا الى ارجوزة ابن عبد ربه في عبد الرحمان الناصر اول خليفة اموي في الاندلس . وفي العودة الى شفيق نجده ينتقل من مقدمته التاريخيه الى الاعتراف بفضل اخيه فوزى في نظم الملاحم فيقول =

" قدمنا هذه الكلمة لنرى نصيب فوزى من التجديد في الشعر العربي فهو قد نظم ملحمته على " بساط الريح " وعاجله الموت قبل ان يتم ملحمته الاخرى " شعلة العذاب " ودفنت معه ملحمة ثالثة عن " الفردوس " ولم تقتصر جهوده في سبيل التجديد على انشاء الملاحم فحسب فهو فوق ذلك مجدد في لغته المتجافية عن كل ما ينفر منه ذوق اهل عصره . "

لست ادرى ما مقدار الصحة في مثل هذا القول فانه لمن الصعب تسمية قصيدة " على بساط الريح " وسواها من اخواتها اقول انه لمن الصعب تسميتها ملاحم . واذا جاز لي نحت لفظة جديدة سميتها " مناشد " تمييزا لها عن انشودة ونشيد واناشيد . مع العلم ان منشدة لم ترد في اى معجم عربي بالذى اريده من ورودها . اذ ان الملحمة يعني بها القصيدة التي تدور حوادثها على تمجيد البطولة الحربية وعلى الحروب ذاتها سواء كانت واقعية اواسطورية .
والملحمة قاموسيا " الوقعة (٤) العظيمة القتل في الفتنة . واصلها موضع التحام الحرب "
ولعل قصيدة فوزى وقصيدة " عبقر " لشفيق نفسه وامثالهما من القصائد المهجرية لا تخرج عن باب الشعر القصصي . وعبقر في نظر استاذنا المقدسي من " قصص الرحلات الخيالية ". وكيف كان الحال فهذا النوع القصصي جديد في ادبنا العربي ، ومما قاله = " لا ينكر (٥) ان الشعر القديم لا يخلو من المنظومات القصصية على انها لم تكن بارزة في ادبهم بروزها في هذا العصر . وهي لا تنحصر كما كانت قديما - في وصف ما يحدث للشاعر بل تتناول شتى المواضيع الاجتماعية والتاريخية حيث يلعب الخيال ملعبه وحيث يخرج الشاعر عن نفسه الى سواه "
ويضيف المقدسي قائلا = " وهناك نوع ثالث من القصص الحديثة هو الرحلات الخياليه . "

---

(١) ذكرى فوزى المعلوف ص١٢ (٢) سليمان البستاني من اشهر ادباء القرن التاسع عشر واليه يرجع الفضل في التعرف بالملاحم الغربية (٣) الياذة هو ميروس ١٧٤ (٤) محيط المحيط ح ٢ ص ١٨٨٥

(٥) المختارات السائرة ص ١٥٣ .

واذن نمن التجديد في الادب المهجرى وجود الشعر القصصي على انواعه . من القصصي العادى الى الحوارى منه الى الرحلات الخيالية فالنوع الاول اخذه المهجريون عن اخوانهم من شعراء لبنان والاقطار العربية الثانية كما يعترف بذلك البعض منهم . حيث ترى فريقا ينسب الفضل في ذلك اى شاعر الارز شبلي ملاط واخر يعود به الى خليل مطران ومنهم من يراه غريبا قال الاديب يوسف البعيني = " ولعل (١) هذه الثلمة المنفرجة في الادب العربي وهي خلوه من الشعر القصصي حفزت سادة البيان والقريض الى سدها فنهد شوقي بك الى انشاء القصص المسرحية غير ان صاحب الفضل الاول في تشييد بناء القصة الشعرية القصيرة في لغة قريش هدبلا منازع الشاعر اللبناني الكبير شبلي الملاط " .

الشعر المسرحي البحت كما فعل شوقي ولا الى القصصي العادي كما فعل مطران والرصافي وملاط وسواهم على انه البادئ في
ومهما يكن في قول البعيني من غلو فان المهجريين لم يسبقوا اخوانهم في الوطن الى الشعر المسرحي هوالشيخ خليل اليازجي المتوفي سنة ١٨٨٩ وهو ابن الشيخ ناصيف اليازجي وشقيق الشيخ ابراهيم وفيه يقول زيدان = " ويمتاز الشيخ خليل عن سائر شعراء هذه النهضة بتاليف الشعر المسرحي اذ قام بتاليف رواية المروءة والوفاء المبينة على حكاية حنظلة والنعمان تاليفا مسرحيا شعريا بلغت ابياتها الالف هذا واما النوع الثاني اى الشعر الحوارى فهو ليس بالمسرحي البحت وانما هو اقرب شيء اليه فالحوار يقع فيه غالبا بين شخصين او ثلاثة . واكثر ما يكون لاغراض تاملية او " فلسفية " اذا جاز لنا هذا القول وكثيرا ما يكون الحوار من قبيل التجريد كان يخاطب الانسان نفسه بقصد التامل الروحي فاذا المرء اثنان هو ونفسه او ثلاثة هو وعقله وقلبه وهذا الشيء يكثر في الادب المهجرى الى حد بعيد . ولعل الادب العربي لم يعرف له مثيلا في جميع ادواره . واما النوع الثالث اى الرحلات الخيالية فاشهر ما عرف منها تاريخنا الادبي في شرقنا هذا رسالة" الغفران" للمعرى " وثورة في الجحيم " للزهاوى . فالاولى منهما نثرية وانشاؤها لم يكن على اسس فنية فلا اثر فيها تقريبا للتصميم الفني والتركيز الذهني والثانية وان كان فيها شيء من ذلك الا انها تخلو من المسحة الفنية غالبا تلك المسحة التي تتركها الانغام الموسيقية المختلفة في المقاطع المختلفة كما ان الفاظها غير مختارة ولا مشرقة . وهي الى ذلك تخلو تقريبا من الاستعارات والتشابيه الفنية كما تخلو من المعاني والافكار المبتكرة ناهيك بما فيها من تكلف في التزام الروى الواحد الى اخرها وما فيها من حشو واستطراد . ومع هذا فلا تخلو من جدة وظرافة بما فيها من تهكم لاذع وغمزات مرة مرة يتخللها شيء من التصوير النابض. تبدأ القصيدة بوصف الملكين منكر ونكير ، وقد زاراه وهو في رقدة في قبره وزيارة استنطاقية فسالاه عن الايمان بالله وبالاخرة وبالحشر والميزان والحساب الخ وتنتهي به الحالة الى الجحيم فيرى رفقاءه هناك وكلهم من الشعراء والفلاسفة الذين ما لبثوا ان اخترعوا الة لاطفاء النار فاطفئوها ثائرين ومشى المعرى امامهم يقول =

غصبوا حقكم فيا قوم ثوروا ان غصب الحقوق ظلم كبير

فيجيب الجمهور =

غصبوا حقنا ولم ينصفونا انما نحن للحقوق نثور

واليك ما يقوله الريحاني في الموضوع = "وانه ليتبين لك ان جحيم الشاعر العربي يختلف عن جحيم الشاعر الطلياني في سكانه فقد شاهد دانته في النار اعداءه السياسيين ، وفيهم المجرمون والزناة والقتلة واللصوص ، وما شاهد الزهاوى غير الذين انكروا الجحيم ولم

---

(١) مجلة العصبة السنة ٥ ص ٧٥١ (٢) تاريخ اداب اللغة ، زيدان ، ج ٤ ص ٢٤٠
(٣) قلب العراق ص ٢٥٩

يؤمنوا بالاخرة واكثرهم من العلماء والشعراء والفلاسفة — اى من اصحاب النبوغ ومحبي الحقيقة والجمال . هي ذى الفكرة المبتذلة التي اوصت الى الزهاوى فكرة غير مبتذلة ولكنه في تبيانه ما نجا من الاسفاف . فجاء وصفه للنعيم وللجحيم وصفا تقليديا صوره ركيكة واستعاراته بائخة . مجاء التردا في قوافيه والنثر في كثير من صيغه على اننا اذا استطعنا انكار التجديد في قصيدته الجهنمية وتمكنا من انكار وجود الظلال الفنية فيها فليس باستطاعة احد من الناس ان ينكر على الزهاوى رغبته في التجديد وا خذه باسباب التقدم الفكرى والروحي فهو بالرغم من كل ذلك علم من اعلام الادب وقائد من قادة الثورة الفكرية في البلاد العربية . واذا ما عدنا الى ما كنا في صدده وجدنا ان من مظاهر التجديد في الادب المهجرى وجود القصائد او الملاحم الخيالية القائمة على شيء كبير من التصميم الفني الشيء الذى خلا منه الشعر العربي في جميع عصوره . قال الدكتور طه كسبن مشيرا الى ما في قصيدة فوزى المعلوف — على بساط الريح — من وحدة وانسجام وهندسة فنية ما يلي = "وقد قسمت القصيدة (١) اقساما ورتبت اناشيد والف بين هذه الاقسام والاناشيد تاليفا طبيعيا منطقيا يكون وحدة متجسمة بديعة التنسيق . وبثت في هذه الوحدة حياة قوية جدا . وحركات تلائم ما في هذه الحياة من القوة. ثم نبت بين هذه الحياة والحركات نجوى هادئة وديعة مؤثرة تصور روح الشاعر الهادىء الوادع على ما يحطم نفسه من الياس . الى قوله = ونلاحظ قبل كل شيء انه اختار البحر الخفيف من اوزان الشعر لقصيدته لم يغير فيه طوال القصيدة ولكنه غير القوافي بتغيير الاناشيد والتزم في البيت الاول من كل انشودة نوعا من الموسيقى يهبه ظرفا وجمالا موسيقيا خاصا . الى قوله = " واعيد الان ما قلته من ان القصيدة لا تمتاز بالابتكار فليس فيها اولا يكاد يكون فيها شيء مبتكر . وانما تمتاز بهذا الروح الحلو القوى الوادع الذى تكون من جمال الشعر والموسيقي . واثبت في القصيدة كلها فجعلها كلها خليقة ان تقرأ الى قوله = " لقد خسر الشعر العربي

الحديث بموت هذا الشاعر الذى لم يكد يتجاوز الثلاثين . ولعل مما يعزى ان يكون بعض الشعراء المصريين قد عرف لهذا الشاعر قدره " . فيستفاد من قول الدكتور طه حسين ان القصيدة ذات وحدة منطقية . وان في اختلاف الموسيقى في مقاطعها وفي الصور الغريبة فيها مما يزيد في جمالها ورونقها . وهو قول صحيح متزن . ولعل الدكتور مصيب في قوله " ان القصيدة لا تمتاز بالابتكار وذلك بالنظر الى توليد المعاني فيها ولكننا لا نغالي اذا قلنا ان القصيدة بكاملها مبتكرة جديدة وان يكن الشاعر قد نهج في اسلوبها منهج كبليج كما ينوه بذلك الاستاذ صديق شيبوب حيث يقول = " ولكن(٢) شاعرنا العربي في نظمه هذا قد اتى على غير نمط الشاعر الانكليزى الذى يستتبع ابياته بفصل نثرى اما المرحوم فوزى المعلوف فقد جعلها كلها نظما ". وبالطبع فان استدراك الاستاذ شيبوب لا ينفي عن فوزى تهمة التقليد والمحاكاة الا ان يكون قد فعل ما فعل على غير ما تاثر باحد من الناس . ولكنه بالرغم من هذا وذاك تبقى قصيدة فوزى شيئا جديدا في ادبنا العربي وانها لظاهره من ظواهر التجديد الادبي .

---

(١) مجلة الشرق ص ١ — ٤ عام ٧ عدد ١٧ (٢) ذكرى فوزى المعلوف ص ٧٧ .

هذا وللشاعر الاسباني فيلاسباسا الذى يقدم قصيدة على بساط الريح هذه راى في الشعر العربي فيه الكثير من الغلو والاسراف فهو لا يرى شاعرية فوق الشعرية العربية . ولا يرى فنا فوق الفن العربي . وكنا نود لو كان هذا الكلام واقعيا اذ فيه لنا كل الفخر والعزة . من ذلك قوله = " وما من(١) ريشة في العالم منذ ابلس الى دى فينشي ومنه الى دى تورس اخرجت مثيلا لتلك الالوان المتناسقة في الخزف المموه والفسيفساء المرصعة والنقوش الساحرة التي خلفها العرب " الى قوله =" ليس في الشعر العربي ما في الشعر الغربي من شلل تعرض له في مختلف الازمنة فني باوبئة تستدعي العلاج واستدراك الخلل الناجم عن العفة القسرية والتشبث بالعادات المسيحية مدى عشرين قرنا فقد كان العرب مطلقين من مثل هذه القيود يرتدون بكل ما في الحب من متع حسية فجاء شعرهم اسمى روحا الى قوله = يولد العرب فيخلق معهم النضوج وتواكبهم(٢) الحكمة " الى قوله =" واعيد القول ان الادب العربي فيه كل فن الى قوله " بينما اقرا على كتاب بساط الريح عرضت لي هذه الخواطر بما فيها من حقائق مخزنة وان هذا الكتاب لهو بحق اجود منتوجات فوزى المعلوف الشعرية لذلك نقلته شعرا الى الاسبانية تقدمة مني الى ابناء لغتي ووطني " الى قوله =" لم يصب شعب من موهبة الشعر الالهية مقدار ما اصاب منها الشعب العربي هذا ولعل في روحه شيئا من تفاخر الاجداد .

اولئك ابائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

وخلاصة القول فان الشعر العربي ولا سيما الاندلسي منه وما يدور حوله من شعر قديم وحديث يمثل في نظر نيلاسباسا خيرما انتج العرب من ادب فني ، ووالعرب في نظره وهم اجداده اشعر الناس واصفاهم ذهنية ومزاجا وهو قول يحتاج الى النظر فيه وعندى ان الشاعر العربي لم يعلق الا في الشعر الغنائي الوجاني وحسبه ان يكون قد جارى فيه الخبر من شعراء الوجدان العالميين . اما بقية الالوان الشعرية كالقصصية مثلا فقد قصر فيها تقصيرا واضحا . وقد يكون معذورا وانت تلوم . على ان العرب قد اخذوا في نهضتهم الحديثة يعوضون عما فاتهم من تقصير . فاتجه شوقي بك في ايامه الاخيرة نحو المسرحية الشعرية فحلف حينا واسف حينا اخر. ولعل تخليفه كان من ناحية الصياغة والقالب . اما من ناحية الاخراج المسرحي فقد قصر بعض الشيء . ومع هذا يظل شوقي امير المسرحية العربية حتى الساعة . وكذلك اتجه ادباء المهجر نحو الادب الملحمي وان كان ما انتجوه لبس من الملاحم في شيء كما اشرنا الى ذلك قبلا . وهم في ملاحمهم هذه اذا صح اعتبار على بساط الريح لفوزى المعلوف وعبقر لاخيه شفيق ومراحل الحياة للشيخ سعيد اليازجي والمسيح والعائرة لايلياس قنصل ، والمواكب لجبران والحكاية الازلية لابي ماضي واحلام الراعي لفرحات وعلى طريق ارم لنسيب عريضة وغيرها (٣) من القصائد ذات الاناشيد المختلفة ، اقول وهم في ملاحمهم هذه اذا جاز اعتبارها ملاحم قد حلقوا حينا واسفوا حينا اخر . على ان جميع هذه القصائد لا تخرج عن حد الشعر القصصي ومع هذا فهي جديدة في ادبنا العربي لاختلافها عن العادى من الشعر القصصي . وقد نظم المهجريون في هذا العادى من شعر القصة ، القصائد الكثيرة ومنها الغث والسمين .

---

(١) على بساط الريح ص ٧ -٩ (٢) على بساط الريح ص ١٧ - ١٨ - ٢٤ (٣) من تلك مثلا معلقة الارز للشاعر نعمه قازان وقد اهدانيها الصديق الاستاذ جبران قازان فاعرضت عن دراستها لانني لم اجد فيها شيئا جديدا وسأتكلم عن معوض عما فاته من نجاح في مستقبله ان شاء الله.

ولعل اجملها صياغة واروعها خيالا وعاطفة قصيدة الراهبة(١) لايلياس فرحات والنغم الاخير(٢) لشكرالله الجر والشاعر والملك الجائر (٣) لابي ماضي والعاصفة لجورج(٤) صيدح . واما النوع الثاني فتلك القصائد الطويلة ذات الاناشيد المختلفة التي تتجه اناشيدها نحو نغم واحد شامل فتتضافر اجزاؤها وصورها لابراز لوحة فنية واحدة بحيث يضيع الجزء في الكل ويبدو الكل جزءا واحدا .
ومن هذا النوع اقصصي قصيدتا " على بساط الريح " وعبقر " للاخوين فوزي وشفيق المعلوف وهما في نظري من نوع واحد من حيث الاسلوب والتصميم الفني وان تكن الاولى واقعية والثانية خيالية والقصص فيهما اكثر ما يعتمد على الوصف والتصوير بالاضافة الى ما فيهما من رسالة وحبة ....
قال فوزي في قصيدته على بساط(٥) الريح وقد اجاد في تصوير عالمه الاثيري هذا =

المقطع الاول .— في عباب الفضاء فوق غيومه فوق نسره ونجمته
حيث بث الهوى بثغر نسيمه كل عطره ورقته

. . . . . .

موطن الشاعر المحلق منذ البدء	بروحه لا بجسمه
انزلته فيه عروس قوافيه	بعيدا عن الوجود وظلمه
ملك قبة السماء له قصر	وقلب الاثير مسرح حكمه
ضارب في الفضاء موكبه النور	واتباعه عرائس حلمه
ملكه ركبه الهواء وما اقواه ركنا قام	الخلود بدعمه
عرشه سدة السحاب عليها	نفض الليل كل رهبة رسمه
تاجه هالة بنضد في نضتها	الافق بدره قرب نجمه
والدجى طيلسانه فاح كافورا	درازبه فوق عنبر فحمه
والثريا في كفه صولجان	دره لمه الفضاء بكمه
ملك طائر بغير جناحين	بامر الخيال يقضي وباسمه
يا جناح الخيال اقوى جناح	انت يلوى ظهر الرياح لصدمه
ليست شعرى ما الشاعر ابن لهذى	الارض الا بلحمه وبعظمه
فاذا اختار هجرها برضاه	انما جاءها مقودا برغمه
هو منها وليس منها فما زال غريبا	ما بين ابناء امه

وهو في المقطع الرابع من " ملحمته " هذه ياخذ في وصف جواده المجنح فاذا الشاعر رسام صناع وفنان ساحر يغمس ريشته في الوان الاصيل فيما تركت الشمس فوق الافق اللازوردي من ذوب ملون ليرسم عالمه السحري . وقد اتخذ له من الفضاء الواسع لوحة مشرقة . وانه لفي غمرة الخلق والابداع اذ به يذكر " بساط الريح " في خلقه الاول عندما كان حلما خياليا فيرى نفسه محمولا على اجنحة ذلك الحلم الذهبي الذى ما لبث العلم ان حوله الى حقيقة ازلية بعد ان خلع العقل عليه جناحا من فولاذ

حلم ~~خفيفة~~ فحقيقة

المقطع الرابع —

يا طيور السماء في الريح روحي ... بي جريا على الجلد
وبجسمي طيرى الى حيث روحي ... فيه تحيا بلا جسد

. . . .

هو حلم مجنح رافق الشاعر يطوى ... الاجيال جيلا فجيلا
خلعت يقظة العقول جناحين ... عليه يحيران العقولا

---

(١) المجموعة ص ١٧ (٢) مجلة الشرق ص ٣ كانون ٢ سنة ١٩٣١ (٣) الخمائل ص ٥ (٤) السمير سنة اولى عدد ١٤ ص٦٤٤ (٥) على بساط الريح ص ٣٧ .

ما هما من خرافة وخيال ... بل هما من حقيقة وهيولى
صعد الطرف في الاثير تجدني ... قاطعا في الاثير ميلا فميلا
خببا تارة وطورا وئيدا ... صعـدا مـرة ،واخرى نزولا
فوق طيارة على صهوات الريح ... راحت تروض المستحيلا ...
هي طير من الجماد كأن الجن ... في صدرها تحت خيـولا
حمحمت تضرب الرياح بنعليها ... نشقت الى السماء سبيلا
ثم مدت الى النجوم جناحين ... وجرت على السحاب ذيولا
غرقت في الاصيل حينا وعامت ... بعد حين تعلو قليلا قليلا
ترتدى من دخانها بردة الليل ... وتلقى عن منكبيها الاصيلا
وعليها من الشرار نجوم ... عقدت حول راسها اكليلا الخ .

~~وعلكم~~ وعلكم تنعمون مع الشاعر فيما يغمره من بحران موسيقي وما يحف به من غمرات النغم في جرس الالفاظ وتراجع القافية اللامية ~~التي~~ التي احسها في قلبي واتذوقها في روحي نغما موسيقا منسابا اكاد ارى فيه روح ا شاعر في زورق بنفسجي واسمع مجذافه يحدث مع الماء " لالا وليلا ." ولعل المقطع الثالث اولى مقاطع القصيدة بمسك الختام ولو عاد لي الامر لجعلته الخاتمة اذ فيه خلاصة ما يريد الشاعر قوله وان شئت فهو فلسفة الشاعر في الحياة فلسفة الرجل الذى يرى الحياة عبودية والموت حرية وانطلاقا .وما العبودية سوى هذه الخطوات التي يمشيها المرء مثقلا بسلاسل المادة من المهد الى اللحد .

بين روحي وبين جسمي الاسير ... كان عهد ، نقضت مره

انا في الارض روحي فوق الاثير ... انا عبد ، روحي حره

— — — — — — — — — — —

انا عبد الحياة والموت امشي ... مركبي مكرها من مهدها لقبوره

عبد ما سنت الشرائع من جور ... يخط القوي كل سطوره

ببراع من الضعيف له سحر ... فنوم المظلوم صوت صريره

انا عبد القضاء ، تملأ نفسي ... رهبة من مشيئه وتدبيره

عبد عصر من التمدن ناء ... غله عن لبابه بقشوره

عبد مالي ، اعطي به بعد جهد ... فاذا بي اتوه من ثقل نيره

عبد اسمي ، ذويه ، وعيني وجسمي ... عبدا في خلوده وثبوره

عبد حبي انزلته في فؤادي ... فاكوى اضلعي بنار سعيره

انا في قبضة العبودية "عميا" ... اعمى مسير مجروره . . . .

ان جسمي عبد لعقلي وعقلي ... عبد قلبي والقلب عبد شعوره

وشعوري عبد لحسي وحسي ... هو عبد الجمال يحيا بنوره

كل ما بي في الكون اعمى منقاد ... طي رغمه لاعمى نظيره

غير روحي فالشعر [illegible] ... فطارت في الجو فوق نسوره

تنشي عالم الخلود لتحيا ... حرة بين روضه وغديره

وكانسي بشفيق يؤخذ باسلوب اخيه الشعري ويعجب بما في شعره من صور وما في الفاظه من عذوبة و موسيقية وقد دفعه هذا الاعجاب الى السير على غراره والاخذ منظومته في الحياة فجاءت " عبقر " قريبة من نمط " على بساط الريح " وفي رسالتها الشيء الكثير مما في تلك وكلتاهما رسالة متشائمة وهي كما ذكرت اكثر ما تعتمد على الناحية التصويرية . والتصوير في نظر صاحب عبقر او بالاحرى الاجادة (١) فيه من ادل الامور على عبقرية الشاعر وقبل ان نجيء الى التحقيق في عبقره يحسن بنا ان نقف على راي الدكتور فايز عون او بالاحرى على خلاصة رايه في ادب فوزي المعلوف بالنسبة الى تلك الدراسة التي قام بها لوضع اطروحة ادبية في ادب الشاعر المشار اليه سابقا وقدمها الى اساتذة الادب في باريس حيث كان يدرس وذلك لنيل شهادة دكتوراه في الاداب . ولرايه من هذه الناحية وزن وقيمة . قال الاستاذ عون =

"ان يكون فوزي (٢) عبقريا ذلك ما لا نستطيع البت فيه وانما مكانته الادبية تتوقف في نظرنا على ما ابرزها ادخله للشعر العربي من عناصر جديدة .

من ذلك الموسيقى واللين وجمال التعبير وقد اخذ بعض الشعراء يتطلعون عليه . كاخيه شفيق في عبقر وعمر ابي ريشة وحسن كامل الصيرفي . وفوزي يمزج في نفسه الثقافتين العربية والغربية ويخرج منهما نتاجا جديدا خاصا ولعل الاستاذ موفق في دراسته هذه وهاكم شيئا من عبقر شفيق التي مطلعها الى قوله = صاح (٣) هي اليقظة دبت على جفني فاستلانت الموطأ ......

ومن تكن حالته حالتي لم يستحضر بالسيء الاسواء

ما الفرق في نومي وفي يقظتي وكل ما في يقظاتي رؤى

ومن ثم ينتقل بك الشاعر الى عبقره فيصور كل ما يشاهد فيها من اشياء فاذا هي عالم مستقل في ساكنيه من شياطين وجن وارواح جهنمية لها اشكالها المخيفة وسحنها المرعبة فاذا عبقر كما يقول الاديب موسى كريم دنيا باكية هازئة مدمدمة ساخرة بالانسانية فاذ قتبالحم". ولكنه قبل ان يشرع في وصف دنياه هذه يرى من الواجب عليه ان يصف مطيته اليها وما مطيته سوى شيطان جهنمي يقبض على النار المتقدة في فكيه فاذا الشرر يتطاير من فمه واليك المقطع كاملا وحبذا لو حذف البيتين الاخيرين منه ، اذ كثيرا ما يذهب التفصيل بروعة الوثبات الشعرية =

على الورى استلقى شعاع الضحى يعبث فيه الارج العاطر

لعانق الزهر وضمتهما غمامة طلقها الناظر

غمامة بينا ارلها اذا شيطان شعري تحتها سائر

كانه لما بدا خفية قذفه من الثرى ساحر

في فمه من سقر قطعة منها يطير الشرر الثائر

ووجهه جمجمة راعني انيابها والمحجر الغائر

كانما محجرها كوة يطل منها الزمن الغابر

اقبل نحوي قائلا انني طوع لما يقضي به الآمر

اثبت والليل طوى ذيله صباحا ايها الشاعر

وبعد ان يطوف الشاعر في عبقره قليلا ، يلتفت فيرى هناك كاهنين من اشهر كهان العرب في عالم الاساطير والروايات ، فيصورها على ضوء الاساطير السالفة تصويرا رائعا وحسب الشعر المهجري تجديدا ان يعني في هذه الناحية القصصية من احياء القصص القديم لا فرق كان القصص من قبيل الاسطورة او كان من قبيل الواقع .

---

(١) ذكرى فوزي المعلوف ص ٢٥ (٢) اطروحة عون ص ١٦٤ (٣) نقلا عن مجلة الشرق عام ٦ عدد ١ ص ٣

وهكذا ينتقل بنا الشاعر من الحديث عن شيطان الى حديث شيطان الى البلد المرصود الى رائد طير وحديثهما الى اميرة الجن الى الشموع الى القبة المحنية الى الكاهنين شق وسطيح الى ما يقيمهما الى غابة الحور الى خوزة في الجحيم الى نشيد الضحايا الى حدود عبقر ورقات العباقرة الى همس الجماجم وما ادراك ما همس الجماجم لا شيء سوى المرارة والالم في دنيا تحسبها شقاء وملذاتها هباء وهي في حقيقتها ليست سوى حلم من الاحلام .

~~للطالبها~~ خفقت للارواح والوهم الخالد

اين الوجوه الصباح والبسمة الزاهية .

واذا الجواب — احلامنا نحن مثل للالي

شادوا لنا الامصار الكبارا

احلامنا كن لطانا فلا

تصيروا الاحلام احجارا

هذه هي عبقر الشاعر وهي قطعة انها من الشعر بما فيها من الوان واظلال وما فيها من نغم وهمس وما يتخلل فيها من شك ويقين ولعلها كما يقول الاديب خليل تقي الدين فيها — " قطعة (٢) الفن الخالد لانها جمعت عناصر الفن والجمال كلها فتستحق معلوف لجأة الى مرتبة الشعراء الخالدين ". على انها تبقى في نظري دون قصيدة اخيه فوزي عمقا وتفكيرا وربما ينقصها شيء من الوحدة المنطقية التي تلمسها في قصيدة فوزي وبعد لعل شاعرنا لم يعوض عما فاته من ابداع في مستقبله الزاهر وهو الذي ولد ليكون شاعرا واديبا في بيت عرف بالادب والعلم وان الادب العربي ليفخر في دوحة بني المعلوف هذه كما يفخر فيما نما لبنان قديما وحديثا من دوحات ادبية كعائلتي البستاني واليازجي وسواهما — وانه لمن

---

(٢) المكشوف ص ٣ عدد ٧١ السنة الثانية .

دواعي الفخر ايضا ان يكون شقيق اخوا فوزي وان يكون رياض الشاعر الناشيء ابنا لهما . وان يكون هؤلاء الثلاثة ابناء للاديب الكبير عيسى اسكندر المعلوف ليتم البيت الواحد اربعة من خيرة ادباء لبنان علما وادبا ولعلهم يخولون ولهم من الاخوال كل شاعر واديب من اخوالهم نجيب بك المعلوف صاحب قصيدة " ولي عرب " وهو صاحب ديوان " تذكار المهاجر " وله ملحمة شعرية موضوعها " جمال بلادي " نظمها في السنوات الاخيرة تحت سماء لبنان حيث يقيم الان ومن اخوالهم ميشال (١) بك وجميل (٢) بك وشاهين بك المعلوف وكلهم ~~اديب~~ اديب شاعر وهكذا تؤلف عائلة بني معلوف حلقة ذهبية

في سلسلة الادب العربي . هذا ولما كان الشيء بالشيء يذكر رأيت من الخير ان انقل الى القارىء الكريم هذا الحديث الطويف عن مجلس من مجالس المهجر الادبية وان شاء مجلس من مجالس بني المعلوف لعل في الاستطراد احيانا ما ينقي عن النفس ضجرها ويذكي فيها جذوة التيقظ قال الراوي :

" في اجتماع عائلي جرى في منزل صديقنا (٣) الوجيه الفاضل جورج بك المعلوف سقط فنجان قهوة من يد عقيلته السيدة الرفيعة التهذيب والادب ايزابل عبود معلوف . ولما كان المجلس يضم كلا من الوجهاء والشعراء المتفوقين شاهين بك المعلوف وميشال بك المعلوف والاستاذ شفيق المعلوف والمرحوم فوزي المعلوف فقد اثار شيطان الشعر تلك القرائح الفياضة فانشد شاهين بك =

ظل الفنجان لما لامست	شفتاه شفتيها واستمر
فتلظت من لظاه يدها	وهو لو يدري بما يجني اعتذر
وضعته عند ذا من كفها	يطوى قلقا اني استقر
فارتمى من وجده مستعطفا	قدميها وهو يبكي فانكسر

وقال ميشال بك =

عاش يهواها ولكن	في هواها يتكتم
كلما ادنته منها	لاصق الثغر وتمتم

ولهذا دابه التقبيل لا ينفك حتى يتحطم ....

وقال الاستاذ شفيق =

ان هوى الفنجان لا تعجب وقد	طفر الحزن على مبسمها
كل جزء طار من فنجانها	هو ذكرى قبلة من فمها

فنظر المرحوم فوزي الى الفنجان فاذا هو لم ينكسر فقال معارضا =

ما هوى الفنجان مختارا ولو	خيروه لم يفارق شفتيها
هي القته وذا حظ الذي	يعتدي يوما بتقبيل عليها
لا ولا حطمه اليأس فها	هو يبكي شاكيا منها اليها
والذي ابقاه حيا سالما	امل العودة يوما ليديها

وتالفت لجنة في الحاضرة من ثلاثة ادباء للحكم في افضلية ابيات . وعينت السيدة ايزابل جائزة هي ساعة ذهبية يحروها المجيد فحكمت اللجنة للمرحوم فوزي ففاز بالساعة واذ ذاك ارتجل ميشال بك معلوف =

يا ساعة ما انت اول ساعة ضيعتها من ذكريات حياتي
ما دمت ضيعت السنين فما انا بمحاسب دهري على الساعات

اما وقد المعنا بشيء من قصيدتي نوري وشفيق المعلوف فقد وجب علينا ان نلم سواهما من امثالهما من " الملاحم "

---

(١) لعله اوفرهم شاعرية واوسعهم خيالا (٢) توفاه الله عن عدة مؤلفات نثرية (٣) مجلة الشرق ص ٣ عدد ٢ سنة ٤

المهجرية . وامامنا مراحل الحياة للشيخ سعيد اليازجي وعلى طريق ارم لنسيب عريضه وكلتاهما من لون واحد . وهو القصص الذى يعنى بتصوير ما يجول في النفس من اماني ورغبات وما يطرد فيها من قلق روحي وهذا اللون الادبي يكثر في الادب المهجرى الى حد بعيد ومن هذا القبيل الحكاية الازلية لايليا ابي ماضي وكثير غيرها من قصائد التاملات الذهنية وسنعود اليها في حديث اخر . وقد يكون من الخير ان نطلع على بعض مقاطع من هذه القصائد الثلاث لاصحابها اليازجي وعريضه وابي ماضي اذ لا يخلو الامر من اختلاف في السمت الادبي والرسالة الادبية ومما جاء في قصيدة الشيخ ما يلي =

" ستطلع قريبا على العالم العربي ملحمة اطلق عليها اسم " مراحل الحياة " ناسج بردتها الشاعر الكبير الشيخ سعيد اليازجي ويبين ان القصيدة انما تتناول حياة المرء في جميع المراحل طفلا فحدثا فيافعا فشابا فكهلا . وقد نهج ناظمها شانه في جميع منظوماته نهجا رائعا . تارة فلسفيا وطورا اصلاحيا – فيما راه جديرا بالدرس والتعليل والنقد في تلك المراحل التي بينما يجتازها سواد الناس كالاشجار الجرداء في صحار قاحلة يقطعها ذوو المواهب فاذا بهم ارواح مثقلة بالثمر في جنات تجرى من تحتها الانهار ". والى القارىء شيئا منها =

ترامى الغرام لعين الفتى فخف اليه بوجه طليق ..
فلا السير يوهن اقدامه ولا الليل يحجب عنه الطريق
اذا في ربيع الحياة فتاة بوجه صبيح وقد رشيق
اطلت عليه وفي ناظريها لكل معاني الحياة بريق
تصبى بيت تباريحه بصوت شجي وقلب رقيق
وافضت اليه باحلامها فها ما يلج الغرام العميق
يطوق عنقا كجيد الغزال فطورا يخيب وطورا يفيق

ومنهـا =

اذا المرء جاوز سن الشباب ... وما زال يتبع طيش الشباب
فلا النقد يكبح اهواءه ... ولا النصح يهديه نهج الصواب
مصاب الجسوم قريب الشفاء ... ولكن في النفس هذا المصاب
فداء الجسوم وليد الزمان ... وداء النفوس وليد التراب
زهور الطبيعة عش الحياة ... بنفس(٢) الطعام ونفس الشراب
فزهر يكون شهد الحياة ... وزهر تكون فيه الذبلب

ومنهـا =

رايت الغدير على مهله ... يسير ويخطر في مشيته
شبيه الفضيلة في صمته ... وملء التحنن في رقته
تجلى الصباح على مائه ... وغنى النسيم على ضفته
يصول عليه الزمان فيرغي ... ويطفو الوقار على رغوته
وما ان يثور لهوج الرياح ... يعود سريعا الى هدأته

....

فكن في الحياة شبيه الغدير ... اذا الدهر راعاك في محنته

---

(١) مجلة الشرق ص٣ عدد ٦ سنة ١١ (٢) وتحريره في الطعام نفسه اذ لم يرد في اللغة العربية التوكيد قبل المؤكد ولعل في هذا شيئا من الضعف اللغوى او الخروج على قواعد اللغة ... (٣) مجلة الشرق ص ٧ عدد ٩ سنة ١١ .

وتجرى القصيدة على هذا السمت من اولها الى اخرها وهي لا تخلو من المسحة الشعرية ورسالتها عالية بحيث تحمل القارىء على تمثيل الدور الطيب من ادوار الحياة ان يكن لا بد من التمثيل والفكرة مجدلناته ساذجة ولكنها جميله .

اما قصيدة ابي ماضي فتختلف عن قصيدة اليازجي في مواقف عدة . وان تكن هي في حقيقتها صورة لمراحل الحياة . غير انها صورة تتماوج فيها اظلال الحياة بجميع الوانها . وقد تكون فكرتها الاساسية مبتذلة ولكنه في افراغها على هذا النحو من القالب المسرحي جعل منها شيئا جديدا وقد اجاد في تصوير بعض ما يجول في نفوس " شخوصها " وهي لا تخلو من التشابيه الرائعة والالوان المشرقة والشاعر

يوطئ لقصيدته هذه (١) بالمقطع التالي =

كان زمان لم يزل كائنا — وحالة ما برحت باقيه
ملّ بنو الانسان اطوارهم — وبرموا بالسقم والعافية
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا — لو انه كونهم ثانية
وبلغت اصواتهم عرشه — في ليلة مقمرة صافية
فقال اني فاعل ما اشتهوا — لعل فيه حكمة خافية
وشاهدوه هابطا من عل — فاحتشدوا في السهل والرابية

تالبوا من كل صوب كما — تجتمع الامطار في الساقيه
مضاح رب العرش ما خطبكم — ما بالكم صرخاتكم عاليه .
هل اصبحت ارضكم عاقرا . — ام غارت الانجم في هاوية .
ام اقلع الماء فلا جدول — وماتت الطير فلا شاديه .
ام فقدت اعينكم نورها — ام غشيت ارواحكم غاشيه .
اين الهوى .

ان لم يكن قد قضى — فكل جرح واحد اسيه

وهنا يتقدم الفتى ليعرض شكاته على الله عز وجل واذ ذاك يزاح الستار عن المسرحية التالية —

قال الفتى = يا رب ان الصبا — مصدر احزاني والامي
البستنيه مونقا بعد ما — ابلاه اخوالي واعمامي
وصار في مذهبهم عصره — فترة زلات واثام
فاختلفت حالي وحالاتهم — كانني في غير اقوامي
وصرت كالجدول في فدفد — او شاعر ما بين اصنام
دنياهم دنياي لكنما — اعلامهم ليست كاعلامي الى قوله —
عندهم الروضة اثمارها (٢) — والروض عندي الزهر النامي
فازرع نجوم الشهب في مقلتي — فينجلي عندي اوهامي
فابصر الحكمة في ضوئه — اني اليها جائع ظامي

---

(١) ديوان الخمائل ص ١٧٩ (٢) وردت في الديوان اشبارها ولعله خطأ مطبعي .

وسرعان ما يتوارى الفتى حتى يظهر الشيخ —

وجاء شيخ حائر واجفا   مشتعل اللمة بالي الاهب
كانما زلزلة تحتـه   لما به من رعشة واضطراب
فصاح يا رباه خذ حكمتي   واردد على جدك عصر الشباب
ان اماني الروح ازهارها   وان روحي اليوم قفر يباب

الى قوله — صحوت من جهلي فابصرتني   كانني سفينة في الحباب
تميل لها في البحر كل المنى   فلم تجد في البحر الا الضباب
نات عن الشط ولم تقترب   شبرا من السر الذى في الحجاب
ولو توجي اوبة لا شتفت   لكنما عز عليها الاياب
موقف الايام عن سيرها   فانها تركض مثل السحاب
وضع امامي لا ورائي المنى   وطول الدرب وزد في الصعاب
ما لذتي بالماء اروى به   بل لذتي في العدو خلف السراب

ثم تطل الحسناء بوجهها المشرق وقلبها المظلم =

وقالت الحسناء يا خالقي   وهبتني الحسن فاشقيتني
وجهي مني مشرق انما   مرعى عيون الخلق وجهي السني
وحظي منه حظ ورد الربى   من عطره الفواح والسوسن
ومثل حظ النجم من نوره   في الحندس المعكر الادجن
للقائل الفي وللسامع   التغريد والزهرة للمجتني

الى قولها — كم ريبة دبت الى مضجعي   وتهمة حامت على مسكني
ان الغنى في الوجه لي آفة   يا ليتني دميمة ليتني

وهنا تبرز على المسرح الجارية ، ويتلوها الفقير فالغني .

وقال ذو الثروة ما اشتهي   لا اشتهي اني ذو ثروة
انفقت ايامي على جمعها   وخلتني ادركت امنيتي
فاستعبدتني في زمان الصباء   واوقرت بالهم شيخوختي
قد ملكتني قبلما حزتها   وملكتني وهي في حوزتي
كنحلة امسكها شهدها   من الجفاحين فلم تفلت

ثم يجيء الابله فاذا هو رجل ينطق بالحكمة ولعل الشاعر انطقه بها عملا بالقول المأثور = " خذوا الحكمة من افواه المجانين . "

وصرخ الابله مستفسرا   ما القصد من خلقي كذا ما المراد
الم يكن يكمل هذا الورى   الا اذا اوجدتني في فساد .
لي صورة الناس وحاجاتهم   من مطعم او مشرب او رقاد
لكن لبي غير البابهم   فانه مكتنف بالسواد

الى قوله =

ان كنت "انسانا" فلم يرها ترى   لست بادراكي كنافي العماد .

وبعد ان يدلي الاديب بشكاته يصدر الله حكمه الاخير استنادا الى ما سمع من بيانات مختلفة وذلك في محكمة الحياة الكبرى حيث لا استئناف ولا تمييز .

لما دعى الله شكايا الورى   قال لهم كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ وسر الفتى   والكاعب الحسناء والحيزبون
لكنهم لما اضمحل الدجى   لم يجدوا غير الذى كانا

....

ويرى الشاعر في حكم الله منتهى العدل فيقول =

هم حددوا القبح فكان الجمال   وعرفوا الخير فكان الصلاح
وليس من نقص ولا من كمال   فالشوك في التحقيق مثل الاقاح
وذرة الرمل ككل الجبال   وكالذى عز الذى هانا

وفي المقطع الاخير تتجلى صوفية ابو ماضي واضحة جلية فاذا الكون وحدة لا تتجزأ واذا الله واحد في كل ينعكس من اشياء . وتمتاز قصيدة عريضه بما فيها من قلق روحي . وهي من حيث الاخراج البياني تفتقر الى الكثير من الظلال والالوان المشوقة ولكنها من ناحية ثانية غنية بالخيال الذى يخلع عليها شيئا من رونقه . " وارم (١) ذات العماد مدينة عظيمة ذكرت في الكتب العربية التاريخية والدينية مرارا الخ اما ارم التي يقصدها الشاعر هنا فهي ارم الروحية الخيالية المحجوبة في صحراء النفس يمشي مع الشاعر وعلى القارىء ارد على طريق ارم " وليقف معه على " الطلل الاخير " ثم ليتوغل معه في " القفر الاعظم " وليرافق " موكب الذيراوان " على طريق الدنون حتى تبدو له من بعيد " نار ارم " ومن المقطع الاول ما يلي =

يا قلب يا طائرا صغيرا   مضطربا في يد الدياء
يا ظامئا والدموع تجرى   منه ليروى بها سواه
تعال نختر لنا طريقا   نغفو بها الحلم في سراه
تعال لو تنقضي الليالي   فتنثني دون ان نراه

وفي المقطع الرابع اى في القفر الاعظم يقول =

نحرت ناقة وجدى   على ضريح غريب

فسال منها دمائي وطار منها رجائي
وقلت للقبر هذا قبر الاسى والوفاء
اجمع جياعك اني مضيفهم في العشاء
فلم يلب ندائي سوى الصدى في الفضاء
وسرت في القفر وحدي وفوق ظهري صليبي النم .

(١) السائح العدد الممتاز لسنة ١٩٢٥ ص ٧٦ .

ولعل اجمل مشاهد هذه المسرحية مشهد القيروان .

على طريق الجنون بين المنى والمنون
حيال وادي السكون وقفت اجمع ركبي

قد كان في الركب قلبي ومهجتي ومواها
والعقل حامي السرايا والشوق زاجي المطايا
وفي الهوادج حامي ورغبتي والطوايا
بنات صدري وشعري والذكريات الخطايا
يحدو لهن حنيني حداء اعمى سجين
يرى بغير عيون رويا تشوق وتسبي

ويختلف الظاعنون فيما بينهم من اجل القيادة العامة الى المهجة . ويقوم صراع عنيف بين العقل والقلب لا يلبث فيه الاول ان ينتصر على الثاني فتعقد له الراية ولكنه سرعان ما يضعف امام جيوش الشك التي احدقت به من كل جانب واذ ذاك يلوذ العقل بالفرار وهناك في وادي السكون يقف الشاعر ليجمع شتات الركب . واخيرا تسير النفس في طليعة القافلة . وقافلته هذه تعكس الشيء الكثير من روحانية الشرق وان شئتم من روحانية الصحراء حيث تخب القافلة على ترجيع الحداء .

فقال عقلي لماذا تمالئون الضلولا
بغير الدليل انتخبتم قلبا غويا عليلا
يسير نحو مكان قد استمالت طلولا

السـي ثـوله =

فحود العقل سيفا	من الصواب صريحا
فخر قلبي صريعا	فوق الرمال ذبيحا
يا ويح قلب شقي	لم يستريح فاريحا
وسار" بالركب عقلي "	لا يعبرون الجنوحا
وراعنا في السكون	هتاف قلبي الحزين
يقول لا تتركوني	اقضي على البعد نحبي

السي ثـوله =

واطلق الشك جيشا	من الظنون وجمجمه
فخر عقلي جبانا	وجن خوفا وفهفه
على طريق الجنون	بين المنى والمنون
حيال وادى السكون	وقفت اجمع ركبي

السي ثـوله =

يا نفس رفقا ومهلا	فانت ظعني ورحلي
طوحت كل رحالي	الا انما زلت حملي
تعلقي بسكـــون	وعلمني بحملي . . .
حزني لمالذا تخني	اسرت اليوم شكلي
اما علمت باني	فقدت قلبي وعقلي
فاصمت وسر في السكون ؟	على طريق الجنون
لعله بعد حين	يبدو لنا وجه ربي

وينتهي المقطع الاخير هكذا وليته اكتفى منه بالدور الاول .

تلك فار تشيق	كل طرق طليق
هل اليها طريق	غير درب اللحود

اذ تحل القيود

ايه ضوئي السعيد	لم ولم ما تريد
ليس طرفي يحيد	عنك حتى يعود

لتراب ودود

لم ولم في الفضاء	قد سمعت النداء
ودلالي الرجاء	فعساه يقود

ظامئا للورود

اما قصيدتا جبران ونوحات وان شئت ملحمتاهما في المواكب احلام الراعي فهما من نوع قصصي اخر هو القصص الذى يعتمد على الحوار بقصد ابراز فكرة ما او الدعوة الى مبدأ ما اجتماعي او سياسي وقد اراد جبران من " مواكبه " ان يحمل الى الناس رسالة الاصلاح معبرا عن بعض افكاره بالرموز اللفظية حينا وبالصورية حينا اخر . وفي رموزه او بالحرى في ابهى ادبه الرمزى وما يرافقه من صور رمزية مظهر من مظاهر التجديد وهنا يظهر اثر وليم بلاك في ادبه واضحا جليا كما يصرح بذلك استاذه المصور (١) الفرنسي الفنان رودان كما جاء في كتاب خائيل نعيمه وقد ورد معنا ذلك. وليست الرمزية شيئا جديدا في العالم الادبي فان بعض اسفاره التوراة يكاد لا يفهم لكثرة ما فيه من رموز وخصوصا سفر اشعيا وروبا يوحنا وسواهما .

---

(١) ولد جبران خليل جبران في بشرى من اعمال لبنان سنة ١٨٨٣ من عائلة جبرون الكلدانية الاصل وقد قدمت الشام في اوائل الجيل السابع عشر حيث تغير اسمها الى جبران . وفي سنة ١٨٩٤ هاجر جبران من وطنه فزار مصر وفرنسا وبلجكا ثم القى عصا الترحال في بوسطن في الولايات المتحدة . فكان يتلقى الدروس الابتدائية نهارا في المدرسة العمومية ويدرس التصوير ليلا على المصور الاميركي الشهير "ماجر " ثم عاد الى سورية وهو لم يجز الخمسة عشر ربيعا فاقام فيها اربع سنوات ونصف سنة قضى نصفها في مدرسة الحكمة في بيروت ثم غادر سوريا متجولا من الاسكندرية الى ازمير فالاستانة ثانينا متفقدا اثار المصريين والبيزنطيين واليونان ثم عاد الى مصر ثم توجه الى اسبانيا حيث تفقد اثار الحضارة العربية ومنها الى ايطاليا ثم غادرها الى باريس وهو لم يجز الخامس والعشرين وفيها استقر ثلاث سنوات انهى خلالها دروسه الفنية في اعظم معاهدها متلمذا على المثال الافرنسي الشهير " اوغست رودان " الذى سماه وليم بلاك القرن العشرين وليم بلاك هذا هو من اعظم شعراء الانكليز وانبغ مصوريهم " يتوفي جبران سنة ١٩٣١ ومن اشهر كتبه العربية الاجنحة المتكسرة ، دمعة وابتسامة ، المواكب ، العواصف ، الارواح المتمردة ، البدائع والطرائف. وله في الانكليزية " المجنون " " النبي " " رمل وزبد " " يسوع ابن الانسان " " حديقة النبي " وكتب غيرها .

(اخذت هذه الترجمة عن مجلتي السائح العدد الممتاز لعام سنة ١٩٢٧ ص٣ والاصلاح ص٤ ع ٦ سنة ٣ الاولى مجلة شمالية اى تصدر في اميركا الشمالية والثانية جنوبية تصدر في عاصمة الجمهورية الفضية) وافضل كتابين وضعا في ترجمة جبران واعماله الادبية هما " جبران خليل جبران" للاديب ميخائيل نعيمه والثاني "جبران ميتا وحيا للاديب حبيب مسعود "

ومما لا شك فيه ان جبران والريحاني كانا قد تاثرا باسلوب التوراة كثيرا كما تاثر الريحاني باسلوب القرآن كما سيجيء وقد لاحظ بعض المستشرقين ولا سيما من اطلعوا على الادب المهجرى اخص بالذكر منهم المستشرق الالماني "كمفمير " (Kampffmeyer) حيث يقول = " ان جبران (١) لمتاثر باسلوب التوراة في اسفار ايوب وارميا واشعيا وانما يمتاز اسلوبه بكثرة ما فيه ~~من رموز وكلمات و~~

من رموز وكنايات واستعارات مجازية ومن اجور من صديقه وزميله الاديب ميخائيل نعيمه من تفهم تلك الرموز اللفظية والصورية التي ترد في معظم كتبه ولا سيما في كتاب المواكب المعنيون به في درسنا للشعر المهجرى . قد تسهل التعابير الشعرية الغامضة احيانا على من يريد اعمال الفكر وامعان النظر اما الصور الرمزية فليس لها سوى صديقه نعيمه فيقول " اول رسم (٢) وضعه جبران امامي على المنصب كان يمثل فتى عاريا قوى العضل متسق الجسم خفيفه يسير بخطوات ثابتة واسعة وفي يده اليمنى ناى عيناه تحدقان بما هو ابعد من مجال البصر وفي الفضاء من خلف شكل اثيرى سابح في الهواء يمثل امرأة لا ترى منها غير راسها وكتفيها وبعضا من صدرها وذراعيها الممدودتين كانهما جناحان يحرسان حامل الناى وترى في وجهها ما يشبه الحب ، لكنه غير ما يعرفه الناس باسم الحب وترى في عينيها العالقتين بما وراء الافق لهفة كانها تقول للفتى سر ولا تخشى فانا معك ووراء الفتى قد سار جمهور من الناس يبدون بالنسبة اليه اقزاما هوذا صاحب الخيال الذى ادرك بخياله سر الامتثال فامتثل بالامر بارادته وكان لذلك حرا . والشكل الاثيرى هو خياله الابر وحاديه وهاديه والناس من خلفه قطعان تسير ولا تعلم لماذا . والى اين تسير . انهم العبيد لان ليس لهم من خيالهم محررا .

ومما يزيد في قيمة تفسير نعيمه لرموز جبران الشعرية والصورية صداقته لجبران ومعاشرته له وما كان يدور بينهما من نقاش وحوار حول الادب ورسالته ونعيمه الى ذلك كله اديب كبير قدلا يقل عن زميله وصديقه شهرة ومقاما . ولطالما قرأ عليه جبران شيئا من نتاجه الادبي ليرى ما راى صاحبه في الامر . ولا يعني هذا ان نعيمه كان استاذا لجبران غيرانه في الاحتكاك الفكرى مجلبة لليقظة والتفهم . واذن فنعيمه لجدر من اى اديب اخر في التعليق على كتاب المواكب .

" كنت اسمع (٣) جبران يقرأ واقرأ جبران في ما اسمع — هوذا جبران " المتقمص في جسد رجل يحب العزم والقوة " ينازل جبران الذى " مات ودفن في وادى الاحلام " والذى من حيث لا يدرى دائنه مزق اكفانه ودحرج الحجر عن باب قبره وعاد الى الحياة وفي عينيه نور حقيقة جديدة وفي قلبه جذوة ايمان قديم .

يطل الاول على الحياة من كوة لا يبصر منها الا الانسان . وبعد ان يتفحصها بمجهر عقله يجدها حلقات متنافرة متناقضة هناك الخير والشر . والحق والباطل ، والعدل والظلم ، والحرية والعبودية ، والحب والبغض ، والموت والحياة وغيرها من المتناقضات ، ويجد الناس في ارتباك مستمر وتشويش ابدى لانهم يحاولون ان يؤلفوا من تلك الحلقات المبعثرة سلسلة كاملة فلا يستطيعون وهم لا يستطيعون لانهم لا يعرفون كيف يقيسون الحلقات ويزنونها اما هو فيعرف لكنه ضنين بمعرفته على قدر ما هو جواد بهزئه . فهو يهزأ بخير الناس وشرهم ولا يقول لهم ما هو خيره وشره . وهو يسخر بدينهم ولا يطلعهم على دينه الخ ".

ثم ينتقل نعيمه بنا الى التحدث عن الشخص الآخر او بالاحرى عن جبران

---

(١) قادة الادب العربي المعاصر ص ١٨ (٢) جبران خليل جبران ص١٦٦ (٣) جبران خليل جبران ص ١٦١ – ١٦٢ .

المولود جديدا فيقول =" اما جبران (١) الشاخص من لحده في وادي الاحلام فينبري على مسرح الحياة خيالا طليقا من قيود المقاييس والموازين وكل اصناف المتناقضات . وما الغاب التي يسرح فيها ويرد كل شيء اليها سوى عنوان الحياة الشاملة ولا الطبيعة بمعناها النيف . وما الناي الذي ينفخ فيه سوى رمز الروح الذي تلتقي فيه كل الارواح لتؤلف لحنا واحدا كاملا لا نشاز فيه ولا تشويش ".

يأكل الذئب الحمل فيصبح الناس = هي القساوة بعينها والجور الذي ما بعده جور . الا ان الغاب وهي الحياة الشاملة — لا تولول ولا تصيح لانها تطعم ذاتها من ذاتها . فلا موت الحمل عندها مأتم ولا غذاء الذئب وليمة " .

وللغاب من " احيائها " غاية واحدة ولها فيهم مشيئة واحدة . من عرفها لم يعاندها بل استسلم لها وباستسلامه لها جعلها مشيئة له . ومن جهلها فعاندها سحقته فاشقته. فالاستسلام نوعان . هناك استسلام الجاهل وهو العبودية وهناك استسلام العارف وهو الحرية . ومن هذا النوع الاخير استسلام النافخ في الناي ."

وقد يكون من الخير بعد هذه المقدمة التي اتخذناها عن الاديب نعيمه ان نثبت شيئا من المواكب لتتم الفائدة ولعل القارىء يذكر ان ما قلناه في هذا النوع القصصي لا يخرج عن حد الحوار الذي هو عنصر من عناصر المسرحية التامة . وهو هنا يقصد فيه ابراز فكرة ما او رسالة ما وقد يكون هذا من قبيل التجريب المشار اليه آنفا . والحوار كما سبق وذكرت يكثر في الادب المهجري الى حد بعيد وهو لذلك ظاهرة جديدة في ادبنا العربي ولعل السبب لذلك هو ان الادب المهجري في مجموعه ادب رسالة قبل ان يكون ادب فن وزخرف .

وهناك نماذج من ادب جبران في " مواكبه " فهي لا تحتاج الى الشروح اللغوية والتفاسير البيانية وذلك بالنسبة الى بساطة الفاظها وبساطة معانيها لولا ما فيها من رموز وما يتخللها من تعقيد سببه في الغالب عدم تمكن جبران من الاجادة والافصاح عن نفسه . على ان في ما قدمه نعيمه نورا يمكننا الاسترشاد به . ولعل الدكتور فروخ مصيب في بعض ما اخذه على جبران من خطأ وتعقيد في بعض مقاطع القصيدة ولكنه مسرف في نقده ان لم يكن متحاملا وتحامله في بعض احكامه الجبرانية لا يحتاج الى دليل . ولعله اذا راجع ما كتبه نعيمه

في شرح رموز المواكب عاد الى اعتداله . ومما جاء في ملحمة جبران هذه ما يلي :=

ليس (٢) في الغابات راع	لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشي ولكن	لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيدا	للذي يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوما	سائرا سار الجميع

فيقول الدكتور فروخ =" اما البيتان الثالث والرابع فظاهرا الصورة بينا المقصد على ركاكة تركيبهما انه يريد ان يقول = ان الناس يخشون الذي يأبى الخضوع على كل احد فاذا اراد امرا انقاد هولاء الناس له وذلك ممسخ من قول الفرزدق =

اذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا " الى قوله = " واما البيت الاول فتستخرج صورته الخيالية بعد اكراه فاذا هي = " الغابة ميدان طليق من القيود والحدود ليس فيه لجبر حاكم ولا محكوم بل الجميع تحت سماء " فيستنتج من تعليقات الدكتور وتفسيرات نعيمه السابقة ان الشاعر في واد والناقد في واد ولا غرابه في ذلك فان ما يقع الدكتور من خطاء قد يقع لاى اديب اخر لم يقف شخصيا على حياة جبران الفنية .

ومما قاله الدكتور فروخ بالاضافة الى ما تقدم = " واكبر الظن انني وجدت هنا من المعاني لجبران اكثر مما يمكن ان يكون قصد هو نفسه . " وهو ينتج مقالة هكذا = " وهكذا نجد ان خيال جبران خليل جبران مريض مضطرب مشوش وعلينا ان نتطلب سبب ذلك في ميزة شاذة فيه و فان الرجل على شيء من العبقرية ـ يدني على تخيل الامور على خلاف تخيل اكثر

---

(١) جبران خليل جبران ص ١٦٤ (٢) الامالي السنة الاولى العدد ٣٦ ص ١٧ — ١٨

اهل بيئته — ومن ميزات العبقرية ان تكون معانيه مقصدة فتكون نبوغا او تكون مضطربة كدراء فتميل بصاحبها الى الشذوذ الذي ينفر العقل منه فعلينا الان ان نلتمس سبب شذوذ جبران في اضطرابه العصبي وادمانه الخمر . ان خياله حلم رجل مريض اننا اذا فعلنا ذلك انصفناه ". وفي كلام الدكتور الاخير من التحامل ما فيه لعل القارئ الكريم يشوق للاطلاع على بعض مقاطع من هذا القبيل القاها ان لم يكن قد اطلع على " المواكب الجبرانية " من قبل او لعله يرغب في اعادة النظر فيقرأها بامعان وروية . ومما جاء في المطلع =

الخير في الناس (١) مصنوع اذا جبروا ... والشر في الناس لا يفنى وان قبروا
واكثر الناس الات تحركها ... اصابع الدهر يوما ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ... ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فافضل الناس قطعان يسير بها ... صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر .

....

فيجيبه الصوت الاخر =

ليس في الغابات راع ... لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشي ولكن ... لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيدا ... للذى يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوما ... سائرا سار الجميع

. . . .

اعطني الناى وغن ... فالغنا يرعى العقول
وانين الناى ابقى ... من مجيد وذليل

المقطع الرابع =

والدين في الناس حقل ليس يزرعه ... غير الالى لهم في زرعه وطر
من امل بنعيم الخلد مبتشر ... ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا ... ربا ولولا الثواب المرتجى كفروا
كانما الدين ضرب من متاجرهم ... ان واظبوا ربحوا أو اهملوا خسروا

....

ليس في الغابات دين ... لا ولا الكفر القبيح
فاذا البلبل غنى ... لم يقل هذا الصحيح
ان دين الناس يأتي ... مثل ظل ويروح
لم يقم في الارض دين ... بعد طه والمسيح

. . . .

اعطني الناى وغن ... فالغنا خير الصلاة
وانين الناى يبقى ... بعد ان تفنى الحياة

ثم هو في المقطع الخامس يحدث عن العدل ثم ينتقل بك في المقطع الذى يليه الى الحديث عن الحق فالعلم فالحرية فالتساهل واللطف فالتظارف والكياسة فالحب فالفتوحات الحربية فالسعادة فالروح فالجسم فالموت وقد بث قصيدته كل ما عنده من فكرة

---

(١) المواكب ص ١٣

وما لديه من رسالة كل ذلك بشعر بسيط في الفاظه وتعابيره الا فيما ندر وكان فيه شيء من الرمزية . والقصيدة لا تخلو من بعض المقاطع الرائعة والمعاني الجميلة بما هي عليه من طلاوة في الالفاظ وعذوبة في الموسيقى . من ذلك قوله =

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يرجى فان صار جسما مله البشر
كالنهر يركض نحو السهل مكتدحا حتى اذا جاءه يبطي ويعتكر
لم يسعد الناس الا في تشوقهم الى المنيع فان صاروا به فتروا
فان لقيت سعيدا وهو منصرف عن المنيع فقل في خلقه العبر .

الى قوله =

لم اجد في الغاب فرقا بين نفس و جسد
فالهواء ماء تهادى والندى ماء ركد
والشذا زهر تمادى والثرى زهر جمد
وظلال الحور حور ظن ليلا فرقد (١)

الى قوله =

هل تخذت الغاب مثلي منزلا دون القصور
فتتبعت السواقي وتسلقت الصخور
هل تحممت (٢) بعطر وتنشفت بنور
وشربت الفجر خمرا في كؤوس من اثير .

واما الشاعر الياس فرحات في ملحمته احلام الراعي فلا يختلف عن جبران في مواكبه الا قليلا فهو يعيش واغنامه في قلب الغاب ومعه كلبه " قطروف " ساعده الايمن وسميره في وحدته ولكن غابه هذه ليست شيئا يراه في اليقظة وانما في حلم وهو في حلمه قد يكون غير مسؤول عما سمع وشاهد . والفكرة العامة لا تخرج عن حد الابتذال لولا القالب الجديد الذى افرغها

فيه والقصيدة تدلنا تخلو من بعض التشابيه المستطحة . اما الفكرة العامة او بالاحرى رسالة الشاعر فرسالة غير جديدة وهي لا تخلو من التطرف شان فرحان في معظم قصائده والملحمة التي نحن في صددها هي قصيدة من ديوان له يعرف " باحلام الراعي " وقد اطلعت على بعض قصائد هذا الديوان المعد للطبع في مجلة الشرق البرازيلية لصاحبها الاديب موسى كريم .
والملحمة هذه منشورة بكاملها في مجلة الطليعة (٣) الدمشقيه والى القارىء شيئا منها =

اخرجت شائي الى المراعي	والفجر يحبو على السهول
والزهر واع وغير واع	والطير كالزهر في الذهول
عصاي تروى حديث موسى	كما تلقفه من عصاه
تلمذة نالت الدروسا	من شيخة السحر في حماه
ان لم تكن تبلغ الافاعي	تلبس ضعفا ولا احتراس
رهط الثعالبين والسباع	قد حطمت منه الف راس

الى قوله =

ملساء ممشوقه القوام	ما غير العمر من صباها
الارز اهلها الكرام	هذا اذا لم يكن اباها
لكنها لم تعم بلوى	والارز بلواه كالزمان
وكل ارض بالذل تروى	اشجارها تثمر الهوان

---

(١) لعله البيت الوحيد الذى وجد حسنة في عيني الدكتور فروخ — الامالي سنة اولى عدد ٣٦ ص ١٧ (٢) راجع في هذا الكتاب باب " المهجريون واللغة " (٣) مجلة الطليعة السنة الرابعة عدد ٨ ص ٩ ٣٧

الى قوله =

عصاي ذات الاصل	هززتها كالنصل
وصحت بالخضروف	فجاء كالملهوف

وبعد ان يمضي في وصف كلبه غضروف ينتقل الى القول =

سرت امام الشاء في كفي العصا	والشاء خلفي في نظيمه
وخلفها الخضروف ان راس عضا	طوعه بالوثبه الحكيمه
سرت بها من ساحة المراح	ابغي لها المرعى الخصب الزاهي
في بقعة باسقة الادواح	وافرة الظلال والمياه

واخيرا ينتقل بك الى حديث اقنامه =

فاحتدمت غيظا وقالت تدعي ... حمايتي يا ايها المرائي
وانت لو عجلت يوم مصرعي ... سمعت في حشرجتي ثنائي
تتهم الذئب بالحملان ... وانت اضراها واسواء علا
يا ايها الجاني ويا ابن الجاني ... يا منكرا منكلي في كل عام حملا

الى قولهـا =

حتى متى يا ناس ... تعلوكم الادناس
يا شر خلق البارى ... لا تشمتوا الضوارى
ان الضوارى انتم ... والشر فيكم منكم
قلوبكم سوداء ... يحمل فيها الداء
تخفق بالشرور ... من اقدم العصور
لا راضها التمدين ... ولم يقدها الدين
صلاتكم هباء ... ودينكم رياء
وربكم يهودى ... ذو نسب مردود
وعندكم رهبان ... يا ليتهم ما كانوا
وبينكم كتاب ... تفضلها الكلاب

ويختم ملحمته هذه بالمقطع التالي =

فآلمتني هذه الحقيقة ... واشطرمت نفسي بنار الغضب
مضحت قد اجرمت يا زنديقة ... يا بنت ذا القرنين ذات الذنب
وملت بالعصار على الشقيه ... اثأر لله وللانسان
فنطحتني نطحة قوية ... اطارت السبات عن اجفاني
من اخمصي طبت الى يا فوخي ... لما بدا لي انني في حلم
ولست في اتدابه بل في الكوخ ... على فراش من جلود الغنم

واعود فاكرر القول بان القصيدة ليس فيها شيء من الابتكار وان وجد فيها شيء من التجديد فقد يكون هذا من قبيل القالب والاسلوب وذلك في اختياره للقوافي المختلفة واوزان الجامعة بين القصر والطول مما يكون انغاما موسيقية مختلفة يجمع بينها النغم العام .

وهنا ملحمة ثانية كما يسميها صاحب مجلة العصبة(١) من صنع الشاعر الياس فنصل ،هي ملحمة " المسيح والعاشقة(والعاهرة) " المشار اليها

---

(١) العصبة ص ٨٣١ عدد ٩ سنة اولى

سابقا اود ا اشير اليها على غير ما وقوف على تفاصيلها . وليس عن تقصير في واجب الاطلاع وانما لكونها غير تامة وقدعثرت على الشيء القليل منها مبعثرا هنا وهناك . وقد لاحظت ان معظم الحوار فيها لا يخرج عن حدى بطليها المذكورين . والمسبح فيها بطل من ابطال الروح ولعله خير بطل روحاني عرفه العالم . وما صراعه سوى صراع الارواح المتسامية عن اتضاع والمتضعة عن كبر . وقد يكون في اتجاه الشاعر نحو تمجيد البطولة الروحية على هذا النحو شيء من التجديد المسرحي في عالمنا الادبي اعني عالم الشرق العربي ا فنحن نعلم ان اكثر ما تكون البطولة في الملاحم والمسرحيات من النوع العربي المشبعة بفكرة الغلبة والغطرسة . هذا والملحمة قياسا على ما اقتبسته منها هنا ولا تخلو من اخراج فني ورسالة عالية . يتجلى اخراجها الفني فيما تجد فيها من الفاظ موسيقية ونغم حبيب الى القلب =

الحائرة = اصحيح انني بت كما اشهد حوله | لم انا مطلقة في الحلم واليقظة مرة

لرسيد الرحمات عفوا | في ذهولي كل عذرى

لست ادرى كيف ابدى | لك اجلالي وشكرى

في فوادي كلمات | لا يوديها اللسان

ان اكن عاجزة عنها | فدمعي ترجمان

انت نجيت حياتي | من يد الموت الزوام

وهي رهن بعد هذا | لك في اى مرام

المسيح =

انا لم انفذ ترابا | حاملا اهواء امسك

انما حطمت كاسا | لم فيها على نفسك

كمت من عجزك فيهم | نسجة بين ذئلب

ودفاعي عن كناس الضعف | سطو في كلبي

اين من البسك العار | باثم لم يشنه .....

انهم لم يلمسوه فهو | اجبن منه .....

فاذهبي عامرة النفس | بالاء الرجاء

واجعلي شكرك تخفيف | الاسى عن ذى الشقاء

وليكن قلبك منذ ا ن كالزهر جميلا | وليكن حبك كالصبح نقيا ونبيلا

وكيف كان الحال فهذه الاناشيد او "المناشد "التي المعنا بها في دارستنا هذه هي كما تقدم معنا ظاهرة من ظواهر التجديد وذلك في انواع الشعر الاساسية اى في الخروج به عن الشعر الغنائي الصرف الى القصصي فالمسرحي .

في القالب .

واما التجديد الذى نلمسه في اسلوب الشعر المهجرى من حيث القالب والوزن فليس بالشيء الجديد اصلا . فقد عرف الاندلسيون هذه الاساليب قبل سواهم كما يذكر ابن خلدون والذى لا يختلف فيه اثنان هو ان المهجريين قد اضافوا اليها شيئا جديدا واية القول فقد توسع المهجريون في اساليب التوشيح توسعا ملموسا حيث اختلفت اغصان (١) الموشحات الجديدة وتفاعيلها عددا ولونا ؛ في الكثير او في القليل . والاوزان الجديدة التي استنبطها المهجريون تتجلى في عدم التقيد بعدد التفاعيل وعدم التقيد بالوزن كما يظهر ذلك في الشعر المنثور الذى سنعود اليه بعد حين وتتجلى ايضا في اعتبار مصراعي او شطرى البيت الواحد شطرا واحدا .

---

(١) راجع ما ذكره ابن خلدون في هذا الصدد ص

وكاني بهم قد اعتنوا عناية خاصة بموسيقى البيت كما اعتنوا بموسيقى المقطوعة وبالتالي بنغم القصيدة الشامل والى القارىء الكريم شيئا من اقوال كبار الادباء في هذا الخصوص مؤيدين ذلك بالشواهد انشاء الله على ان بعض الادباء لا يرون سوى شيء ضئيل من التجديد في الادب المهجرى — وربما عاد ذلك الى عدم اطلاعهم الكلي على كل ما انتجه المهجريون او غيرهم من ادباء وطني العربي في نهضته الحديثة وقد يكون هناك اسباب ثانية لا اعرفها او لا يعرفها سواي من ذلك ما ينوه به الاديب الاسباني نيلا سباسا في خاتمة مقاله الذى يقدم(١) فيه قصيدة على بساط الريح وهو قوله " لو استثنينا الشعر الاندلسي لم نر تطورا في الشعر العربي منذ عهد الجاهلية فان شعراء الاندلس لينوا اوزانه ونوعوا قوافيه منطلقين من قيوده ذهابا مع خالجة في الصدر او لاعجة في النفس .

اما المازني وهو احد ادباء مصر الكبار فيقول غير ذلك : " فهذه(٢) روح مستقلة لا تريد ان تقلد لا العربي القديم ولا الغربي الجديد ولا عجب بعد ذلك أن يرى المرء مظاهر هذه النزعة في اسلوب الكتابة وفي الاوزان المختارة لصب المعاني الشعرية فيها فمن ذلك قول نسيب عريضه من قصيدة اسمها " النهاية " يذكر فيها قومه :

كفنوه ، وادفنوه ، واسكنوه ، هوة اللحد العميق ،

واذهبوا لا تندبوه ، فهو شعب ميت ليس يفيق

هتك عرض ، نهب أرض ، قتل بعض ، لم تحرك غضبه

فلماذا نذرف الدمع جزافا ، ليس تحيا الحطبة

ويضيف المازني قائلا وهو وزن مقبول يسيغه الذوق السليم ومن ذلك ايضا اعتبارهم البيت بمصراعيه كلا غير مقسوم في الكتابة الى شطرين كقول نعيمه من قصيدة النهر المتجمد :

قد كان لي يا نهر قلب ضاحك مثل المروج

حر كقلبك فيه اميال وآمال تموج

قد كان يضحي غير ما يمسي ولا يشكو الملل

واليوم قد جمدت كوجهك فيه امواج الامل

فتساوت الايام فيه صباحها ومساؤها

وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها

---

(١) على بساط الريح صفحة ٩ — (٢) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٨ — (٣) اخبرني الدكتور نبيه فارس الذى جاء حديثا من نيويورك من جامعة برنستون ليحل محل الدكتور زريق استاذا للتاريخ العربي في هذه الجامعة العزيزة ان نسيب عريضه قد باشر حديثا طبع ديوانه الارواح الحائرة وهو في نظره ونظر الكثيرين في طليعة الشعراء المهجريين حبذا لو تسنى لنا الاطلاع على ارواحه الحائرة لعلنا نجد فيها الوانا جديدة من الشعر .

وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها "

والظاهر ان اعتبارهم البيت بمصراعيه كلا غير مقسوم كما يذكر المازني اصبح سنة عند شعراء المهجر او كاد ان يكون . ولو جئت اذكر او بالاحرى اثبت هنا بعض النماذج لضاقت بها الصفحات والذى لفت نظر النقاد الى هذه الظاهرة هو او لعله حرص القدامي علي تعيين الفاصل بين الشطر واخيه وتنبيههم في حالة اتصال شطريه ، بوضع حرف الميم (م) تنبيها الى ضرورة الاتصال محافظة على الوزن كما في بيت المعرى مثلا =

وشبيه صوت النعي اذا قيـ م س بصوت البشير في كل ناد ه —

ثم كرههم للتضمين محافظة على استقلال البيت الواحد .

ومن امثال ما ذكره المازني بعض المقاطع التالية =

اخي ان عاد (١) بعد الحرب جندى لاوطانه
والقى جسمه لمنهوك في احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

هذا وشعر نعيمه يزخر بالنغم الموسيقي ا منسلب في مجراه انسيابا لا يعرف معه التوقف في سبيل التمييز بين صدر وعجز بل هو تيار من النغم يجرى في سبيله الى قلب البحر . والشعر المهجرى عموما غني بما فيه من انغام موسيقيه ملونة فيها القصير والطويل من تفاعيل الاوزان المختلفة والروي المختلف . وهي تظهر كاوتار العود او الكمان ، لكل وتر منها نغمة الخاص ورنته الخاصة ولكنه لا ينفصل عن الاوتار الباقيه في النغم الشامل الذى يجمع بينها . فما المعلقات الطويلة في نظرى سوى ربابة ذات وتر واحد في رديها الواحد ووزنها الواحد . وما الموشحات في رويها المختلف ووزنها المختلف سوى قيثارة تعددت اوتارها لتعدد انغامها وهي اذ ذاك اجدر بتمثيل رغبات العازف والمستمع تلك الرغبات المختلفة في الوانها واصباغها . وما الحياة سوى مجموعة من الظلال المتباينة اني عندما اقرأ قصيدة النهر المتجمد كنت اشعر في نفسي ان هناك نهرا ينساب امام عيني ثم لا يلبث ان اتمثله جامدا بما يهب على مائه من زمهرير النفس المتالمة الحارية امام حقيقة الخريف . وهنا لا بد لك من اكبار الموسيقى التي تتجلى فيما توحي الالفاظ وما يحرك النغم في نفسك من رغبات ولعل نعيمه وامثاله لم يبالوا كثيرا بما في الرمزية من مدارس وما عندها من فلسفات . "فقد ذكر لي ان الادب المهجرى لا يخلو من الرمزية على غير ما انصراف اليها او احساس بوجودها في الغالب ". هذا والرمزية لها مدارسها الخاصة والوانها الخاصة فمنها المدرسة المعتدلة

ومنها المتطرفة والاخيرة كثيرة الغموض في الكثر من ظلالها ، والرمزية الغامضة كالتي دعا اليها " رامبو " مثلا لا تجد لها اثرا في الادب المهجرى .

الا ما جاء عفوا كالتي تلاحظ في الادب الجبراني ولكنها نادرة وربما كان ذلك من آثار اقامته في فرنسا .

واذا كان الرمزيون يشبهون احيانا الى فضل الموسيقى في خلق الاجواء والصور فالشعر المهجرى لا تخلو موسيقاه من ايحاء وخلق .

والبك كيف تحس بشيء ينسل عندما تقرأ —

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير

ام قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير

بالامس كنت مترنما بين الحدائق والزهور

تتلو على الدنيا وما فيها احاديث الدهور

بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق

واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق

---

(١) همس الجفون ص ١٦ (٢) همس الجفون ص ١٠

ولعل نعيمه اشغف شعراء المهجر بجعل شطرى البيت الواحد كلا غير مقسم نزولا عند الاتساق والموسيقى والانسجام اللفظي . ولعله اول ناتج في هذا الميدان الادبي اذ قلما تخلو قصائده من تلك الرنة الموسيقيه والهمس الحبيب الى القلوب . من ذلك قوله —

ان رايت البحر يطغي الموج فيه ويثور

او سمعت البحر يبكي عند اقدام الصخور

ترقبي الموج الى ان يحبس الموج هديره

وتناجي البحر حتى يسمع البحر زفيره

راجعا منك اليه

هل من الامواج جئت .

ومما قال الدكتور مندور = " وفي الحق ان شعراء (١) المهجر قد جددوا موسيقى الشعر العربي تجديدا يستحق ان نطيل فيه النظر . ونحن الان ازاء بحر تقليدى (مجزوء الكامل)

ولكن انظر كيف استخدمه الشاعر (وهو يعني عريضه) في قوله =

قد نام ارباب الغرام　　　　وتدثروا لحف السلام
وابيت يا نفس المنام　　　　افانت وحدك تشعرين

" فالوحدة في نظر الدكتور كما يلاحظ لم تعد البيت بل المقطوعة (قد نام ...... تشعرين) وفي كل مقطوعة تجد اربعة اشطر الثلاثة الاولى يقفي بعضها البعض واما الشطر الرابع الذى نسميه " القافلة " يقفي القوافل الاخرى وعلى هذا النحو تطرد القصيدة . وللدكتور مندور راى في الادب المهجرى فيه الشيء الكثير من الاعجاب والميل ومما جاء في تقريظه لشعر نعيمه ما يلي =

" اولا ترى كيف ان ضجيج الفريق بلجعاله الخ قد زاد من حزننا مرارة . واخيرا فيه الموسيقى الشعر من الوافر ولكنه متصل باتصال الاحساس حتى لا اكاد ارى فيه ذلك الايقاع (rythme) الذى يفسر الكثير من موسيقى شعرنا عندما تستقل الابيات .
موسيقاه مما يسميه الاوربيون ترنيما (melodie) وفي هذا ما يماشي الحزن المتصل والالم الخشوع = "

اخي ان عاد بعد الحرب جندى لاوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلانه
فلا تطلب اذا ما عدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى اشباح موتانا

ويضيف قائلا = " ابعد هذا نتخبط في معنى الادب فيذهب البعض الى انه الحث على مكارم الاخلاق والعدل الاجتماعي واصلاح النظم ويذهب اخرون الى انه الافكار العظيمة والتفكير الكبير والصنعة المدهشة والاسلوب الغني .. "

اخي . ان عاد يحرث ارضه الفلاح او يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل ماوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في اراضينا
سوى اجياف موتانا

" اى بساطة في التصوير . واى قرب من واقع الحياة " ولعل شعر نعيمه كما ذكرت سابقا يمتاز في الكثير من اناشيده الموسيقيه وهو في اخراجه لا يخرج عن حدود المقاييس التي عرفها

المهجريون والتي اثبتناها في باب المقاييس (٣) الادبية .

---

(١) في الميزان الجديد ص٥٤ (٢) في الميزان الجديد ص ٥٠ (٣) راجع فصل مقاييسه الادبية وانظر راى نعيمه

ومن القطع الادبية التي تمتاز برنتها الموسيقية الموحية قصيدة يا ليل لايليا س نوحات ومنها =

يا ليل (٢) خذ بيد المعزوبة واهدها خير السبيل
لم يبق لي فيها وفيك من الرجاء سوى القليل
سيرا على بركات من بركاته تحي الرميم
واستصحبا هم المحب ولوعة الوجد القديم
اني صحبتكما زمانا كنتما فيه وحي
ذئبين ينهش واحد قلبي واخر اضلعي

الدور الثاني = فلكم سهدت وانت تغرى ناظرى على السهر
ونجومك الصفراء ساهرة تسارقني النصر
لا تعترض ان لم يكن لاغني معاندتي بد
ان لم تكن انت المسيء فذاك مثلك اسود
ان الليالي السالفات وانت شيء واحد
ولدتكم الغبر العصية والقضاء الجاحد
طلتم على وطالما طالت بطولكم المحن
واسود حظي باسوادكم فقت الى الكفن

ولعل القارئ يذكر انه من عيوب الفصاحة عند نقاد العرب قديما تكرار الحرف او اللفظة في البيت الواحد وعندى ان في تكرار (الطاء) في البيت الذى قبل الاخير من الفصاحة والبلاغة ما فيه . بل ربما كان هذا الشطر بيت القصيد بالنسبة الى ما يوحيه التكرار هنا من الضجر الذى يعانيه الشاعر في لياليه الموحشة وذلك في قوله =

طلتم علي وطالما طالت بطولكم المحن

وهذا ما نعنيه بالموسيقى الموحية احيانا اذ قد تعكس لك الانغام المتنابعة تكرار الحرف

او اللفظ ما لا تعكسه المعاني ذاتها . اما توسع المهجريين في الموشحات في الزيادة من اغصانها والتنقيص منها فذلك شيء كبير وهذه الصنعة التي يشير اليها ابن خلدون في حقل التوشيح هي في نظري لا تخلو من تكلف واجهاد مهما كان نوعها من ذلك التكلف الظاهر في قول نعمه الحاج =

في ظلام (٢) الليل والناس نيام   ارقت عيني فما ذقت الكرى
ليلة احييتها منذ المسا   للصباح
في فنون وشجون واسى   والتياح
نزل الهم بقلبي ورسى   واستراح
واذا الهم على القلب اقام   راح عنه الدمع يروي خبرا

ومن ذلك ما قاله فوزي المعلوف —

ثم الوى (٣) يتلو على حواء   بابتسام
كفكفي الدمع ابشري بالصفاء   والسلام
لم يعد موجب لماضي البكاء   والملام
استعدنا الفردوس بالابناء   بالغرام

---

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ١٩٣ (٢) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٢٧٦ (٣) اطروحة فائز عون ص ١٧٥ .

من ذلك قول جبران وجبران في شعره المنثور اشعر منه في المنظوم —

بالله (١) يا قلبي   اكتم هواك
واخف الذي يشكوه   عمن يراك — تغنم

من باح بالاسرار
يشابه الاحمق
فالصمت والكتمان
احرى بمن يعشق

بالله يا قلبي   اذا اتاك
مستعلم يسال   عما دهاك — فاكتم

وقال ايوب = لبست شمسي (٢) الوشاحا   آه ما احلى المغيب

نام قلبي واستراحا   وقضى ذاك الغريب

في الانام

فاحفروا قبري بجانب   خيمتي عند الكروم

حيثما كنت اراقب   في دجى الليل النجوم

لا انـــام

ومن ذلك قول فرحات =

نازح اقعده وجد مقيم   في الحشا بين خمود واتقاد

كلما اثر له البدالوسيم   عضه الحزن بانياب حداد

يذكر الربع القديم   فينادي

اين جنات النعيم   من بلادي

خصها المبدع بالحسن البديع   منصفا بين الروابي والبطاح

ملقيا من نسج ابكار الربيع   فوق اكتاف الربى ابهى وشاح

حبذا راعي القطيع   في المراح

منشد لحن المزيح   للصباح

ولعل " صنعة " اليوم تختلف قليلا عن " صنعة " الامس وذلك باختلاف الزمان والمكان فقد كان القدماء منصرفين في صنعتهم الى ما هنالك من " نظريات " في علم والبديع والجناس وما اليه وهو ذا الابيات التي ذكرها ابن خلدون لعبادة القزاز وهي =

بدرتم (٣)   شمس ضحا   غصن نقا   مسك شم

ما ات   ما اوضحا   ما اورقا   ما انم النم

قد قصد منها على ما يلاحظ الطي والنشر " فيما يناسب كل شطر مما هو تحته ولا يعني هذا ان شعراء المهجر او شعراء الوطن المعاصرين لم يعنوا بناحية المعاني والبيان والبديع وما اليه مع العلم ان هذا الشيء لم يكثر الا في عصور الانحطاط من العصور الادبية كالذى نراه في شعر لعصر العباسي الثالث والاخير كما في شعر صفي الدين الحلي والفارض وسواهما بل هاك الصنعة ظاهرة في قول فوزى المعلوف لا في القالب بحسب وانما في ناحية البديع وما هنالك من محسنات لفظية كقوله من قصيدة الكنارة =

فيا اماني عودى (٤) وعودى   ذاهلة عاش بالوعود

---

(١) البدائع والطرائف ص ٢١٠ (٢) مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ ص ٦٥ (٣) راجع ص ٢٨ (٤) اطروحة عون ص ١٧٨ ٠

ان الوعود حلم الم
ولن يعود الا الالم

ايه يا خير خال ـ خال قلبي اليوم خال

وقد يكون ان فوزى وامثاله من شعراء المهجر كانوا لا يزالون ينظمون " بقوة الاستمرار" التقليدية التي عرفها القرن التاسع عشر وقد ذكرتني لفظة " خال " المتكررة هنا بقصيدة بطرس(١) كرامه الخالده المشهورة التي تتكرر فيها لفظه الخال اكثر من عشرين مرة ومطلعها =

امن خدها الوردى افتتك الخال فسح من الاجفان مدمعك الخال

وبالطبع فان هذا حكمنا على ان في الصنعة التوشحية شيئا من التكلف او الكثير منه فليس بالحكم العام المطلق اذ لكل قاعدة شواذ كما يقولون . وانا اقصد في قولي تلك الموشحات التي يكثر فيها الاسراف في تنويع الاوزان والقوافي ولا سيما في المقطع الواحد . " والصنعة " بمعناها الشعرى سواء كانت في الموشح من الشعر الوني البسيط منه لا يفهم منها في الغالب سوى التكلف والاجهاد الفكرى اما اذا جاءت عفوا وعلى غير ما اجهاد كبير فنعم الشعر ونعم الصنعة مع الايمان ان للشعر عناصر ثانيه غير عناصر الوزن والقافية وهاك شعرا لا يخلو من الصنعة ولكنه حبيب الى النفس وهو من قول فرحات =

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة
سافرى مصحوبة عند الصباح بالسلامة
واحملي شوق فؤاد ذى جراح وهيامه

\- - - - - - - -

اسرعي من قبل يشتد الهجير بالنزوح
واسبحي ما بين امواج الاثير مثل روحي
واذا لاح لك الروض النضير فاستريحي

فالشعر كما يلاحظ يزخر بالنغم الناعم والهمس الحبيب وهو الى ذلك " جميل " بما فيه من دفء العاطفة ومن اجد بناديه رسالة الشاعر من عروس الروض ومن اولى من الحمام ينقل اشواق الفؤاد الجريح . ان الشاعر ليشفق على الحمامة فيطلب اليها ان تستريح لان حملها ثقيل والنسيم محمو بالهجير . ولعل الجمال الذى احسه متات من بعض الفاظ القصيدة ولعل الدفء اثر من اثار الالفاظ الدافئة الحنون .

" ان في لاح " من صور الشوق ما لا تراه في اية لفظة ثانية في موقف كهذا . وان من الايقاع لسحرا .

واذا كان لنا ان نعود مرة ثانية الى التجديد في القالب والوزن كان علينا ان نبحث في الشعر المنثور وما فيه من العناصر الشعورية . وربما كان الشعر المنثور من ابرز الظواهر التجديدية في الشعر الحديث قال نعيمه =

" عندنا اليوم جمهور من الشعراء يكرزون " بالشعر المطلق " ولكن (٢) سواء وافقنا " والت ويتمان " واتباعه لم لا فلا مناص من الاعتراف بان القافية العربية السائدة الى اليوم ليست سوى قيد من حديد نربط به قرائح شعرائنا — وقد حان تحطيمه من زمان ".

وفي ذكر نعيمه لولت ويتمان اشارة الى امين الريحاني في الدرجة الاولى فهو اول مهجرى دعا الى مدرسة الشعر المنثور او في الاقل دعا الى الاخذ بنظرية صاحبه الشاعر الامريكي ولت ويتمان وكيف كان الحال فالشعر المنثور اصبح معروفا متبعا لا يستنكف الكبار من الشعراء من النظم فيه والدعوة اليه .. ولا سيما اذا جاء يرفل بحلل البيان والوان الخيال ودفء العاطفة وجرس الالفاظ العذب وقال الريحاني في الشعر المنثور ما يلي =

" يدعى (٣) هذا النوع من الشعر الجديد (vers libres) بالافرنسية وبالانكليزية (Free verse) اي الشعر الحر او بالحرى المطلق . وهو اخر ما اتصل اليه الارتقاء الشعرى عند الافرنج وبالاخص عند الاميركيين والانكليز فملتن وشكسبير اطلقا الشعر الانكليزى

---

(١) شاعر الامير بشير الشهابي حاكم لبنان الذى عاش معاصرا لمحمد علي باشا والي مصر في ذلك الحين (٢) مجموعة الرابطة القلمية لسنة ٢١ ص ٢٤١ (٣) الريحانيات ج ٢ ص ٨٢

من قيود القافية وولت وتمن (١) (Walt Whitman) الاميركي اطلقه من قيود العروض كالاوزان الاصطلاحية والابحر العرفية على ان لهذا الشعر المطلق وزنا جديدا مخصوصا وقد تجيء القصيدة فيه من ابحر عديدة ."

وقد ظهر لي من خلال درسي السابق لادب الريحاني في اطروحتي السابقة ان الريحاني لم يتاثر باسلوب وتمن فحسب بل تاثر بافكاره ونزعاته الفلسفية (٢) في الحياة. وربما كان من اكبر ادباء الغرب والشرق اثرا في نفس صاحبنا من حيث الاسلوب الادبي والمعتقد الديني والمذهب الاجتماعي وفي المسلك الشخصي تقريبا وكيف كان الحال فالريحاني يجيء في طليعة من امن بمدرسة الشعر المنثور وبشر فيها . وقد يكون في جملة الاسباب التي دعته الى هذا الايمان عجزه عن النظم في اللغة العربية يدلك على ذلك محاولته (٣) النظم في يوم من الايام ثم نظمه الموزون المقفى الذى يتجلى في دواوينه الشعرية في اللغة الانكليزية . واكثر ما تجد شعره المنثور (٤) في ريحانياته

---

(١) ولد هذا الشاعر الامريكي بالقرب من نيويورك في اليوم الاخير من شهر ايار سنة ١٨١٩ وتوفي سنة ١٨٩٢ من اشهر مؤلفاته ديوانه " اوراق الاعشاب " (Leaves of grass) دائرة المعارف البريطانية ص ٦١٠ مج ٢٨ من الطبعة ١١ (٢) الريحاني على ضوء نتجاه الادبي ص ٦٦ (٣) الاطروحة ص ٦٥ (٤) ولد الريحاني في قرية الفركه من اعمال لبنان سنة ١٨٧٦ ووالداه من طبقة متوسطة في الجاه والغنى . كان جده وابوه يشتغلان في معامل للحرير " من النوع القديم المعروف في لبنان . وقد رزق ابوه من البنين اربعة صاحب الترجمة وهو اكبرهم سنا ثم سعدى ثم يوسف نزيل المكسيك حاليا ثم ادال وهي زوجة السيد يوسف صادر ثم اسعد وقد توفاه الله سنة ١٩١٥ ثم البرت وهو اصغرهم سنا ولد سنة ١٩٠١ وهي السنة التي توفي فيها والده اشتهرت الوالدة " ام امين " بالتقوى والصلاح فكانت مثال الام الحنون والزوجة الفاضلة . كان امين في السادسة من عمره يذهب الى مدرسة دينية حيث تعلم شيئا من المزامير والسريانية وكان يصلي مع الرهبان في ايام الاحاد والاعياد فيتلو على جماعة المصلين بعض القطع الكنسية من كتاب يعرف بالسنكسار . وانتقل بعدئذ الى مدرسة الشبابية ليدرس على معلمها الشدياق من ثم الى مدرسة نعوم مكرزل فكان يتنقل مع المدرسة المنتقلة من عين عار الى بحردق فالفريكه . وعند ما سافر عمه الى اميركا اخذه معه فوصل اليها في صيف سنة ١٨٨٨ في نيويورك دخل مدرسة راهبات المحبة حتى اذا كانت السنة الثانية لحق به ابوه فاسس مع عمه محلا تجاريا متوسطا كان الصبي كاتبه " وامين " صندوقه . فكان اثناء العمل التجاري يغتنم ما لديه من فراغ ليقرأ ويطالع فرغب بالقصص كثيرا واولع بفن التمثيل الى حد بعيد ولعل اول رواية قام بتمثيلها رواية اندروماك للاديب اسحاق بعد ذلك التحق بفرقة هنري دجوبت فجال معه نحوا من ستة اشهر ثم عزف عن التمثيل الى العلم فدخل جامعة الحقوق في نيويورك لم يلبث ان تركها لانحراف صحته فنصح له الطبيب بالعودة الى لبنان فعاد ادراجه سنة ١٨٩٨ وهنا يشرع بترجمة بعض رباعيات المعرى الى الانكليزية واذ ذاك عزم على السفر الى نيويورك وعند وصوله اليها في السنة الثانية اى سنة ١٨٩٩ عرض ترجمته على احدى شركات طبع الكتب الكبرى فطبعت للحال واخذ نجمه يعلو واقام له نادى الثريا الامريكي الادبي حفلة تقدير واعجاب . ثم بعد ان مكث سنوات عاد الى الفركة ثم سافر الى بلاد الانكليز سنة ١٩١٠ وفي طريقه اليها يصادف جبران في فرنسا فيصحبه الى لندن ومكثا هناك زهاء شهرين يدرسان ويبحثان ثم عاد الى لبنان ثم رجع الى اميركا سنة ١٩١٣ وحوالي سنة ١٩١٦ تزوج من انسة اميركية تدعى برثاكيس (Bertha Case) فلم يرزق منها بنين وما زال في حل وترحال الى ان وافاه الاجل على اثر سقوطه عن دراجة فاصطدم راسه بحجر ونقل الى مستشفى الدكتور ربيز في بيروت وعبثا حاول الاطباء خلاصه من براثن الموت فتوفي في الفريكة حيث طلب نقله اليها قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة . وكان ذلك في عصارى الجمعة الواقع في ١٣ ايلول سنة ١٩٤٠ ومن اشهر مؤلفاته العربية = ملوك العرب ، النكبات ، الريحانيات ، التطرف والاصلاح ، وهناك مؤلفات اخر لم تطبع بعد ومن اشهر مؤلفاته الانكليزية كتاب خالد ، وهو اشبه شيء برواية (The book of Khalid) رباعيات ابي العلاء The quatrains of Abu-Ala

---

جادة الرؤيا (The Path of vision) حول الشواطي العربية المعروف بالانكليزية (Around the coasts of Arabia) وانشودة الصوفيين (A chant of Mystics)

وهي مجموعة مقالات وخطب ادبية واجتماعية وسياسية تقع في ثمانية اجزاء طبع منها اربعة وما تزال الباقية في دنيا المخطوطات وسئل الريحاني عن رايه في التجديد فاجاب قائلا =

"انها ابتداء — اى حركة التجديد — منذ ثلاثين سنة في الريحانيات والجبرانيات فهي لبنانية لا مصرية على انها لم تكن مقبولة عند بدء ظهورها وذلك لامرين وسببين اولا قيامها بفكر جديد متطرف ثانيا بروزها في قالب خشن الخ . قلت ان روح التجديد بدأت في اللبنانيين غير انها ما لبثت ان تغلغلت في المصريين حيث اتخذت شكلا جديدا اقرب من لغة القران في الاسلوب واقل تطرفا في الفكر . والاسبقية اليوم بيد المصريين يحملها ثلاثة او اربعة من ادبائهم طه حسين وهو افرنسي الثقافة سهل ممتنع في جميع ما يكتب عيبه الاكبر التكرار وحسين هيكل وهو الماني الثقافة لا يقل عن رفيقه تعمدا ومحمود العقاد وهو انكليزي الثقافة ولا يخلو من التعمد بقي اسماعيل مظهر وهو في نظري مفكر كبير على انه تنقصه تلك الروح التي اسميها دنيا ميت الادب " وساله المحرر هل هنالك تجدد في الشعر اللبناني اليوم .

فاجاب الريحاني ". كلا . وقد كنت ولا ازال اعجب من بعض شعرائنا يتعطلون المعاني تعملا ثم ان القافية والوزن اللذين يعبدهما العرب عبادتهم المشهورة قيد ثقيل على الشعر انها منافية لروحه . سر الشعر ان يكون طبيعيا متدفقا من النفس والوزن يقول له لا تستطيع ان تخرج الا بهذا الطريق كما يقول الانبوب . زد على هذا كله ان اكثر قصائد الشعر العربي عديمة الوحدة واذن فالتجديد في راى الريحاني بدأ في الريحانيات والجبرانيات اولا ثم تعداها الى سواها من كتب الادب . وبالطبع فهو يشير الى الشعر المنثور . وقد مر معنا ان جبران في شعره المنثور اشعر منه في المنظوم وهذه الحقيقة تنطبق على الريحاني ايضا مع العلم ان الاول اشعر من الثاني وانصرف الاخير شطر التفكير المنظم في الكثير من كتاباته ثم شطر السرسالة . فلقد كان جبران منصرفا الى الفن بكل قواه من شعر الى تصوير الى موسيقى وهو الى ذلك بعيد مرمى الخيال وشعره لا يخلو من الرمزية على اختلاف انواعها من صورية الى موسيقية الى غيرها ولكنه لم يكن قط من رمزيي التطرف او من الذين دعوا اليها وبشروا بها كما فعل بعض ادباء لبنان في السنوات الاخيرة بحيث اغرق البعض منهم في استخدام الالفاظ الزاهية والتعابير " المبرقعة " وقد اسرفوا في استخدام الكلمات التالية امثال الدفء والدفقة والمخضوضر والزغب والانفلات والسماح والمتناف والدغدغة الى ما هنالك من الفاظ مشرقة تتكرر في مناسبة وفي غير مناسبة وخصوصا عند صغار الشعراء من المقلدين وهذه الالفاظ على رغم في حالة نظمها يتكون منها نغم خاص مرح بحيث يخلق

الاجواء الشعرية التي يريدها الشاعر وما على القارئ الا ان يتفهم تلك الموسيقى وان يتغلغل الى اجوائها وما خلقت من عالم مخضوضر دانٍ دافق، مدغدغ، مسماح، مرجحن، مشوق، والشعر في نظرهم فن قبل كل شيء وموسيقى قبل اى عنصر اخر . وهذه المدرسة لم يحرفها المهجريون فبقيت الالفاظ عندهم شيئا ثانويا بالنسبة الى المعاني التي هي منها كالجوهر من العرض .

والشعر المنثور ، وان خلا من الوزن والقافية الا انه لا يخلو من التوازن والايقاع المكتسب من الفاظ مسجعة على غير ما ذهب وراء السجع كما فعل اصحاب المقامات وسواهم . ولعل الريحاني كان اول من كتب في هذا الاسلوب الجديد مع العلم ان الادب العربي لم يخل من التوازن المستملح والايقاع المستحب في بعض الاساليب النثرية من اساليب الترسل قال المستشرق الروسي كراتشفسكي ما يلي =

" اما في الشعر المنثور فقد اوجد الريحاني موردا جديدا للادب العربي لم يكن معروفا من قبل وقد اخذه عن الشاعر الاميركي وتمن الذى يصفه باستاذ هذه الطريقة وامامها . على اننا اذا انعمنا النظر في الاداب العربية القديمة نرى انها لا تخلو من هذا الشكل الشعرى كما يتضح من مراجعة (١) بعض السور القرانية وان يكن شكلها غير هذا الشكل الشعرى الذى هو الان موضوع بحثنا ."

---

(١) التطرف والاصلاح ص ٧٥ .

ومما ذكره المستشرق الانكليزى " جب " ما يلي =

" لقد انصرف (١) بعض ادباء سوريا اللامعين الى خلق نوع جديد من الادب الفني ـ الا وهو الشعر المنثور ـ الذى اخذوه عن الشاعر الاميركي ولت وتمان " وهناك مستشرق (٢) الماني لا يشير الى التجديد صراحة وانما يذكر ان جبرن خليل جبران هو القائد الاول للمدرسة الادبية في المهجر ويقول ـ " انه متاثر باسلوب التوراة كسفر اشعيا وارميا مثلا الى حد بعيد وانما يختلف انشاؤه عما في التوراة من انشاء في كثرة ما فيه من خصب في الرموز (symbols) والاشارات (metaphors) والاستعارات (allegories)

هذا وقد لاحظت ان المستشرقين يعتمدون في احكامهم على ما قروأ من تقاريظ في مجلتي المقتطف والهلال وامثالهما من مجلاتنا الراقية . والواقع ان الشعر المنثور شعر بما فيه من ايقاع موسيقى في فواصله على غير ما تقيد بالسجع وبما فيه من خيال وعاطفة وتفكير صاف جميل

وما يرى فيه من صور الطبيعة الفاتنة وقد خلع عليها الشاعر الكبير من اصباغ روحه والوان قلبه ومن هذا القبيل بعض المقالات الجبرانية

" يا ليل (٣) العشاق والشعراء والمنشدين
يا ليل الاشباح والارواح ولاخيلة
يا ليل الشوق والصبابة والتذكار
ايها الجبار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر
المتقلد سيف الرهبة المتوج بالقمر ، المتشح بثوب السكوت ،
الناظر بالف عين الى اعماق الحياة .
المصغي بالف اذن الى انة الموت والعدم ."

ومن اجمل قطع جبران النثرية القطعة التالية = —

— اغنية المطر —.

" انا خيوط فضية (٤) تطرحني الالهة من الاعالي فتاخذ ني الطبيعة وتتمق بي الاودية
انا لآلي جميلة نثرت من تاج عشتروت ، فسرقتني ابنة الصباح ووصفت بي الحقول
انا ابكي فيتبسم الطلول واتضع فترتفع الازهار
الغيمة والحقل عاشقان وانا بينهما رسول مسعف انهمل فابرد غليل هذا واشفي علة تلك
صوت الرعد واسياف البرق تبشر بقدومي وقوس القزح يعلن نهاية سفرتي
كذا الحياة الدنيا تبتدئ بين اقدام المادة الغضبي وتنتهي على اكف الموت المادئ.
اصعد من قلب البحيرة واسير على اجنحة الاثير
حتى اذا ما رايت روضة جميلة سقطت وقبلت ثغورا ازاهرها وعانقت اغصانها
حرارة الهواء تولدني وانا اقتل حرارة الهواء كذا المراة التي تتغلب على الرجل بقوة استمدتها من الرجل
انا تنهدة البحر انا دمعة السماء ، انا ابتسامة الحقل
كذا الحب — تنهدة من بحر العواطف ودمعة من سماء الفكر ، وابتسامة من حقل النفس

هذا وقد تكون قطعة " الارض " النموذج الاعلى للاسلوب الجبراني في شعره المنثور —
" ما اجملك (٥) ايتها الارض وما ابهاك
ما اتم امتثالك للنور وانبل خضوعك للشمس
ما اظرفك متشحة بالظل وما املح وجهك مقنعا بالدجى

(١) Arabic Literature by Gibb p. 318

(٢) Leaders in contemporary Arabic Literature by Tahir Khemiri Dr. Kampffmeyer

(٣) العواصف ص ٣٧ (٤) دمعة وابتسامة ص ١٦٠ (٥) البدائع والطرائف ص
)

ما اعذب اغاني فجرك ،وما اهول تهاليل مسائك
ما اكملك ايتها الارض وما اسناك

* *
*

ما اكرمك ايتها الارض وما اطول اناتك
ما اشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم
الضائعين بين ما بلغوا اليه وما قصروا عنه
نحن نضج وانت تضحكين
نحن نذنب وانت تكفرين
نحن نجدف وانت تباركين
نحن نتجبر وانت تقدسين
نحن نهجع ولا نحلم وانت تحلمين في صحوك السرمدى
نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح
وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم
نحن نزرع رحابك العظام والجماجم
وانت تستنبتينها صورا وصفصافا
نحن نستودعك الجيف وانت تملأين بيادرنا بالاغمار ومعاصرنا بالعناقيد
نحن نصبغ وجهك بالدم وانت تغسلين وجوهنا بالكوثر الخ ."
ولامين الريحاني قطع رائعة حيث يكتب ~~الريحاني~~ تحت عامل العاطفة والالم ، ولكنه قلما يغلب
على امره عاطفيا ولست معنيا باسباب ذلك. ومن القطع التي احببتها كثيرا قطعة وضعها في رثاء ابن
شقيقته زوجة السيد يوسف صادر في ولدهما فؤاد —

- عند (١) عهد الربيع -

" عرفتك قبل ان اخضوضرت من نسمتك الاولى صدور الحقول وجوانب الربى

وقبل ان نور المهد من حر شفتيك ، وقبل ان بدد نور عينيك غيوم الشتاء

فهدأ البحر وانجلت السماء

عرفتك قبل ان حاكت قصور الجبال ، طنافس من العصفر والاقحوان .

وقبل ان اعدت لسريرك النمارق من الرياحين وريش الصنوبر وشقائق النعمان

وقبل ان ملأوا كاسك من دهن اللوز وماء الورد وعصير الرمان

عرفتك قبل ان نصبت لك العاصفة الاخيرة قوس نصر من دمها ودمعها وزئيرها

وقبل ان ولت من الغيوم الباكيات واقبلت الضاحكات تجر ذيولها فوق صنين

وقبل ان لحفتك شمس الضحى باشعة الحب والحنان

وقبل ان وضعت فوق سريرك عند الغروب قبة من نورها الولهان

عرفتك قبل ان نور في خديك الورد ، وتلألأت على شفتيك الابتسامة

---

(١) الريحانيات ج ٢ ص ٢٠٦

وله مقالة في الثورة (١) تقرب في نسجها من الاسلوب القرآني . ومن اسلوبه القريب من اسلوب نشيد الانشاد قوله =

" كشفق من اشفاق الايام ، كحلم من جميل الاحلام ، كوميض برق لاح في الظلام كذلك كان ابتسام الحبيب (٢) كنفحة من نفحات الجنان ، مرت مع نسيم الفجر في البستان فرنحت الورد والبيلسان ، وايقظت الشوك في القرنفان كذلك كانت حياة الحبيب. الخ . "

ومما جاء في نشيد الانشاد =

" كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبي بين البنات

كالتفاح بين شجر الوعر ، كذلك حبيبي بين البنين

وللريحاني قطع ثانية جميلة منها = انا الشرق ، على جسر بروكلن ، الثورة وغيرها من القطع التي يكثر فيها النغم ~~الموسيقي~~ الموسيقي وتموج بالصور والاخيلة التي تعكسها الطبيعة . هذا والشعر المهجري سواء في المنظوم منه او المنثور هو شعر الطبيعة وما الشاعر المهجري الا شاعر الطبيعة. فالطبيعة جزء من كيانه لا يتجزأ ولون من الوان حياته . ومن هذا القبيل ومن سواه كان الشعر المهجري في سواده شعرا رومانتيقيا " في روحه ونفسانيته وهو لادب الذي يتصف بالثورة والتحرر ~~والتمرد~~ كما سيجيء في باب خصائصه . وتتجلى نزعة ا[illegible] في جعل الادب صورة واقعية حية للحياة بما في الطبيعة

من بساطة وصراحة وحرية وسخط على النظم الاجتماعية التي تقيد الانسان في الكثير من تصرفاته كما في اقامة الانظمة وسن الشرائع والقوانين وقد بلغت هذه الحركة الادبية اوجها في القرن التاسع عشر ولعلها بدأت في فرنسا اولا ثم انتقلت الى باقي الاقطار الاوربية ويقال ان البادئ فيها كان روسو كاتب الثورة الفرنسية . وهي في حقيقتها رد فعل قوي ضد الحركة الكلاسيكية كما جاء في دائرة المعارف(٣) البريطانية .تلك المدرسة الادبية التي كانت موقوفة على فئة خاصة من الناس .

في الغموض –

وقد يكون من مظاهر التجديد في الادب المهجري انصرافهم الى المواضيع الجديدة كالرحلات الخيالية وما اليها . ومن مظاهره ايضا ذلك الميل او الاتجاه الى تصوير الرغبات واكثر ما يتجلى ذلك في شعر التاملات وسيرد هذا او شيء منه في الفصل القادم وتصوير الرغبات يظهر كما يذكر(٤) ابو ماضي في الشعر الغزلي ايضا حيث الشاعر لا يصور حبيبته بحسب بل ما يجول في خاطرها من ميول ونزعات واشواق ومخاوف وللشاعر ابي ماضي الذى ينبهنا الى هذه الظاهرة شعر من اروع ما يقرأه المرء في هذا الباب من هذا قصيدة المساء =

السحب(٥) تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكنما عيناك باهتتان في الافق البعيد

سلمى بماذا تفكرين
سلمى بماذا تحلمين

الى قوله =

هذى الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيك
فلقد رايتك في الضحى ورايته في وجنتيك
لكن وجدتك في المساء وضعت راسك في يديك
وجلست في عينيك الغاز وفي النفس اكتئاب
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى بماذ تفكرين

---

(١) الريحانيات ج ٢ ص ١٨٢ انظر سورة المرسلات في القران الكريم(٢) الريحانيات ج ٢ص ٢١٢
(٣) تحت مادة رومانتيكي (٤) السمير ص ٢ سنة اولى عد ٢(٥) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ١٨٠ .

وتنساب القصيدة في ايقاعها انسياب النغم في الليالي المقمرة الصافية وقد لاحظت ان الشعر الغزلي غير مادي في الكثير من صوره وهو الى ذلك غير اباحي وليس بالشعر الغزلي الحنيف الذى تنتزى الشهوة من خلال سطوره بل هو شعر برئ طاهر عفيف من السذاجة في شئ كثير وليس في حد ذاته بالشعر السطحي الذى يعني بالتشابيه المبتذلة كما يرى في شعر الاخطل الصغير احيانا وهو بالنسبة لسواه من شعراء الغزل قد يكون معتدلا حيث يقول =

المهى (١) اهدت اليها المقلتين	والظبا اهدت اليها العنقا
فهما في الحسن اسنى حليتين	للعذارى جل من قد خلقا
وذرى الروض بتين المنحتين	وقد يما يعشق الروض الحسان
فكسا بالورد منها الوجنتين	وكسى مبسمها في الاقحوان
وبرى في صدرها رمانتين	من راى الرمان فوق الخيزران
فهما في صدرها كالموجتين	اى صب ما تمنى الغرقا
اوهما وليسلما كالتوامين	كلما همت لامر قلقا .

ولم اذكر الاخطل الا لانني اعجب في الكثير من شعره الغزل ولكنني غير معجب ببعض غزله المبتذل الذى يعتمد كثيرا على التشابيه المادية لا سيما اذا كانت كثيرة الشيوع . ولقد عرف الشعر العربي في قديمه وحديثه شيئا رائعا من الغزل العذرى العفيف ولعل الشعر المهجرى الغزل يمتاز عما تقدمه من شعر في صبغته الفلسفية وعمقه فيما يرسم من اميال ورغبات ..... هذا وللشاعر فرحات قصيدة غزلية هي احدى طرائف الغزل بالرغم مما فيها من الصور المادية ولكنها صور غير مبتذلة ولا رخيصة منها =

احبيبتي (٢) شد الغرام على	قلبي بطلونة من الجزع
فاذا تحببي في الفضاء علا	فلتسمعي وتخففي وجعي

الى قوله =

تدياك وادهشي وقد ظهرا	في الحلم لي فرخان في عش
خلف الحرير اللهن استترا	لا خلف قاسي الطين والقش
يتشاطران الخوف والقلقا	يتشاركان بحمل همهما
يتطلعان الى الفضا فرقا	مترقبين مجئ امهما .

ومما قاله القروي القطعة التالية وهي لا تقل عمقا عن شعر ابي ماضي وسواه من شعراء المهجر .

تطلع ٣) الشمس يستبيني بهاها	وتلوح النجوم ارى سناها
اى واد ولم اسامر حصاه	وهضاب ولم اباكر ذراها
وغصون ولم افرد طيها	وورود ولم امص جناها
غير اني عمرى قصير وفي الكو	ن فنون من كل حسن جديد

مثلوا لي هذا الوجود بشيء   انني اشتهي عناق الوجود

....

---

(١) مجموعتي للشعر المعاصر ص ١١ (٢) مجموعتي للشعر المعاصر ص ١٦١ (٣) مجموعتي ص ١٩٤

يا سليمى جمعت حسن النهار   والدجى والسماء والاقمار

والربى والوهاد والغصن والزهـ   ـر وقطر الندى وشدو الكنار

فيك معنى من كل ما ابدع البا   رى تعالى بل فيك معنى البارى

لوحة المرصد التي يظفر الراصد   فيها بكل نجم بعيد

بذراعيك طوقيني اطوق   بذراعي كل هذا الوجود

وقال شفيق المعلوف =

ازاهر (١) الضفة ترابها   حسناء كالزنبق في طهرها

قد مهدت متكاليفا   من عشب الحقل ومن شعرها

لو الندى رش ازاهيره   ما ميز البرعم من ثغرها

نامت وقد حامت عليها المنى   واستسلمت هانئة للرؤى

وانطبقت شباك اهدابها   تحرس في اجفانها اللؤلؤا

. . . . .

ارى على ثغرك انشودة   راقصة فما الذى تنشدين .

وفي ذراعيك عناق — بدت بادرة منه — فمن تحضنين .

وجهك في عيد فمن مخبرى   يا طفلة الحقل بما تحلمين

لي امل عندك هل اجتليه   مضطرم الجذوة او مطفأ

كتاب عينيك افتحيه افتحيه   فانني اود ان اقرأ

وقال مخائيل نعيمه من قطعة يرفعها الى M.B.D.

انا السر الذى (٢) استترا   بروحك منذ ما خطرا

ببال الكائن الاعلى   خيال العالم الادنى

فصور من ثرى بشرا

انا الصبح الذى ائتلقا   بقلبك قبل ان خفقا

وقبل ان ائتلقت شمس   وشعشع في السما بدر

وبرق في الدجى برقا

انا في قلبك القبس وفي اجفانك النعس

انا في فكرك العجب وفي احلامك الرؤيا

وفي اصباحك الغلس

الى قوله — فهاتي يدا وهاك يدى على رغد على نكد

وقولي للالى جهلوا معا كنا من الازل

معا نبقى الى الابد

ومما يجده القارى مقابل هذه القصيدة من الديوان نفسه اى على الصفحة المحاذية لها صورة من تصوير نعيمه ترمز الى روح الشعر والصور الرمزية في الادب الحديث ولا سيما في الادب المهجرى مظهر جديد بحد ذاته . ولعل جبران كان البادئ في هذا الباب فكان الشاعر

---

(١) مجموعتي للشعر المعاصر ص ١٩٥ (٢) همس الجفون ص ٩٢

لا يعمد الى الصور الا في حالة عجزه عن تصوير ما يختلج في نفسه وذلك لزيادة الافصاح او ليعين القارئ على تفهم ما يرمي اليه في صوره الرمزية وهذه الرسوم تكثر في بعض الكتب الجبرانية ، وهي من تصوير الشاعر نفسه ونرى ايضا في همس الجفون " لمخائيل نعيمه وبين تلك ~~الرسوم~~ الرسوم صورة فنية من رسم جبران ونرى ايضا في " الاحلام " لشفيق المعلوف . على ان جبران يبقى زعيم الشعراء في رسومه ورموزه وعلى القارئ ان يعود الى ترجمته المثبتة في هذا الكتاب ~~[illegible]~~ وان شاء فليرجع الى كتب نعيمه مباشرة .

هذا ولست ازعم ان الشعر الغزل الرائع يجب ان يكون فلسفي الصبغة لان الفلسفة من خصائص الفكر والشعر الغزل هو من عمل القلب في الدرجة الاولى ولكن ذلك لا يمنع ان يكون الشاعر في احاسيسه دقيقا بحيث لا يكتفي بظواهر الاشياء وبحيث يتغلغل في حسه الى اعماقها . وعندى ان الشعر الذى يغلب عليه التفكير لا يكون من الشعور في شيء بل هو شعر جاف ذهبت حرارة الفكر فيه بحرارة العاطفة فتبخرت انداؤه وتقلصت اظلاله . ومن هذا ~~[illegible]~~ شعر نعيمه المشار اليه سابقا . فالشاعر عندما نظم مقطوعته هذه لم يكن على ما اراه في غمرة من غمرات العاطفة وبحران الحب ولهذا جاء ~~[illegible]~~ الشعور متكلفا باردا

~~[illegible]~~

~~[illegible]~~

ومن هذا القبيل تقريبا قصيدة لنسيب عريضه وان كانت لا تخلو من الخيال اللطيف .

تعالي (١) صباحا الى غرفتي وحلي بلطف عرى وقدتي
لعلي اعود الى يقظتي

ولا تجزعي ان رايت اصفرار بوجهي ونور الحياة توارى
وان لم اجب بعد بذل القصارى فالقي بنفسك نوفي دثارا
وفكي الطلاسم عن مهجتي
لترجع نفسي الى جثتي
فانسى مناما به حسرتي

الى قوله — وان مال طرفك عني ازورارا ترى في حواشي الغيم اصفرارا
يشابه وجهي وما تلك نارا توهج بل ذاك حلم توارى
يطير بحبي الى الخلوة
يطير سراعا بلا عودة
فروحي — فلا شيء في غرفتي

في المعنى — واذا ما انتقلنا من التجديد في اللفظ والقالب والوزن والموضوع والغرض اقول اذا ما انتقلنا من هذه الاشياء وامثالها الى المعاني الى المحسنات البيانية من استعارة وتشبيه وما اليهما وجدنا هناك الكثير من التشابيه الجديدة وقد يبدو بعضها غريبا علينا بالنسبة الى ما عرفنا منها . وقد مر معنا ان المعاني مشتركة عند جميع الناس كما يذكر العسكرى (٢) بحيث لو اراد المرء تشبيه احدهم بالشجاعة

---

(١) السائح العدد الممتاز لسنة ١٩٢٣ ص ٧ (٢) الصناعتين ص ٥٥

قال فيه هو كالاسد ولو اراد تشبيهه بالجود قال هو كالغيث وكالبحر . والظاهر ان بعض التشابيه والاستعارات اصبحت لكثرة تداولها مشتركة عامة فتوهم بعض النقاد انه لا يجوز استعمال سواها مع ان المدقق في درس الناحية البيانية من الادب العربي يجد هناك شيئا كثيرا من توليد المعاني القائم على " التقرب من المعنى البعيد " كما يقول العربي = " البلاغة (١) التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام وقرب الماخذ وايجاز في صواب وقصد الى الحجة وحسن الاستعارة والتقرب من المعنى البعيد هو ان يعمد الى المعنى اللطيف فيكشفه مثل القول في امرأة =

لم تدر ما الدنيا وما طيبها   وحسنها حتى رايناها
انك لو ابصرتها ساعة   اجللتها ان تتمناها ."

ولو جئت اذكر ما ولد كبار شعراء العرب من معان رائعة لضاقت بي الصفحات وتوليد المعاني شيء كثر امره بحيث لفت نظر النقاد اليه فكانوا يقولون يشتهر ابن الرومي مثلا في توليد المعاني . والتوليد في حقيقته شيء من الخلق ولكن هذا الخلق يحتاج الى عوامل كثيرة من اهمها البيئة والثقافة . وقد مما قيل لابن الرومي لماذا لم تفطن الى التشابيه التي فطن اليها ابن المعتز في وصفه الهلال والنجوم والزوارق فاجاب تلك صور كانت مرسومة امام عينيه على جدران منزله وسواء صحت هذه الرواية او لم تصح فان المعاني اكثر ما تنتزع انتزاعا من البيئة التي يعيش فيها المرء ولا بد لانتزاعها من قلب حساس وثقافة عامة راقية . وما ذلك الشاعر الذى جاء يمتدح اميره في قوله =

انت كالدلو لا عدمناك دلوا   من كثير العطا قليل الذنوب
انت كالكلب في الحفاظ على الود   وكالتيس في قراع الخطوب

اقول وما ذلك الشاعر سوى دليل واضح على ما نحن في صدده . واذن فمن المعقول والمعقول كثيرا ان تكون التشابيه والاستعارات وما اليها في نهضتنا الحديثه جديدة في مظاهرها والوانها بالنسبة الى ما اوجد الانسان من اشياء جديدة وخلق من اختراعات جديده واكتشف من نظريات جديده وساعطيك على سبيل المثال نموذجا من ذلك قال الشاعر القروى =

لا انشد (٢) الشعر الا حين يجرحني   سيف الزمان ويغنى قلبي التقرح
مثل الفنغراف يبقى ساكتا ابدا   وليس ينشد الا حين ينجرح

اليس هذا التشبيه شيئا جديدا . بلى — ولكنه جديد بالنسبة الى المشبه به ايضا . وقال شكرالله الجر =

احقا اتتك (٣) بجنح الدجى   من الغاب جنية ساحره
وكنت قديما سحابة صيف   تمر بغاباتها عابره ...
لذا حولتك الى جدول   لكي تستحم بك الماكره
فصرت وساما بصدر الربيع   وصرت حليا بجيد الحقول
تردد منذ قديم الدهور   صدى نغماتك كل الفصول
كانك من صدرها المعرف

ثم اليس في تشبيهه الشلال على صدر الربيع بوسام على صدر المتفوق من الناس دليلا على ان التوليد هنا منتزع من قلب العصر الذى نعيش فيه . بلى . ولكن المنتقدين قلما يذكرون . فهم او بعضهم لا يرضى في ان يكون الادب المهجرى على شيء من الجدة بل هو في نظرهم لا يختلف عن الادب الاندلسي في شيء من الاشياء وهو قول مردود من اساسه

فان عملية التوليد والخلق سواء في الجزء كما في البيت الواحد او في الكل كما في القصيدة التامة لعملية تتم تحت عوامل عدة منها الموهبة التي تتجلى في القلب الحساس ومنها الثقافة العامة وهي التي يشير اليها الدكتور مندور وغيره من ادباء مصر المثقفين = " والان(٤) قد يتسائل القارئ = لم استطاع شعراء المهجر ما لم يستطعه غيرهم .

---

(١) الصناعتين ص ٤٦ (٢) مجلة الاصلاح ص ٤٣ج١١ سنة ٣ (٣) المقتطف ج ٤ مج ٨٠ ص ٤١٢ (٤) في الميزان الجديد ص ٦١

وجوابي هو — المتكلم الدكتور مندور — لانهم قد يكونون من بلاد تحرك مناظرها الجبلية من الخيال ما لا تحركه السهول ومن جنس(١) يشهد له التاريخ بالنزوع الى المغامرة والتوثب ثم ان غربتهم باميركا وكفاحهم من اجل الحياة قد ارهف حسهم وقوى من نفوسهم . واخيرا — وهذا هو السبب المهم — لانهم قوم مثقفون قد امعنوا النظر في الثقافات الغربية التي لا غنى لنا اليوم عنها وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد ان هضموها في لغاتها الاصلية . فهم اذا ليسوا كاولئك الذين سولون في الغرور عن جهل وكسل ظانين ان الادب في متناول كل انسان وان كل كلام منظوم شعر الثقافة هي التي تشع في الفاظ هؤلاء الشعراء وانك لتقرأ الجملة لهم فتحس ان خلفها ثروة من التفكير والاحساس ."

وفي مكان اخر من ميزانه (٢) يقول = " ادباء المهجر يردونني الى تلك النفس التي نعتز بها ولهذا احبهم وانا بعد لا ابرئ نفسي من التاثر بالادب الغربي الذى تاثر به هؤلاء الادباء ولكنني ارجو مخلصا ان ياخذ المثقفون منا ثقافة غالبة انفسهم بالامعان في ذلك الادب "

ومن هذا القبيل شهادة الروائي اللامع توفيق الحكيم = " لا امل لنا في تجديد(٣) الادب العربي الا بالاطلاع الواسع والثقافة الشاملة ان تربية اهل الادب في مصر حتى مطلع هذا العصر هي تربية لغوية قوامها الكتب — الى قوله — ان التربية الكاملة الشاملة لمختلف الفنون منذ الصغر هي التي تنمي عند الاديب الاوربي ذلك الاحساس بالتناسق الفني الذى يرفعه الى هذه المرتبة من الخلود والابداع "

وكأني بكلامهما ينطبق الى حد ما على شعر المهجر على انه يجب ان يكون للموهبة في نظرنا المقام الاول فرب رجل وهبته الطبيعة قلبا شاعرا اشعر من اى نظام كامل التاديب والثقافة وتاريخ الادب ملان بالشواهد ففي الشعر العامي اللبناني اليوم من الشاعرية ما لا تجد عند اكبر النظامين وذلك بالنظر لما فيه من عناصر الشعر الاصلية كالموسيقى والخيال والدفء العاطفي والصور الرائعة وبعد فان شعراء المهجر اذا استثنينا الريحاني وجبران ونعيمه ليسوا بكاملي الثقافة . وبعضهم لم يدخل جامعة قط في حياته فان الياس فرحات وهو اقلهم نصيبا من العلم اذ يكاد يكون اميا يتمتع بمركز ادبي ونبع وله من روائع الشعر شيء غير يسير . ومع هذا فانه من الجهل عدم الاعتراف بفضل العلم فلا نستطيع باية حالة من الحالات ان ننكر عليه ماله من اثر في توجيه الاديب او المفكر توجيها صحيحا على شرط ان لا نسرف كثيرا في تقدير الثقافة . اما ان يكون للطبيعة ولجمال البلاد الطبيعي اثر في تفسيه الشاعر وارهاف حسه ، فذلك امر لا يقوى احد من الناس على دفعه فقد يكثر الشعراء في البادية كما يكثرون في لبنان او الاندلس ولكن شعر هولاء لا بد له من ان يأتي موشحا بظلال الغابات ملونا بالوان غيوم الاصيل وعليه شيء من وشاح الندى وغبار قوس السحاب فاذا ذكاء في طيوف اشعتها رغبات ملونة يحلم بها الزهر بوعا فينتثر لها وشيا وينتظم عقودا .

والواقع ان الاديب المهجرى الذى اقدمه للناس اديبا موهوب في الدرجة الاولى مزود بالكثير من جمال لبنان وروعة سوريا في سهولها وجبالها وهوالى ذلك قد يكون متخرجا من مدرسة عالية وقد يكون خريجا غير الجامعات الاوربية والمعاهد الادبية والفنية ولكنه عند الحقيقة هو خريج مدرسة العالم الكبرى التي هي الغربة — وكثيرا ما رحل القدامي في طلب العلم . والمثل اللبناني يقول = الغربة خير مدرسة .

لا يعني هذا انه لا يوجد بين اللبنانيين من تخلفين وظاعنين نظامون وشعرورون فهم والحمدلله كثر لا يحصيهم عدد وربما كانوا عشر المجموع العام من السكان ولكنني اعرضت عن بعضهم في كتابي هذا اعراض الكاره . وكان بودى ان اشير الى ما في نتاجهم من سخف وادعاء وتقليد اعمى . ولكنني اشفقت على وقت القارئ عن الضياع واشفقت على نفسي من سمامهم الحادة وهم اكثر ما يشتهرون فيه من اغراض الشعر انما هو المدح والهجاء واعوذ بالله من شر شيطان النظم الرجيم .

---

(١) نعني الفينيقيين (٢) في الميزان الجديد ص ٦٥ (٣) مجلة الاديب ص ٢ ج ١٢ سنة ٢ .

هذا ولما كانت التشابيه والاستعارات والكنايات تؤخذ من قلب الحياة التي يعيشها المرء كان

كان لا بد من وجود الاختلاف بين انواعها والوانها . وقد لاحظ النقاد ان اللغة نفسها تتغير بتغير البيئة وكذلك الاصطلاحات في اللغة فبينما يقول العربي مثلا لصاحبه داعيا " اثلج الله صدرك واقر عينيك" يقول الانكليزي = " ادفأ الله قلبك (May God warm your heart) وما ذلك الا لان العربي يعيش في بلاد شديدة القيظ والاخر يعيش في بلاد كثيرة الرطوبة واذن فهولاء الذين يتطلبون من الشاعر المهجري او الاندلسي ان يلزم الاصطلاحات العربية في حديثه وطريقة انشائه ويأخذون بالاعتبارات الثانية . وكثير من الانتقادات التي وجهت للمهجريين كانت بسبب خروجهم على اوضاع اللغة وتعابيرها الشي الذى ان دل على شي فانما يدل على جهل الناقد في الغالب لاصول النقد وبقدرة " المنقود " في تفهم الادب الذى هو صورة حية نابضة للحياة التي يعيشها وللوسط الذى يعيش في كنفه .

هذا ولا بد ايضا من وجود تشابيه معنوية غير حسية وهذه اكثر ما يستمدها المرء من الوان الثقافة فان جبران الذى درس فن الرسم على اكبر فناني اوربا امثال رودان الفرنسي وان جبران الذى اشتهر في رسومه الفنية لا بد له في كتاباته من استخدام تلك التشابيه والاستعارات التصويرية التي تتجلى حينا في الاشياء المادية كالبحر والجبل والسهم والوزن وتتجلى حينا اخر فيما تنبض به الصور الفنية من رغبات واشواق تتماوج ظلالها على وجه لوحته الفنية . وهي اشياء قد لا يراها الانسان العادى من الناس ولعلها الحاسة السادسة التي يشير اليها جبران في قوله = " اما الشاعر (١/٢) فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما تراه العيون واذن باطنية تسمع من همس الايام والليالي ما تعيه الاذان = "

وانا ارى في التشابيه الجبرانية وسواها من تشابيه المهجريين مظهرا اخر من مظاهر التجديد . ومن تشابيه جبران قوله —

" لقد كنت في الامس مثل مائدة شهية وابتسامات الحقول والبساتين تشع بنقاب السكينة والراحة تنظر اليه الامير نظرة النسر الجائع الى عصفور مكسور الجناحين . وانا واقف هنا كوقوف المرآة امام الاشباح السائرة . واصبح ذلك المنزل بكل ما فيه كقيثارة مقطوعة الاوتار . وكانت العروس تتكلم وفي صوتها نغمة اعذب من همس الحباه وامر من عويل الموت والطف من حفيف الاجنحة واعمق من انين الامواج وبعد احيان خرساء هائلة شبيهة بالاجيال المظلمة التي تتمايل فيها الامم بين النهوض والاضمحلال . فقالت راحيل بصوت تمتزج بمقاطعه عاطفة الامومة بعذوبة الطمانينة . والشهر يتراكض كاحلام المجرمين ناظرة بعيون مغلقة بالدموع ."

هذه بعض التشابيه والاستعارات الجبرانية اخذتها من كتبه المختلفة وهي كما ترى تجمع بين المجاز المادى والمعنوى واكثرها جديد في ادبنا (٢) العربي . وهي كثيرة الورود في الشعر ايضا —

قال نعيمه =

هللي (٣) هللي يا رياح وانسجي حول نوحي وشاح

من خرير الغدير واهتزاز الاثير

واختلاج العبير في دموع الصباح

هللي هللي يا رياح

وقال شكرالله الجر =

والنهر (٤) كالديباجة الخضراء جعدها النسيم

ينساب مثل اللوعة الخرساء في صدر الكريم

فلا اذكر انني وقفت في اثناء مطالعاتي في الادب العربي على كثرة مطالعاتي لا اذكر انني وقعت على تشبيه يشبه هذا التشبيه او

---

(١) ديوان ابي ماضي ج٢ ص ٣ (٢) قال الاستاذ فواد افرام البستاني = " قد لا نستطيع بعد عشر سنوات استعارات " العواصف " ولكن المهم ان جبران شق طريقا جديدا في الادب العربي ولكل شخصية بارزة ان تعبد هذه الطريق على ما يروق عقليتها او ان تشق لها طريقا اخر (مجلة العصبة سنة٣ ص٧٣٢ (٣) همس الجفون ص ٧٨ (٤) مجلة الشرق ص ٥ عد ٢٠ سنة ٣

او سواه من ضروب الكلام المجازى . قال فرحات =

اهرع (١) نحو الدير يوم العيد مغتبطا بالطالع السعيد

فانظر الغادة بين الغيد باسمة عن لؤلؤ منضود

لامعة كالامل البعيد

وقال فوزى المعلوف =

طوقتني الاشباح ها هي حامت ثم اضحت ترف بين يديا

الى قولـه = هي كالوهم (٢) البسته خيوط الفكر ثوبا من الخيال جليا

وقال ابو ماضي =

وتزحم الحسناء ممكورة خلابة كالروضة الحالية

دميمة تشبه في قبحها مدينة مهجورة عافية

وقال الشيخ سعيد البازجي =

رايت (٣) الغدير على مهله يسير ويخطر في مشيته

شبيه الفضيلة في صمته ومثل التحنن في رقته

والشواهد التي هي من هذا النوع كثيرة . ولعل الشعر العربي لم يخل منها ولكنها كانت بالنسبة لنظيرها غير ملحوظة ولا ملموسة اما الادب المهجرى وخصوصا ادب جبران فهوغني بما فيه من ضروب المجاز على انواعه . والمهم بعد هذا كله ان نقول ان الادب المهجرى لا يختلف عن الاندلسي في شيء من الاشياء . لقد كنت انتوى قبل كتابة هذا الفصل ان اقوم بمقابلة بين الادبين ولكنني عدت فتركت ذلك للقارئ الكريم اذ ما قيمة المقابلات في نظر من يجهل الادبين معا .

فاذا كان القارئ واسع الاطلاع استطاع هو نفسه ان يرى ذلك الفرق الكائن بينهما والا فله ان يقول ما يشاء اذا كان ممن يجهلون الاشياء . واذا كان لا بد من مقابلة خاطفة قلت ان الشعر المهجرى اخذ عن الاندلسي قالب الموشحات ولكنه اضاف اليها شيئا جديدا يتجلى حينا في الاوزان الجديدة، وحينا في الجمع بين مصراعي البيت جمعا موسيقيا موحيا كما في الشعر المنثور وهو الى ذلك ادب عميق غير سطحي كما هو الادب الاندلسي في الكثير من الوانه ووراء ذلك العمق صوفية عميقة وثقافة عالية وهو ادب عالمي النزعات والميول غير محصور في قطر من الاقطار او امة من الامم . وشعر الطبيعة منه لا يتناول فصل الربيع فقط بل يتناول جميع الفصول على السواء فهو ادب الطبيعة الكاملة الشاملة وقد لاحظ المستشرق الفرنسي هنرى بيرس (٤) (Henri Pérès) ان الادب الاندلسي لم يحفل بغير الربيع من فصول السنة " فلم يجد الصيف بكل ما فيه من اضواء مشرقة مكانا من ادبهم " (Le été avec ses lumières vives n'a pas trouvé place dans leurs oeuvres.) هذا بالاضافة الى ما مر معنا من مظاهر التجديد في الالفاظ والتوسع في المسحات المجازية ( ) من ضروب التشابيه والاستعارات وما هنالك من تجديد في الشعر القصصي . وذلك مع الاعتراف بان الادب المهجرى لم يكن كله جديدا بل هو في اول عهده لا يختلف عن الادب العربي القديم في شيء من الاشياء . ولذلك اكثر ما نرى التجديد عند الشاعر سواء في الوطن او في المهجر لم يحدث الا في اخر حياته الادبية . وكما ان شوقي لم ينهد الى المسرحيات الا بعد تقلص ظل العهد التركي تماما وبعد تعرفه بالعالم الاوربي على اثر زياراته المختلفة هكذا فان التجديد عند ابي ماضي وجبران والريحاني ونعيمه وعريضه وايوب والقروى وفرحات واليازجي وشفيق المعلوف وفوزى وسواهم لم يتجل تماما الا في مؤلفاتهم الاخيرة. وان كان البعض منهم اسبق في نضوجه من البعض الاخر واكثر استعدادا لتقبل ما في الغرب من مذاهب مختلفة .

---

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٢٠٦ (٢) على بساط الريح ص١٠٣ (٣) مجلة الشرق ص٧ عدد ٩ سنة ١١ (٤) الشعر العربي الاندلسي في القرن الحادى عشر (

الشـعـر المهـجـرى وخصـائـصـه

يكفي للتدليل على روعة هذا الشعر الذى نحن في صدده ان يكون مطبوعا بطابع الحنين والتامل والتحرر الاشياء التي هي من ابرز خصائصه واجلى مظاهره مع العلم ان هذه الخصائص ليست وقفا عليه دون سواه فقد عرف الشعر العربي هذه الامور جميعها فعرف التحرر في الشعر النواسي وشعر المعرى وسواهما وعرف الحنين في الشعر الاندلسي كشعر ابن زيدون وسواه من شعراء الاندلس والمشرق ايضا وعرف التامل في شعر الصوفيين وكتاباتهم والمفكرين امثال المعرى والخيام وابن العربي وابن سينا وابن الفارض . وهذه الامور الثلاثة من التحرر الى الحنين الى التامل ليست ايضا وقفا على امة دون امة او فرد دون الاخر . ولا سيما الحنين فهو من اقوى غرائز الانسان واشدها اثرا في نفسه الم يقل ابو تمام =

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى	وحنينه ابدا لاول منزل

بل الم يقل لسان الدين ابن الخطيب =

جادك الغيث اذا الغيث هما	يا زمان الوصل في الاندلس
لم يكن وصلك الا حلما	في الكبرى او خلسة المختلس

ثم الم يقل الاخر ولعله ارق بيت في الحنين =

وتلفتت عيني ومذ غربت	عني الديار تلفت القلب

الحنين =

واذن فالحنين شيء عريق في القدم كائن منذ كان الانسان وحتى ان السجين الذى يخرج من سجنه بعد ان يكون قد قضى فيه بضع سنين لا يفارقه الا بشيء من الحنين . هذا واذا كان الادب الاندلسي او المهجرى مطبوعا بهذا الطابع فلا غرابة في ذلك وهو الادب الخارج عن قلوب قضى عليها الدهر بالهجران والحرمان ، على ان ما يلاحظ في الادب المهجرى هو ان الحنين فيه لا ينحصر في ناحيةواحدة خاصة بل يتخذ في مجراه سبلا ثلاثة . فمنه الحنين الى الوطن ومنه الحنين الى الطبيعة ومنه الحنين الى العالم المجهول الى عالم الارواح وقد يخلط الشاعر احيانا بين الحنين الى الوطن والحنين الى الطبيعة — التى هي في معناها الفلسفي الشعرى الحياة الحرة ، البعيدة عن جميع القيود والتقاليد والسنن التي سنها الانسان قيدا لحريته واصفادا لروحه — فاذا هو حائر بين الاثنين .

الحنين الى الوطن =

واذا ما حن اللبناني او السورى الى وطنه فليس ذلك امرا غريبا وقد ترك وراءه الاهل والاصدقاء والاصحاب والاحباء وليس من السهل على النازح ان ينسى ارضا درج فيها طفلا فكانت مدرج الحداثة وترعرع فيها شبابا فكانت مغنى الاحلام الا ان يكون قد هجرها وهو على ثدى امه او هجرها وهو ما يزال جنينا لم تكتحل عيناه بنورها وانى له ان ينسى

وما تزال رسائل الاهل وجرائد الاهل ترد اليه حاملة من حماه شذى عبقا واريجا منعشا واني له ان ينسى وهو اذا ما لاحت له قمم الجبال في دار غربته معممة بالثلوج صبا قلبه الى جبال ناصعة الجبين خضراء القلب ترفل بحلل موشاة بالصنوبر والارز والشيح وهو اذا ما اري جدولا ينساب او نهرا يتدفق او روضة تزهو ذكر لبنان في جداوله اندفع في تيار حبه وزها بروعة جماله وسحر ظلاله

وهو اذا ما راى علما يخفق وراية تلوح وشعبا يفاخر حرك ذلك منه نوزاع الغيرة فاذا هو وطني متحمس يود لو يفتدى ذلك الوطن بروحه وماله كل هذه العوامل من ذكر الاهل الى رسائل الاهل الى مناظر الطبيعة المشابهة مناظر بلاده الى تفاخر الغربيين بحريتهم واستقلالهم اقول كل هذه العوامل مجتمعة حركت فيه حنينا مرا قاسيا تذوب له الاكباد وتسيل له المحاجر هذا والحنين يتجلى في الشعر العامي كما يتجلى في الشعر الفصيح فكم هنالك من الموالبا والمعنى والعتابا والميجانا من ادب عامي قد نظم تحت عامل الحنين . وما يزال المغني العامي في مجالسه الخاصة يقول = " يا بحر حاج تموج فيك حبابنا " ولعل " الموالبا " الموجودة في الادب العربي اثر من اثار الموالي الذين اسروا وتغربوا فتركوا الاهل والبلاد ولا سيما في عصور الادب الاخيرة .

واليك ما يقوله نعيمه في صيف (١) تلك السنة اتفقنا انا وجبران ونسيب عريضه وعبد المسيح حداد ان نقضي عطلة قصيرة في البرية فانطلقنا في اواخر حزيران الى مزرعة صغيرة تبعد نحو مئة ميل عن نيويورك اسمها كاهونزي.

" في تلك العزلة المعطرة بالسكينة المكحلة بالجمال قضينا عشرة ايام مرت كعشر دقائق. جلسنا على تلك الصخرة ووجهتنا الشلال ومع انه لم يكن بيننا ولا واحد يحسن الغناء فما شعرنا الا ونحن نغني ما اتانينا فكانت كلها من الاغاني القومية القديمة المعروفة في لبنان وسوريا مثل " العتابا " والميجانا " وابو الزلف " والموالبا " ومن بعدها اخذنا نسرد ما نذكره من الشعر العامي القديم فانشدنا جبران " موالا " كان شديد الاعجاب به ومطلعه =

يا زين عن درب الهوى ضعنا	من كثر ما فيكم تولعنا
مشتاق الكم والمجال بعيد	يا ريتنا كنا تودعنا ...

وللشعر العامي هذا حديث يطول ولكن لا بد لي من التنويه بتلك الاغاني الشعبية التي كان يقوم امين الريحاني وجبران بترجمتها الى اللغة الانكليزية لتنشر على صفحات مجلة العالم السوري (The Syrian World) فكان الناشيء السوري المولود في دار الغربة اذا ما سمع تلك الاغاني من فم ابيه وذويه عرف شيئا مما تعنيه ومن ذلك ترجمة جبران للمقطع التالي من مقاطع ابي الزلف =

وطلعت راس الجبل (٢) فتش على طيري   والقيت طيري يا امي في قفص غيري
خشخشت له بالذهب قلتلو يا طيري   قال لي زمانك مضى فتش على غيري

I wondered among the mountains searching for my lark
And I found him but Alas in another's maiden cage.
With the tinkling of Gold I sought to allure him into my cage
But she sang and said" Go your way Yours day is forever by.

وترجمة الريحاني لهذا المقطع من اغنية مرمر زماني =

شوف الحلوة حاملة الشمسية   بيضا وظريفه والعيون عسلية
وقلك يا امي ما اخذت لي هي   بحمل عبايل ما عملها عنتر

With parasol in hand, behold her passing,
Her brow, the dawn; her cheek the rose surpassing
O mother, if I win her not, amassing
The gifts of love, C'en Antar I'll surprise.

وكان من عادة الشاب العاشق اذا ما فارق حبيبته الى امريكا او سواها من بلاد الله ان يطلب اليها تزويده

The Syrian World 1927 P. 17   (٢)   (١) جبران خليل جبران ص١٨٨

بخصلة من شعرها وهي عادة مشهورة في لبنان من ذلك ما اعرفه عن صديق لي ذهب الى امريكا منذ عشر سنين وقد زودته حبيبته بشيء من شعرها الذهبي ولعل الشاعر فرحات كان من هولاء العشاق في قوله هذا المشبع بالحنين والشوق =

خصلة(١) الشعر التي اعطيتنيها عند ما البين دعاني بالنفير
لم ازل اتلو سطور الحب فيهـا وساتلوها الى اليوم الاخير

. . . . .

خنت عهد الحب لا باس فاني مكتف بالاثر الحلو الثمين
فانا ما عدت احيا بالتمني بعدما منيتني عشر سنين
اشكر الله فما الاخلاق مني انني كنت لك الصب الامين
وارجعي سيرة حبي وارجعيها فهي نور ساطع للمستنير
واذا موت بك الويح سليها انها تعرف من امرى الكثير

والقصيدة تجرى على هذا النحو الاخاذ من السحر الموسيقى والدفء العاطفي الذى يبعثه الحنين في كل بيت من ابياتها كل ذلك باسلوب بسيط وصنعة ساذجة ولكنها غير رخيصة . ومن شعر الحنين في الحب هذه القطعة الرائعة التي قد تكون خير ما نظم رشيد ايوب —

هون(٢) الله وعدنا فالتقينا وتذكرنا الليالي فبكينا . . . .
يوم كنا في بساتين الصبا من ثمار الحب نجني ما اشتهينا
وهنت مثلي ولكن لم يزل في حواشي العمر ما يحلو لدينا
قلت هاذى روضة هيابنا نتصابى ومشيناها الهوينا
وجلسنا في حمى صفصافة خيمت اغصانها عطفا علينا
وضربنا موعدا ان لا نوى بعد هذا هكذا كنا نوينا
انما لما طوينا ساعة يعلم الله بها كم قد طوينا
وارت الدنيا بنا دورتها فتفرقنا كانا ما التقينا

ومن شعر الحنين ايضا سلة الفواكه لنسيب عريضه —

وشعهما — واستوقفتني (٣) على حانوت بقال عيني وقوف مشوق عند اطلال
لسلة لمحتها العين في الحال فيها فواكه لم تخطر على بالي

ثمار كرم وتين فوق رمان

وقفت وفما وحولي الناس وقفت اراقب السل والاثمار قد بسمت
كانها اذ راتني مدهشا عرفت اني غريب فحيتني وما نطقت

فطار قلبي حنينا نحو لبنان

وغاب عن ناظرى ما كان قد لزمه فانتصب نيويرك والابراج والعظمه
والناس والطرق لا تنفك مزدحمه نسيتها كلها اذ هبت النسمه

تسوق نفسي وقلبي سوق اضعان

ومن هذا الحنين ايضا خيمة الناطور لرشيد ايوب وهي تعكس صورة من صور الحياة في لبنان وسوريا .

---

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين ص١٨٦ (٢) مجموعتي للشعر الحديث ص٧٦ والقصيدة ماخوذه من ديوانه " هي الدنيا " (٣) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٢١٨ .

لظلام الليل فضل في الحياة — مثلما للنور

اين لولا الليل حسن النيرات — ايها المغرور

نخذ الدنيا وما فيها وهات — خيمة الناطور

ومن هذا الحنين قوله =

يا ثلج قد هيجت اشجاني — ذكرتني اهلي بلبنان

بالله عني قل لاخواني — ما زال يرعى حرمة العهد

ومن قوله = ذكرتك يا لبنان والقلب خافق — لذكراك حتى كاد يفلت كالطير

وليس سلوا ما تراه من النوى — ولكنها الدنيا تمشي عن السير

على ان عندي في الفؤاد محبة — اذا مت(١) يا لبنان اورثتها غيري .

---

(١) الى القارئ شيئا من ترجمته كما اثبتها الاديب ميخائيل نعيمه في مجلة المكشوف [illegible] السنة الثامنة عدد ٣٤٤) ومن [illegible] ادرى من نعيمه بترجمة الشاعر وهو الذى عرفه في المهجر رفيقا وصديقا وكلاهما من بلد واحد قال نعيمه =

" هجر رشيد ايوب مسقط راسه بسكنتا الى الولايات المتحدة الاميركية وهو ما يزال دون العشرين — ولد رشيد ايوب في بسكنتا سنة ١٨٧٢ وتوفي في بروكلن يوم ٢٧ كانون اول سنة١٩٤١ [illegible] والهجرة اللبنانية ما تزال تخط الفصول الاولى من تاريخها العجيب فاستقر في ولاية لويزيانا حيث اتجر ونال قسطا من النجاح . ولكن روحه ما كانت في التجارة ولا كان قلبه في المال . لقد كان المال يتسرب من جيبه تسرب الماء من بين اصابع اليد لان الحياة ما وهبته شيئا من [illegible] حرص النملة واقدقت طبعه الكثير من غنا الجندب . وتلاقي الغالب [illegible] حالة الشعراء مع الدنيا .

وتزوج رشيد في مهجره من فتاة داموريه [illegible] من ال الغريب بما هي الا بضع سنوات حتى اصبح

وب عائلة مؤلفة من زوجة وابنين وابنة وكان طيلة اقامته في المدينة الجنوبية يحن الى جو تتضوع فيه رائحة من الادب العربي فلا يجده حيث كان — فنزح الى نيويورك طمعا بمثل ذلك الجو وهناك سكن بروكلن حيث سكن معظم المهاجرين من هذه البلاد يرتزقون في مدينة نيويورك وحيث قضى نحبه في ٢٧ كانون اول من السنة الماضية ناطحا من العمر سبعين عاما .

لقد لقي رشيد ضالته في رهط من ادباء العربية وشعرائها في نيويورك الا انه فقد الصبر على معالجة التجارة فطلقها وعندما نفد ما في يده من المال او كاد عاد على كره منه يفتش عن ابواب رزقه فانا يظفر وانا يخيب وهذا العراك سيما في ديار الغربة وما يولده من حالات نفسانية ما بين شكوى وامل وتزهد ولا مبالاة وحنين الى الربوع وذكريات الصبا والشباب وكل ساعة مشرقة من ساعات العمر الذى لن يعود — كل ذلك بثه رشيد في شعره بسخاء جارف وصدق لا يتسرب اليه الشك ورقة فيها الكثير من تلك العذوبة التي تفعل بالقارئ وبالسامع فعل الراح بشاربها مهما يكن معدن الكاس وشكلها . ترك لنا رشيد ايوب من شعره ثلاث مجموعات صدرت كلها في نيويورك " الايوبيات " سنة ١٩١٧ " واغاني الدرويش " سنة ١٩٢٨ " وهي الدنيا " سنة ١٩٤٠ اما الاولى فقد نظمها ونشرها قبل ان تكون " الرابطة العلمية " لذلك جاءت شبه عبارة للشاعر من عهد في حالة الحشرجة الى عهد يفور بكل جديد وجرئ ان في الاسلوب وان في الموضوع . حين ان المجموعتين الاخيرتين تمثلات صاحبهما كما عرفته اصدق التمثيل وكلتاهما ممهورة بروح " الرابطة " الى حد بعيد فكان الذى نظمها غير الذى نظم " الايوبيات " انتهى .

هذا ولرشيد ايوب ترجمة في مجلة السائح واخرى في مجلة السمير لمن اراد الرجوع اليهما (السمير السنة الرابعة ج اول ص٤٠) و (السائح عدد ممتاز لسنة ١٩٢٧)

ومن شعر الحنين قول شفيق المعلوف من قصيدة موضوعها الاياب القاها في رحلة في حفلة تكريمية انيهمت انيهمت له =

اى صوت (١) ادعى غداة التنادى	من نداء الاكباد للاكباد
صدقت " ذمة الزمان " فعدنا	ننفض الجمر من خلال الرماد
هاك ملهى الصبا فيا قلب لملم	ذكرياتي على ضفاف الوادى

ومما قاله ابو ماضي =

اثنان اعيا الدهر ان يبليهما	لبنان والامل الذى لذويه
نشتاقه والصيف فوق هضابه	ونحبه والثلج في واديه

الى قوله =

وطني ستبقى الارض عندى كلها	حتى اعود اليه ارض التيه
سالوا الجمال فقالوا هذا هيكلي	والشعر قال بنيت عرشي فيه

ومما قاله في رثاء ابيه وفيه من الحنين ما فيه =

طوى(٢) بعض نفسي اذ طواك الردى عني — وذا بعضها الثاني يفيض به جفني
شخصت بروحي حائرا متطلعا — الى ما وراء البحر ادنو واستدني
كأنّ جناح ادرك السيل عشها — فطارت على روح تحوم على الوكن
فواها للواتي كنت في الغوم عندما — نظرت الى الحواد تسائلهم عني

وقال جورج صيدح =

وطني(٣) اين انا ممن اود . — او ما للحظ بحد الجزر مد
ما رست بي ههنا فلك النوى — لو ابحاحوا لي في الدفة يد

وقال القروي =

غرست(٤) بلبنان ورد الامل — فقل للبرازيل ان تمحلا
وجدت عليه بمزن المقل — فقل للامازون ان يبخلا
وحليت قلبي " بنبع العسل " — فقل لليالي امطرى حنظلا .

وقال نصر سمعان =

من راه وقبضة (٦) الموت تستل تباعا — من قلبه خفقاته
من راه معانقا طيف ام — سكبت روحها على وجناته
من راه يودع الامل الحلو — وطيف القنوط في نظراته

—. . . . .

(١) مجلة الشرق ص ٩ عام ١٠ ج ٨ (٢) الخمائل ص٩١ (٣) مجلة السمير ص ١٧ سنة٤ ج ٧ (٤) الاعاصير ص٣٢ (٥) الاصلاح ص١٢٢ سنة ٥ ج٣٩٢

وقال الياس فتحل =

يا بحر (١) احكام القضاء جميعها — هانت على نفسي سوى حكم النوى
فلكم حملت من الجراح ومهجتي — تتنابها لحنينها نوب الجوى

وقال ندره حداد وهو شاعر حمصي الاصل سوري المولد =

يغمر ذكر(٢) الصبا — انغام مزمار
اونفح زهر الربى — في شهر ايار
ما قيل لي مرحبا — في كل لي كل اسفاري
الا وقلبي صبا — للاهل والدار
ما هنك ارض الشام — صد واضواب

هوالعنذ القطلم   روح والعصاب

وكان الشعراء يتغنون كل بموطنه الخاص وقريته الخاصة وكان اللبنانيون وهم السواد الاكبر فيهم لا يرون في لبنان الاجزاء من سوريا الكبرى وسوريا هي عند الكثيرين منهم ليست سوى جزء من الوطن العربي الاكبر . على ان المهجريين عموما كانوا يرون وما يزالون يرون في سوريا الوطن المشترك الذى يجمع بين مختلف صفوفهم . ومن السوريين من هو اديب كبير وشاعر فذ امثال نسيب عريضه وعبد المسيح حداد وندره حداد وسواهم . وهولاء الثلاثة حمصيون (٣) منشأ ومولدا والبك حنين الياس فرحات اللبناني كيف ياتي سورى الشوق والعاطفة قال فرحات =

نازح العهد وجدهم   في الحشى بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم   عضه الحزن بانياب حداد

يذكر الربع القديم   فينادى
اين جنات النعيم   من بلادى

الى قوله = موطني يمتد من بحر المياه   ممعنا شوقا الى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه   بجمال فائق حد الجمال

ذكره يغرى فتاه   بالمعالي
انا لا ارضى سواه   فهو مالي

والظاهر ان الحزب القومي السورى اساء فهمه فادعى ان الشاعر من اتباع السيد انطون سعاده فرد عليهم فرحات بمقالات لاذعة هاجم فيها شخصية زعيمهم المشار اليه قائلا ان حب المهجريين لسوريا كانت قبل ان يولد الحزب ولم يخل رده من الخشونة ولست ادرى ما اسباب ذلك النفور الذى حصل بينهم والظاهر ان احدا من الناس عاب فرحات على انضمامه للحزب (٤) المناهض (٥) للعروبة فاراد فرحات تبرير نفسه وهو العربي القلب واللسان كما يقول . فجاء يرد التهمة ويعلن كرهه للنظم الدكتاتورية والواقع ان الشاعر المهجرى (٦)

---

(١) الاصلاح ص ٢٥ ج ٦ سنة ٣ (٢) السائح الممتاز لسنة ١٩٢٧ ص ٤٢ (٣) راجع تراجمهم في السائح الممتاز لسنة ١٩٢٧ (٤) مجلة الشرق في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ (٥) ذلك ما يقوله البعض . (٦) يعرف العرب في امريكا باسم السوريين وما يزالون يعرفون بهذا الاسم الى اليوم لا سيما في امريكا الشمالية ولعله السبب الذى حمل الدكتور حتي على وضع تاريخ الهجرة باسم "السوريون في امريكا" (The Syrians in America)

لم يفرق كثيرا بين لبنان وسوريا وهاكم ما جاء في نشيد النادى الفينيقي النسائي و هو من النظم الشاعر على البحر اللبناني المولد والمنشأ .

ايه اشبال الاسود انتم خير الامم
فانتثوا اثر الجدود واملأوا الدنيا عظم
وابعثوا فينيقيا

الى قوله = انتم من امة طلعت كل نجيب
ونواحي تربة طينها مسك وطيب
امرعت بالانبياء

حسبكم نادى الادب وعكاظ المهجر
محييا مجد العرب من بطون الاعصر
ناشدا ما طويا

طرف لبنان الجميل عن هواكم لم ينم
وبحرفان الجميل زهر سورية نسم
باسما مزدهيا

وكثيرا ما اخذ الحنين شكلا اخر من اشكال الشوق فانتج ما اسميه " بادب الامومة " حيث اخذ المهاجر يذكر فيمن يذكر الام الحنون في محبتها التي هي اعمق من الحياه واخلد من الوجود ويأتي الشاعر القروى في طليعة شعراء الامومة ومن قوله =

عدوى(١) لا تظن الشهد شهدى ولا المن الذى استحليت مني
فلي ام حنون ارشفتني سلاف الحب من صدر احن
على بسماتها فتحت عيني ومن لثماتها روبت سني
حياتي حبها فوق احتياجي ففاض على الورى ما فاض عني

ومن قوله =

ولو عصفت(٢) رياح اليم عصفا ولو قصفت رعود الموت قصفا
فلي اذني عند النزع صوت يحول لي عزيف الجن عزفا
فيطربني وذلك صوت امي

ومما قاله البوت الجميل في ذلك =

يا فجر امالي (٣) وافق سعادتي وشعاع ايناسي وشمس رجائي
يا سلوتي في وحشتي ومعينتي في ذلتي وشريكتي ببلائي
يا من وبيت على الدلال بحضنها فكانني في جنة غناء
الى قوله = اني بنيت لها بقلبي هيكلا لتقيم فيه النفس بعد فنائي

---

(١) الجالية ص ١١ في نيسان سنة ١٩٢٥ (٢) ذخائر المحفوظات ص ٨٠ المقدسي (٣) مجلة الشرق ص ١٧ عام ٩ ج ٧

ومما قاله امين مشرق =(١)

يا نسمة الصبح لامسيها ـــ وبودي قلبها الحزين
يا نسمة الصبح قبليها ـــ في الخد عني وفي الجبين

— — —

اماه بالله ما دهاك ـــ وما دهى اخوتي الصغار
هل اوقعتكم يد الهلاك ـــ ما بين نار وبين عار
وهل طغى فيكم الاعادي ـــ وطاردوكم الى البوادي
اماه ها انني انادي ـــ اماه هل انت تسمعين

— — — —

الى قوله =

امي اصرتم بغير ماوى ـــ نمتم عرايا على التراب
مرضى تذوبون دون شكوى ـــ كشمس لبنان في الغياب
وحولكم خيم السكون ـــ واغمضت في الدجى العيون
وهو في بالكم امين ـــ اماه ردى انا امين (٢)

ومما يؤسف له كثيرا ان يموت هذا الشاعر اللبيب وهو ما يزال في شرخ الشباب وان يموت وامه في ساعة واحدة وفي حادث واحد كما نرى في ترجمته المثبتة في ذيل هذه الصفحة .

---

(١) مجلة الفنون ج ٤ ص ٢٥٢ من السنة الثالثة (٢) "ولد في غروزز لبنان وتخرج في المدرسة الاميركية الداخلية بطرابلس ثم هاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٤ اقام بها نحو سنتين ثم غادرها الى الاكوادور في اميركا الجنوبية اما عمره على وجه التقريب فثلاث وثلاثون سنة وهو من دعاة التجديد في الادب الا ان التجارة صرفته عن الانقطاع الى الادب فاصبح كالطائر السجين يغرد ويسكت دهرا نقلت هذه الفقرة من ترجمة حياته (عن مجلة السائح العدد الممتاز لسنة ١٩٢٧ ص ه) ومما جاء فيه في مجلة المكشوف (السنة الرابعة العدد ١٧٥ ص ٤) ما يلي = " منذ شهرين تقريبا نعى البرق الشاعر اللبناني امين مشرق فقد صدمته ووالدته سيارة فلم تمهلهما الصدمة الا ساعات فقضيا ماسوفا عليهما ". ومما قاله نعيمه في العدد ذاته وفي الصفحة ذاتها من مجلة المكشوف ما يلي = " جمعتني به الايام في صيف سنة ١٩٣٢ على اثر عودتي من الولايات المتحدة وعودته من الاكوادور فعرفت فيه قلبا صادقا وفكرا ثائرا وخيالا لجوجا فاحببت صدقه

واحتومت ثورته ولهمت لحاجته . وكنت قبل ذلك قد تحسست تلك الصفات في ما قرأته من نظمه ونثره وفي رسائله الى قوله = وامين من الذين كان يؤلمهم امهين والرياء والتدجيل . لذلك ثار مع الثائرين على ادب المداجاة والتنميق والتزويق فكانت لشعره رنة الاخلاص الجميل ونضارة الالوان في الحقل الغاب وكان لعاطفته في اكثر مواقفه الشعرية ما للموجة الزاخرة من قوة جارفة وما للريح من قدرة على الاتصال بجذور الاشجار الغينة وهو من قليل الشعراء الذين انكشفت لهم اسرار المقاطع واسرار الاوتار على السواء فقد كان مولعا بضرب الكمان وكان يجيده مثلما يجيد وصف عواطفه في موشحاته " انتهى والظاهر ان المرحوم امين لم يترك وراءه ديوان شعر . فقد اتصلت بالخ زوجته السيد الذهب وجا جوراني قبل سفره الى نيورك فاجابني انه لا يجمع من شعره سوى القليل ووعدني بجمع اشعاره كلها فيما اذا قدر له السفر الى نيويورك واتصلت بابن اخته الصديق مروان نصر فقال انه لا يعرف له مجموعة ادبية ولعله تركها في اميركا واخبرني ان احب قصائده اليه هي قصيدة الكنفجة المنشورة في كتاب الشوق ج ٥ ص ٩٥٦ .

ومن شعر الامومة قصيدة خيالية للقروى يتصور فيها حضن الام نعيما يفوق نعيم السماء فيها الكثير من روعة الخيال . تصور فيها ان شاعرا توفاه الله واسكنه فسيح جناته لما عرف عنه من حب واحترام لوالديه وخصوصا لامه ولكن النعيم ظل قاتما مظلما في عينيه فاحب ان يعود الى نعيم الام الذى يفوق نعيم السماء مما حمل الله سبحانه وتعالى على ان يولد من لم لينعم بنعيمها وهكذا تتجسد الروح ويتانس الاله —

فقال الشاعر =

اتيتك (١) راجيا نقلي لحضن	احب الي من هذا واكرم
لحضن طالما قد نمت فيه	قرير العين بين الشم والضم
بحضن الام يا مولاى عني	انام قانعا هنا وانعم
فاطرق سيد الاكوان طرا	لشكوى شاعر النبراء واهتم
وقال بنفسه هذا مجال	ايعلم شاعر ما لست اعلم
اينعم خاطيء في الارض قبلي	بما انا لست في الفردوس انعم
ساكشف سر حضن ا م هذا	ولو كلفت ان اشقى واعدم
وكانت ليلة واذا صبي	صغير نائم في حضن مريم

ومن شعر الامومة ايضا قصيدة لابي ماضي جاء فيها ان شاعرا كان في مجلس من مجالس الحب وقد اخذ كل فتى من الحاضرين يتغنى بحبيبته غير ان الشاعر بقي صامتا ولكنه بعد الحاح كثير صرح باسم حبيبته فاذا هي امه =

كلهموا يشرب سر التي	يهوى من الشهد ويطربها
وكان في الشرب فتى باسل	طافته تسحر رائيها

وانت قال الصحب واستضحكوا هل لك حسناء تحبيها

قال عاجل اشهب سر التي بالروح تغذيني وانديها

لا تترضاني ريلة ولا تلثمني كذبا وتمويها

يضيع مالي ويزول الصبى وحبها باق وحبيها

سر التي لا غادة بينكم مهما سمت في الحب يحكيها

الى قوله = فصاح رب الدار يا سيدى وصفتها لم لا تسميها

— — — — —

اتخجل باسم من تهوى احسناء بغير اسم

فاطرق غير مكترث وتمتم خاشعا ... امي .

فان دلت هذه القصائد على شيء فانما تدل على حنين مذيب تسامى بالنفس وتسامت به فاذا الام في الذروة من البشرية واذا الامومة اقدس ما عرف الانسان من حب واخلاص وفي ذلك دعوة غير مباشرة لاحترام المرأة الشرقية واحلالها المحل اللائق بها . على انه هذا الحنين آخذ بالتلاشي من الشعر المهجري ولاسيما في شعر الناشئين لولادتهم هناك واندماجهم في الشعب الذي يعيشون معه

---

(١) مجموعتي الشعرية ص ٧١ (٢) السمير سنة ٢ عدد ٣ ص ١٠٠

الحنين الى الطبيعة =

وهنا لون اخر من الحنين قد اتخذ له شكلا فلسفيا فاذا الشاعر فيلسوف يدعو الى البساطة في الحياة والبراءة في الحب والحسنى في المعاملة واذا المدنية الحالية في نظره بالرغم مما هي عليه من تقدم صناعي وبالرغم مما فيها من وسائط الراحة ووسائل العمران وبالرغم من الكهرباء وما نجم عنها من اسباب اللهو والمرح وتخفيف الالام مدنية فاسدة قد افسدت ما في كيان الانسان من عناصر البراءة والحب والطهارة التي منحته اياها الطبيعة وهم يتمثلون الحياة المثلى في "الغابة" التي ترمز الى البساطة في المعيشة احيانا كما ترمز الى الحياة الحرة المطلقة من كل قيد وشرط .
وهذا الحنين الى الغابة والى الاعتقاد بان الانسان قد جرفته المادة في تيارها فاصبح عبد الالة والمدنية الالية وهو اثر من اثار المدرسة الرومنتيكية الادبية والفلسفة التي انتشرت في مطلع القرن التاسع عشر وكان من دعاتها روسو وامثاله وهي تتجلى واضحة في كتابات المهجريين جميعها من نثرية وشعرية ولعل البادىء الاول في هذه الحركة الفكرية جبران خليل جبران في مواكبه حيث يقول .

ليس (٣) في الغابات عدل لا ولا فيها العقاب

فاذا الصفصاف القى ظله فوق التراب

لا يقول السرو هذى بدعة ضد الكتاب

ان عدل الناس ثلج ان راته الشمس ذاب

وهي نظرة لا تخلو من التشاؤم بحيث يتصور الشاعران الناس حوله ذئاب خاطفة ووحوش ضارية بل الوحوش خير منهم في ظروف كثيرة . والشاعر في غابته هذه يرى سلطان الغابة وسيدها وهي مملكته المثلى وغايته القصوى فيقول ابو ماضي (٤) في قصيدة موضوعها الغابة المفقود : -

يا لهفة النفس (٢) على غابة	كنت وهند نلتقي فيها
نامت الازهار عند الضحى	متكئات في نواحيها
الوى على الزنبق تسرينها	والتف عاريها بكاسيها
واختلجت في الشمس الوانها	كانها تذكر ماضيها
يا هندهذى معجزات الهوى	وانها فينا كما فيها
لا تستحي الزهر باعلانها	فما لنا نحن نواريها
وتمشي الطير بها في الربى	فما لنا نحن نخفيها
الى قوله - لاغابتي اليوم كعهدى بها	ولا التي احببتها فيها
قد بدل الانسان اطوارها	واغتصب الطير ماويها
وفت بالبارود جلمودها	واجتث بالفاس دواليها
وشاد من احجارها قرية	سكانها الناس واهلوها

---

(٣) المواكب ص١٧ راجع شرح تحبيه للمواكب في كتابه جبران خليل جبران او راجع ما ذكرته في المواكب قبلا (٤) الخمائل ص١٢٥ .

وقال فوزي المعلوف (١) من قصيدته على بساط الريح .

نسي الخير حين اوغل في الشر ... فداس الضمير في عصيانه

ملأت قلبه الاناني فلا يسمع ... غير الفحيح في خفقانه

فاذا بالاذى ولبد حجاه ... واذا بالشرور بنت لسانه

زج بالعلم في الفضاء طيورا ... من جماد بيوتها ببنانه

ما بناها الا لهدم المباني ... ولسفك الدماء في طيرانه

ليته لم يكن ذكيا فكل الويل ... في الكون من نهى انسانه

ليت عمرانه تاخر اجيالا ... فكل الخراب في عمرانه

ونحن وان كنا لا نوافق الشاعر على نظرياته المتشائمة الا اننا نراها تطبق تماما في هذه الحروب الساحقة التي يضطرم اوارها في انحاء الارض .

---

(١) فوزي المعلوف (١٨٩٩ — ١٩٣٠) ولد في مدينة زحله اللبنانية في ٢١ ايار ١٨٩٩ ووالده الاديب الكبير عيسى اسكندر المعلوف ووالدته عفيفة ابنة المرحوم ابراهيم باشا المعلوف واخوته اسكندر وشفيق ورياض وادمون وافلين واوديت واخواله البكوات قيصر وجميل وجورج ونقولا وشاهين وميشال وفدعه . تلقى دروسه الاوليه في المدرسة الشرقية في زحله وانتقل ١٩١٣ الى مدرسة الفرير الكبرى في بيروت حيث درس اللغتين العربية والفرنسية منظم منها ونثر ما شاء . وبعد هجرته الى البرازيل احسن اللغة البرتغاليه والم بالاسبانيه . وكان قد اشتغل بالتجارة في لبنان . وخدم بعض الوظائف في دمشق وراسل منها امات الصحف المصرية . وكاتب الصحف الوطنية وقد تخرج على والده في انشاء نوابغه وفي سنة ١٩٢١ ابحر الى البرازيل حيث انصرف الى الصناعة والتجارة ولم يكن عمله هذا ليلهيه عما فطر عليه من حب في الادب فكان من حين الى آخر ينظم المقاطيع والقصائد والملاحم ويدبج المقالات وكثير منها ترجم الى اللغات الاجنبية . وفي البرازيل انشاء " المنتدى الزحلي " (وتراس النادى واقام فيه الحفلات ومثل الروايات كرواية (سقوط غرناطه) او (ابن حامد) التي نظمها في الوطن وقد مثلت مرارا . ومن اثارة النثرية تعريب بعض روايات قصصية نشر بعضها بمجلة والده الاثار وطوى البعض الاخر ومن اثارة الشعرية ملحمتان احداها (على بساط الريح) في وصف طيارة امتطاها متنزها في الجو ترجمت الى اللغتين البرتغالية والاسبانية — وقد اطلعت على الترجمتين فاعجبت بجمال الطبع واتقان الترتيب كثيرا — والملحمة الثانية هي " شعلة العذاب " تركها غير ناجزة وقد ترجمت شعرا اسبانيا واما دواوينه الشعرية فهي اغاني الاندلس وتاوهات الروح " ومن قلب السماء " ومجموعة شعره الوطني والفكاهي ، ومن اثارة الادبية رواية " سقوط غرناطه " وصفحات غرام " وعلى " ضفاف الكوثر " والحمامة في القفص " وجميعها عدا الاولى غير ناجز .

هذا وقد ترجم شعر فوزي الى اللغات الالمانية والفرنسية والبرتغالية والاسبانية واخيرا الى الانكليزية " اخذت هذه الكلمة عن كتاب ذكرى فوزي المعلوف " واضفت اليها شيئا عن لسان والده ولعل افضل دراسة لادب المرحوم فوزي هي التي قام بها الاستاذ نايز عون لنيل شهادة الدكتورة من جامعة باريس لما دراسة الشاعر الاسباني فيلا سباسا فلا تخلو من غلو واطناب .

وقال نعيمة متغنيا في الغاب (١)

هوذا اترابي قد سرحوا	في الغاب يقودهم المرح
وبقيت انا وحدي سكرانا	يرقص في قلبي الفرح
فجلست على كتف النهر	ما بين العوسج والزهر
العالم مملكتي وانا	سلطان العالم والدهر

وقال فرحات . (٢)

وعندما اتخذت لي وساده	من حجر ملقى لدى الغدير
شعرت بالغبطة والسعاده	كانني الملك على السرير
الى قوله : لم اهجر المدن الى الضباع	الا احتراسا من ذوى الخساسة
فلا يقاس الفرق في السباع	بالجنس بل بالغدر والخساسه

وقال رشيد ايوب . (٣)

جلست في الروض وحدى عند ساقية	يردد الماء فيها صوت الحاني
والريح تخفف من حولي مهينمة	كما يهينم قلبي الخافق العاني
الى قوله: فقلت لما رايت الروض مملكتي	وانني بين انصارى واعواني
يا ليت لائمتي في الحب حاضرة	كيما تراني في عزى وسلطاني

وقال القروى : (٤)

هيا الى الغاب اني قد بنيت لنا	من الرياحين عشا لينا عطرا
لا تأملي من جوا الناس منفعة	فلنبتعد عن حماهم نامن الضررا
وحش المدينة ما ذئب الفلاة هوى	حول الخباء وما ليث الشرى زأرا

وقد تتمثل الغابة عند بعضهم في ربوع لبنان وبساطة الحياة فيه٢ . قال شكر الله الجر :

وما انا ممن يصحب الناس راضيا	وهل ترتضي نفس الالى دونها صحبا
ولا انا ممن يامن الغدر فيهم	وهل يامنن الذئب من يصحب الذئب
ولو ان لي في اربع الارز نجعة	لما اعتضت بالفردوس عن تربه تربا

الحنين الى عالم الروح

هذا والامثلة كثيرة جدا بحيث تضيق بها الصفحات الكثيرة . وهذا الحنين الى الغاب هو ظاهرة جديدة في ادبنا العربي قديمه وحديثه ولا سيما في الشعر منه . واما الحنين الى العالم المجهول الى عالم الارواح فقد ظهر شيء منه في كتابات الصوفيين من الكتاب والشعراء . وليس هذا الحنين من صلب التفكير العربي على ما يظن ولعل موجهه الاول كتابات افلاطون وامثاله من فلاسفة اليونان . فقد كان من تعاليم فيلسوف اليونان الاكبر ان هنالك عالم ارواح ازليا غير قابل للتحويروالتغيير

(١) همس الجفون — صفحة ٤٠ مجلة الشرق صفحة ٩ عام ٧ عدد ١٤ = (٣) العصبة صفحة ٧٢٤ عدد ممتاز سنة ٥ — (٤) الاصلاح صفحة ٤٣٢ ج ٥ سنة ٤ — (٥) الاصلاح ص ٤٩٥ ج ٦ سنة ٤

وقد حوى هذا العالم مثالات الاشياء المحسوسة التي ترى في عالمنا هذا . فالناس في حقيقتهم ليس سوى صور لمثال صمدي هو الانسانية وكذلك باقي الاشياء المنظورة " والنفس[(١)] لجناية اقترفتها ستبقى سجينة في الجسد تكفر عن ذنبها فتجدد من كمالها الى ان تدرك غايتها وتستعيد نقائها فتنجو من التناسخ وتبرح التراب عائدة الى غابر عهدها في عالم الارواح " والظاهر ان ابن سينا كان قد تاثر بفلسفة افلاطون هذه كما يذكر الاب يوحنا قمير فنظم قصيدته المشهورة في النفس التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وهي القصيدة التي يشير اليها جبران في قوله ليس بين ما نظمه الاقدمون[(٢)] قصيدة ادنى الى معتقد واقرب الى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس فكاني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وادرك مكونات المعقولات بواسطة المرئيات "

والى هذا الاعتقاد يشير نعيمه في كتابه حيث يقول جبران " ان دورة الحياة[(٣)] لا تنتهي بعمر واحد نحن نطلب الكمال نحن نفتش عن الله فمن ذا يجد الله في عشرين سنة او في مائة او في الف " وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " ثم يشير الى ايمان الطائفة الدرزية بالتناسخ ايضا .

والواقع ان نعيمه نفسه يعتقد بالتقمص كما كان يعتقد به جبران وغيره من ادباء المهجر وهذا الاعتقاد يتجلى فيما كتبوا من شعر ونثر وهناك مذهب من مذاهب الحلول ونظرة من نظرات الصوفيين الى الحياة يرون فيها الكون بجميع مظاهره وحدة تامة بحيث تضيع فيها خطوط الشر في خطوط الخير واذا الله منعكس في كل شيء من اشياء العالم المحسوس وهو مذهب يلخذ به بعضهم فيقول نعيمه[(٤)]

كحل اللهم عيني ، بشعاع من ضياك ، كي تراك

في جميع الخلق في دود القبور ، في نسور الجو

في موج البحار ،، في صحاريج البراري ، في الزهور

في الكلا في التبر ،، في رمل القفار الخ ...

وسئل نعيمه عن معتقده فقال اعتقد بالتقمص اعتقادا ثابتا[(٥)] واظنني اتيت هذا العالم قبل اليوم وتعرفت الى من اعرفهم الان في حالتي الصداقة والعداوة ثم سئل وبالغاية من الضرب على وتيرة واحدة

---

(١) مجلة الاديب ص ١٨ ج ٢ سنة ٤ — (٢) مجلة الفنون ج ٣ سنة ٣ ص ١٩١ — (٣) جبران خليل جبران ص ٨٨ نعيمه ٤ همس الجفون — (٥) المكشوف سنة ٢ عدد ٧٢ ص ٦

فاجاب " لكي نصهر في بوتقة الكمال حتى اذا كلنا انتبهنا الى مصدرنا بالمعرفة الى الله ويقول نعيمه في المسيح انه انسان تاله لا اله تانس وانتا نظل هكذا دواليك نقصا حتى نصير صبرة " انتهى "

واذا فهناك عالم اخر هو عالم الله او عالم الروح الاكبر واذا فاصحاب هذا المعتقد لا بد لهم من الحنين الى هذا العالم المجهول وهذا الحنين الى عالم الروح هو منحى من مناحي الصوفية وفيه من رغباتهم وصوفية بعض المهجريين هي في حقيقتها صوفية مسيحية تتفق وقول المسيح " انا في الاب والاب في " قال جبران " لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليهدم المنازل ويبني من حجارتها الاديرة والصوامع ويستهوى الرجال الاشداء ليقودهم خصيانا ورهبانا بل جاء[1] ليبث في فضاء هذا العالم روحا جديدة قوية تقوض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم ودائرة النور الاعلى هي العالم الروحاني الذى عناه افلاطون ومما قاله نسيب عريضه ما يلي :

اصعدت في ركب النزوع حتى وصلت الى الربوع

فاتاك امر بالرجوع على هبوطك تاسفين

فيقول الدكتور مندور معلقا : " تلك نفحات افلاطونية الشعرية الجميلة يوم حدثنا عن هبوط النفس من عالم المثل[2] الذى لن تستطيع ان تغالب الحنين اليه ولكم جرت بذلك انفاس الشعراء منذ ابن سينا الى لامارتين وهو مذهب قديم عند كبار الشعراء اذ نراه من اهم خصائص شعر هوميروس الذى يشبه البشر باوراق الخريف ومما قاله نعيمه من هذا القبيل ما يلي :

ايه نفسي انت لحن في قد رن صداه[3]

وقعتك يد فنان خفي لا اراه

انت ريح ونسيم انت موج انت بحر

انت برق انت رعد انت ليل انت فجر

انت فيض من اله .

وقال جبران مخاطبا البلاد المحجوبة :

يا بلاد الفكر يا مهد الالى جدو الحق وصلوا للجمال

ما طلبناك بركب او على متن سفن او بخيل ورحال

---

(١) العواصف ص ٢٨ — (٢) في الميزان الجديد ص ٥٧ — (٣) همس الجفون — (٤) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٤٥

لست في الشرق ولا الغرب ولا | في جنوب الارض او نحو الشمال
لست في الجو ولا تحت البحار | لست في السهل ولا الوعر الحرج
انت في الارواح انوار ونار | انت في صدرى فؤاد يختلج

وقال فوزى المعلوف :

انت يا روح هم من النور ذارت اضاءت في الكون في عالميه (١)

تصل الارض والسماء بنهر غمر الحسن والهوى شفتيه

لست من عالم التراب وان كنت تمشي بالتراب عليه

انت من عالم بعيد عن الارض بفيض الجلال عن جانبيه

التامل

ومن الحنين ننتقل بالقارئ الى شعر التاملات والتامل في الشعر المهجرى من ابرز خصائصه وبهذا كان الشعر المهجرى عميقا في احاسيسه وبهذا التامل كان الشاعر المهجرى شاعرا وفيلسوفا في وقت واحد اذا جاز لنا هذا القول . اجل ان الشعر العربي لم يخل من التاملات الروحية لا سيما شعر الصوفيين والمفكرين امثال ابن الفارض والمعرى وسواهما ولكن التامل فيه لم يكن بارزا تمام البروز ولعله لم يكن عاما كما تراه في الشعر المهجرى بحيث لا تستطيع ان تستثني شاعرا واحدا منهم والتامل في شعر الفارض والخيام والمعرى لم يخرج عن حد التهكم في احيان كثيرة اما هنا فهو ياخذ شكلا جديدا وكاني به يفرغ في قالب من الكلام المسؤول كما في الاساليب الفلسفية وكثيرا ما ياتيك الشاعر بخلاصة رايه في الحياة لا فرق كانت سلبية او ايجابية متشائما او متفائلا . وكما ذكرت التامل صفة خاصة من صفات هذا الادب الذى عرض له فهو ادب فيه الكثير من الشك واليقين بل هو ادب الروح القلق والقلب المشكك والعقل الحائر : ومنهم من يصطبغ ادبه بهذه الصبغة الى حد بعيد من هؤلاء ابو ماضي وعريضه ونعيمه وفوزى المعلوف . فمن عامل الغربة كان الحنين وما نجم عنه من شعر ومن عامل عدم التوفيق في التجارة والبؤس في العيش كان الياس وبكي للتدليل على هذا ان تطلع على حكايات المهجر لعبد المسيح حداد حيث ترى صورا قاسية للحياة التي عاشها السوريون في بادئ الامر واليك ما يقوله فرحات :

(٢)

هنيئا لكم حول الخوان اجتماعكم | وصاحبكم يطوى القيافي بلازاد
وعندكم الماء النمير مسله | جزافا على وجه الثرى وانا صاد
واولادكم في الجوخ تدفا جسومهم | فما همكم ان يقتل البرد اولادى

---

(١) على بساط الريح ص ٤٥ (٢) مجلة الاصلاح ص ٣٠٥ ج ٤ سنة ٤

ومن الشعور بفقدان الجنسية القومية كان الصغار الذاتي من ذلك قول نسيبه :

اخي[1] من نحن لا وطن ولا اهل ولا جار

الى نمنا اذا قمنا ردانا الخزي والعار

وما قاله القروي موجه مشيرا الى تعبير " الاجانب بقولهم تيركو لكل مهاجر (عربي) ما يلي :

انت من انت ايها الراكب التبيل والعجب بين عطفيه راكب

انت تركو ولو وطئت الثريا واقمت السهى ببابك حاجب

وذكرت مجلة السمير قائلة : " فنحن المهاجرين لما جئنا الى هذه[2] البلاد وقبل عنا اتراك قلنا للقوم اننا سوريون لاننا كنا عالمين ان سمعة الاتراك في ذلك العهد مذمومة ، فلما سألونا اين موقع سوريا في الارض نقلناها كلها الى اورشليم وقلنا لهم نحن ابناء عم المسيح والارض المقدسة بلادنا " .

واما العوامل الباقية في اصطباغ الادب المهجري بصبغة التشائم فلا تحتاج الى الشاهد والدليل فان المرء ولا سيما اذا كان من اصحاب الاحساس المرهف لا بد له من ان يشارك الناس في الامهم وخصوصا اذا نزلت المصائب في اهله وذويه .

وبعد فانني ارجو مخلصا ان يكون القارئ مستعدا لتفهم تاملات شعرائنا المهجريين تفهما حقيقيا غير سطحي بحيث يذهب مع الشاعر باحثا متفحصا مظاهر هذا الكون المحجوب لعله متوصل الى معرفة تلك القوى الروحية الكامنة وراء هذه المظاهر جميعها وربما كان ابو ماضي اكثر شعراء المهجر انصرافا الى التامل الروحي . قال :

جئت لا اعلم من اين ولكني اتيت[3]

ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت

وسابقى ماشيا ان شئت هذا ام ابيت

كيف جئت كيف ابصرت طريقي لست ادري

الى قوله :

قد سألت البحر يوما هل انا يا بحر منك

هل صحيح ما رواه بعضهم عني وعنك

ام ترى ما زعموا زورا وبهتانا وافكا

ضحكت امواجه مني وقالت لست ادري

اني في صدري يا بحر لاسرارا عجابا

نزل الستر عليها وانا كنت الحجابا

ولذا ازداد بعدا كلما ازددت اقترابا

واراني كلما اوشكت ادري لست ادري

---

(١) همس الجفون ص ١٧ — (٢) السمير ت ٢ سنة ١٩٣٢ (٣) الجداول

وفي تاملاته من التشاؤم ما فيها على ان الشاعر يعود فيعنف نفسه على استسلامها شانه في معظم مواقفه فهو يطلب اليها ان تفيد من حاضرها وتغنم من ملذاتها قبل ان يسدل الستار الاخير وهو حينئذ متفائل يريد ان يتمتع بالصبح ما دام فيه فيقول مخاطبا نفسه :

مسخت في عيني لون النهار   لما لمحت الليل بالمرصد
ومات في اذني لحن الهزار   لما سبقت الصمت للمنشد
فرت باللذات قبل الفرار   فضاع يومي حائرا في غدى

ومما جاء في قصيدة له موضوعها فلسفة الحياة قوله :

ايها ذا الشاكي وما بك داء   كيف تغدو اذا غدوت عليلا
ان شر الجناة في الارض نفس   تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى   ان ترى فوقها الندى اكليلا

واذا فالمتفائل من شعراء المهجر هو الذى يستطيع ان يرى الحياة في مظهريها المتلازمين كما يراها الشاعر في الورد في شوكه وازاهره والمتفاؤل هو الذى يتمتع بالصبح ما دام هنالك صبح ليتمتع فيه . ولكن هذا الاعتقاد لا ينفي عن ابي ماضي صبغة التشاؤم التي يتجاهلها البعض . غير انه يبقى حريصا على تفهم دنياه والتمتع بما قدمته لبنيها من متع وملذات ولكن بشئ من القصد والاعتدال ولعل زملاءه لا يختلفون عنه الا قليلا قال القروى من قصيدة موضوعها الربيع الاخير :

لمياء هذا[1] جبين الفجر قد سفرا   وموسم الحب عنا مزمع سفرا
واضيع الناس من يمضي الشباب ولا   يقضي من الحب في ايامه وطرا
طيرى نغرد مع الاسراب في فرص   ان طرن لن تجد حبا ولا ثمرا
غدا نذوب الى الاعتاب من ظماء   ونهبط الكرم لا نلقى لها اثرا

هذا وشعر القروى ليس من الشعر التاملي البحث بل هو اشبه شئ بغزل القدامى التقليدى فالقروي شاعر كثير الاستطراد واكثر ما يستطرد الى الناحية القومية فاذا حدث في الفلسفة انتقل منها الى الوطنية واذا حدث في الدين انتقل منه الى الوطنية واذا حدث في الحب انتقل منه الى الوطنية واليك كيف يختم قصيدته هذه :

قل الذعناء بالاسطول مفتخرا   .البغي لوم فته بالعدل مفتخرا

---

(١) مجلة الاصلاح ع ٥ سنة ٤ ص ٤٣٢ —

ولفرحات من الشعر التاملي شيء غير يسير ولعل افضل قطعة له في هذا الباب هو قوله مخاطبا ابنته البكر =

ابنتي (١) يا نجمة الانس   في اى يوم كنت في الامس
ان تكشفي عن مصدر النفس
صيرتني وجلا   لا يرهب الاجلا   وبعثت بي املا
انواره بين الضلوع خبت   فاهتزت افكار واضطربت
ان الثلاثين التي ذهبت
ذهبت بذاكرتي ولم تعد   واظنها ذهبت بمعتقدى .

. . . .

الى قوله =

---

(١) مجلة الجالية السنة الثانية عدد ٥ ص١٢٣ .

هذى الرياض منابت الزهر   تلك البحار مصادر الدر
ذاك الفضاء نجومه تجرى
بالله يا بنتي   من ايها انت   في ايها كنت
لا تحزني لابيك ان جهلا   خلي البكاء وحاولي الجذلا
ما انت من هذا الترب ولا
تلك المياه وذلك الجلد   بل انت من روحي ومن جسدى

وكاني بالشاعر قد اطمأن الى هذه النتيجة من المنطق الشكلي فراح يعزى نفسه بالبقاء عن طريق التناسل والتوالد .وقال جبران متسائلا في كثير من اليأس والقنوط =

ليت (١) شعرى هل ما مر وجوع   لو معاد لحبيب واليف
هل لنفسي يقظة بعد الهجوع   لتريني وجه ماضي المخيف
هل يمحي ايلول انغام الربيع   وطى اذنيه اوراق الخريف
لا فلا بعث لقلبي او نشور   لا ولا يخضر عود المحمل
ويد الحصاد ولا تحيي الزهور   بعد ان تبرى بحد المنجل

وقال نسيب عريضه =

شربت (٢) كاسي امام نفسي   وقلتيا نفس ما المرام
حياة شك وموت شك   فلنغمر الشك بالمدام

وهو في تشائمه هنا اشبه شيء بتشائم ابي نواس والخيام وسواهما ممن راوا هذه الدنيا فانية فعكفوا على الخمرة يحتسونها لعلها تذهب بما في قلوبهم من هموم على حد قول ابي ماضي —

لم يبق ما يسليك غير الكاس فاشرب ودع للناس ما للناس
الحس مجلبة الكآبة والاس ثم انطلق من عالم الاحساس

ويقول عريضه في مكان اخر والتوجع ملء جنبيه

انا في الحضيض وانا مريض
افلا يد تمتد نحوى بالدوا وتبث في جسمي ملامسها القوى
وتقلني من هوتي نحو الذرى فاسير مستندا عليها في الورى
دربي بعيد وانا وحيد

الى قوله =

سر يا شقي كفاك تشكوا ما دهاك الحل لا شاك من البلوى سواك
كم ذا تفتش عن مواس او معين هيهات ان الناس مثلك اجمعين

وفي هذا القول شيء من تعزية الخنساء .

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

قلت ان ادب الكامل من الادب المهجري او الشعر المهجري مطبوع بطابع التشائم وهذه حقيقة لا تنكر وهو طابع عام للادب المهجري الا ان التشائم فيه ياتي على درجات مختلفة فمنهم من غلبهم اليأس على امرهم او كاد ومنهم من استطاعوا ان يروا الحياة كما هي كابي ماضي وامثاله . لقد راوا ان الحياة مركبة من عنصرين سعادة وشقاء نهار وليل حلاوة ومرارة دمعة وابتسامة .

---

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٢٨ ٢ (٢) من ديوانه الارواح الحائرة نقلا عن الغربال ص ١٣٥ .

فيقول نفيمه —

غدا اعيد (١) بقايا الطين للطين واطلق الروح من سجن التخامين
واترك الموت للموتى ومن ولدوا والخير والشر للدنيا وللدين
والبس العري درعا لا تحطمه ايدى الملائك او ايدى الشياطين
فلا تروعني نار الجحيم ولا مجالس الحور في الفردوس تغريني .

ومن الشعراء الذين يغلب التشائم على شعرهم وشعورهم الشعر فوزى المعلوف واخوه شفيق وامين مشرق ورشيد ايوب =

قال فوزى وفي روحه شيء من نغمة ابي العلاء المعرى =

ينظر الناس(٢) يكثرون على الارض   فيبكي لانهم يكثرونا
يتمنى نقض الزواج من الناس   فلا يجبلون او يلدونا
الى قوله = لا تكوني اصل البلاء لذاك الطفل   يا ام واركضيه جنينا
انت اورى بحسرة العيش اذ   لا فهت من شقوة الحياة فنونا
الم كلها الحياة فلا تضحك ثغرا   الا لتبكي عيونا

ومن ذلك قوله من قصيدته " شعلة العذاب ":

ليتشعري (٣) لمن بعثتم الات الى الكون   مستهلا بحبره
وعلى من بيكيتم اعلى الراحل عنه   وزاده منه حسره
يولد الطفل للعذاب وهذى سنة الدهر   وفي الطفل شره
بين اوجاع امه دخل المهد   وبين الاوجاع يخر يدخل قبره
تعب كلها الحياة وهذا   كل ما قال فيلسوف المعره

ومما قاله شفيق =

اعيذك(٤) يا قلب من خفقات   تغالب حتفاً في جانبيك
لقد نهك الدهر منك القوى   واظلم هذا الوجود لديك
الهي سالتك تدمير هذا   الوجود وتحطيمه بيديك
سالتك خنق الشرور فهلا   خنقت الشرور على قدميك
سالتك رفقا بمن جبلتهم يداك   وما تم نكر عليك
الست ترى في الحياة جموعا   تضوح اعالهم ناظريك
فانس الوجود وخذهم اليك   والا فيا رب خذني اليك .

وقال امين مشرق من قصيدة موضوعها الكمنجة =

يا ابنة الالحان ما انت سوى(٥)   صوت روحي وصدى قلبي الطموح
في فوادى الف" وست ونوى "   وكمنجات واعواد تنوح
كلما لامست صدرى   فشجي اللحن يجرى
منه في صدرك امواج كبحر   هائج طورا وطورا مستكين

---

(١) همس الجفون ص ٩٦ (٢) كتاب عون ص ١٧٤ (٣) الذكرى ص ١٧ (٤) الاحلام ص ٤٨
(٥) المشرق ج ٥ ص ٦٩ .

لا تخافي انا اطيك الصدى — انما في داخلي يبقى الالم
هوذا قلبي يضحي ابدا — فدية عن قلبك الخالي الاصم
رددي منه الانينا — واملأى الليل حنينا
واهزئي بالقلب ماذا ترهبينا — مزقيه حبذا لو تفعلين

ومما قاله رشيد ايوب :

ان انس[١] لم انس روضا قد مررت به — والريح نافخة والمطر منثور
وقد تغنت على غصن بميد بها — شحرورة بهواها هام شحرور
حتى اذا سكنت طارا لعشهما — والنفس مشغوفة والقلب مسرور
فقلت ما احسن الدنيا اذا عدلت — تزهو بساكنها الاعشاش والدور
وعدت يوما الى الروض النضير عسى — انفي همومي فخانتني المقادير
رايت ريشا على الاغصان منتشرا — والعش خال من السكان مهجور
فقلت والنفس ذابت من كآبتها — والقلب من خيبة الامال مكسور
الله الله من دنيا اذا ظلمت — لم ينج من ظلمها حتى العصافير

وقال ندره حداد :

تهيأى[٢] للرحيل — عن صيفك الراحل
لكل عهد جميل — خريفه الذابل
مضت شهور الحرام — مذ مر بي آب
ما للصفا من دوام — والدهر دولاب

وقال ميشال المعلوف :

يا سحبا[٣] راكضة في الفضاء — مجدة في السير نحو المغيب
ناشدتك الله ترى للفناء — ذاهبة أم للرجوع القريب
ما الطف الظل الذى تنشرين
اواه لو انه باق ولكنه سار مع السائرين

وقال الشاعر المدني قيصر الخوري و شقيق الشاعر القروي

يا نائما[٤] من قبل ان يسهدا — ومائتا من قبل ان يولدا
الى قوله : لو ان هذا الموت من ارضنا — وافاك حلنا دونه بالفدى
لكنه وافاك من عالم — قد أعجز اللب وشل اليدا

---

(١) السمير ج ١ سنة ٤ ص ٤١ (٢) مجلة السائح عدد ممتاز لسنة ١٩٢٧ ص ٤٢
(٣) مجلة العصبة عدد ١١ و ١٢ سنة اولى ص١٠٠٣ (٤) الشرق ص ٤ طم ٦ عدد ١٣

ومن الشعر اليائس قول شكرالله الجر من قصيدة موضوعها الحيرة :

قلق القلب[1] معذب — ليس يدرى اين يذهب

ضاق صدر الكون عنه — حين صدر القبر ارحب

قد جفاه الصحب والاحباب — حتى الام والاب

كيف لا يطلب بعد اليأس — عطف المقبرة

هذا وحسب القارئ من الشواهد ما تقدم . ولعل المهجريين معذورين في ذلك ، لاسباب ذكرناها سابقا ، ولكن لا يسعنا الا ان ناسف لذهاب بعضهم في التشاؤم كل مذهب ودعوتهم للتخلص من هذا الوجود بعدم التوالد والتناسل الشيء الذى دعا اليه ابو العلاء قديما كما دعا اليه ابو العتاهية وان كان في اسلوب آخر حيث يقول :

لدوا للموت وابنوا للخراب — فكلكم يسير الى تباب

ولعل ابا ماضي مصيب في انتقاده اللاذع لشعراء البؤس وان كان ادبه لا يخلو من ذلك ولكنه يبقى بالنسبة الى سواه شاعرا متفائلا يريد ان يرى الحياة باسمة ضاحكة او يريد ان يرى النواحي البيضاء من الحياة على حد قول الاميركيين (To see the bright side of things) حيث يقول :

عش للجمال[2] تراه العين مؤتلفا — في انجم الليل او زهر البساتين

الى قوله : عش للجمال تراه ههنا وهنا — وعش له وهو سر جد مكنون

خير وافضل ممن لا حنين لهم — الى الجمال ، تماثيل من الطين

التحرر

اما الخاصية الثالثة فهي خاصية التحرر ، التحرر من كل قيد من التحرر في اللفظ الى التحرر في القواعد الى التحرر في الوزن والقافية الى التحرر الفكرى الى التحرر الوطني الى التحرر الانساني وهم يتجهون في تحررهم الى منحيين ، المنحى الانساني العام والمنحى الوطني الخاص وهنا تتجلى رسالة المهجريين الى وطنهم والى العالم . والواقع ان التحرر بمعناه العام الشامل قد اصبح ، كما يلاحظ ، صفة عامة في ادبنا الحديث . وهو اثر لتلك الثورات الفكرية والروحية والسياسية التي قام بها لوتر وامثاله (من الثورة الروحية لدى الاصلاحية) الى ثورة فرنسا التي نادت بحرية الانسان الى ثورة العمال الاخيرة ، الى غيرها من ثورات العلم كفلسفة التطور التي نادى بها داروين واصحابه . وهم في تحررهم هذا متطرفون في الكثير من مواقفهم . ولكنهم لا يرون في الشر سبيلا الى الخير . والثورة الحقيقية عندهم انما هي التي تبتدأ في النفس اولا او هي التحرر الداخلي كما يقول المسيح تعرفون الحق والحق يحرركم . فهي ثورة سلمية وان يكن بعضهم كان قد دعى الى السيف وراح بعضهم يهزأ بالتعاليم المسيحية تقليدا لبعض كتاب الغرب المتطرفين امثال نيتشه وسواه . ومن هؤلاء الشاعر القروى حيث يقول موجها الكلام الى السلطان الاطرش في ثورته على الفرنسيين سنة ١٩٢٥ :

---

(١) الشرق ص ٢٠ سنة ٢ عدد ٣٠ (٢) الخمائل ص ٣٣

فيا لك اطرشا لما دعونا (١)	لثار كان اسمعنا جميعا
الى قوله: اذا حاولت رفع الضيم فاضرب	بسيف محمد واهجر يسوعا
احبوا بعضكم بعضا وعظنا	بها ذئبا فلم تتبع القطيعا
فيا حملا وديعا لم يخلف	سوانا في الورى حملا وديعا
غضبت لذات طوق حين بيعت (٢)	ولم تغضب لشعبك حين بيعا
الا انزلت انجيلا جديدا	يعلمنا اباء لا خنوعا
شفعت بنا امام اب رحيم	وما نحتاج عند اب شفيعا
اجرنا من عذاب النير لا من	عذاب النار ان تك مستطيعا

والظاهر ان القروى شاعر مهجرى من الدرجة الاولى والذى اعنيه بالشعر المهجري او الادب المهجرى هو الذى نظم لغوغاء الناس قبل خاصتهم وهو اذ ذاك ادب غوغائي والدليل على غوغائية شعر القروى هو ما ترى فيه احيانا من سباب وشتائم الشيء الذى تكرهه له وهو الذى يحلق في النواحي الاخرى من نواحي الادب وليست المقدمة التي يقدم فيها ديوانه " الاعاصير " بالكافية للاعتذار عما جاء فيها من تطرف كان هو في غنى عنه . وحبذا لو اكتفى بقصيدة " تحية الاندلس " وعيد الاضحى " والرجاء " الوطني وعيد استقلال لبنان وسقوط اورشليم والاخيرة هي افضل قصائده المثبتة في الديوان المشار اليه مع العلم ان كلها من الادب المهجرى ولكن منها ما هو للخاصة كالاخيرة مثلا ومنها ما هو للغوغاء . وكثيرا ما يكون الشعر المهجرى من الادب الرفيع في صياغته ورسالته من ذلك شعر شوقي بك وعليك لكي ترى الفرق الكائن بين الادبين ان تقابل بين قصيدة القروى هذه وبين قصيدة شوقي في فتح القدس حيث يقول :

يا فاتح القدس خل السيف ناحية	ليس الصليب حديدا كان بل خشبا
لو كنت تدرك الى اين انتهت يده	وكيف جاوز في سلطانه القطبا
علمت ان وراء الضعف مقدرة	وان للحق لا للقوة الغلبا

او قوله :

ولد الرفق يوم مولد عيسى	والمروءات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت	بسناه من الثرى الارجاء
لا وعيد ، لا صولة ، لا انتقام	لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء

او قوله :

يا حامل الآلام عن هذا الورى	كثرت عليه باسمك الآلام

---

(١) الاعاصير ص ٢٧

(٢) اشارة الى غضب المسيح على باعة الحمام في الهيكل

واذا فالقروي قد اساء في فهمه المسيح كما اساء الى النبي العربي لان رسالتهما كانت روحية قبل كل شيء واذا كان النبي قد اضطر الى امتشاق السيف للدفاع عن نفسه وعن رسالته فلا يعني انه جاء ليدعو الى السيف . ومن ينكر على المسيح دفاعه عن الحرية وهو الذى مات من اجلها . واما قوله انه غضب لذات الطوق حين يهمّ فقول مردود لان المسيح لم يغضب لبيعها وانما غضب لاستخدام هياكل الله للتجارة والكسب . واما قوله الا انزلت انجيلا جديدا يعلم الاباء فهي فكرة عقيمة نادى بها اولئك الذين لم يفهموا حقيقة الرسالة المسيحية امثال نيتشه وهو الذى انتهت به فلسفته الى الجنون . اضف الى ذلك ما يوجهه القروي من اهانات الى من هم ارفع منه قدرا ومنزلة كقوله في/ البابا قداسة :

ان يكن صاحب القداسة سفاحا فماذا ترجو من غير صاحب

والبيت من قصيدة له يوضحها الى هيلاسلاسي امبراطور الحبشة على اثر غزو موسليني لها وقد زعم البعض ان الكنيسة البابوية قد شجعت عمله . وقد يكون من الخير الاغضاء عن مثل هذه الهفوات التي ارتكبها شاعرنا القروي والتي لا نرضاها لشاعر يقول :

اتعلم كيف كان اله موسى الها قاسيا يلتذ بالدم

اذن فاليك كيف غدا مسيحا حنونا ان تألمنا تألـــــم

لا اطلب من عتابي هذا ان افرض على الشاعر معتقدا دينيا او مذهبا روحيا فللناس ان يعتقدوا ما شاؤا ولكني لا ارضى لاديب كالقروي له منزلته الرفيعة ان يشوه الحقائق ارضاء لغوغاء الناس .

قلت ان ادباء المهجر متطرفون في نزعاتهم التحررية ولكني اعود فاقول انهم في هذه النزعات لم يؤمنوا كثيرا بالتحرر الذى ياتي من خارج النفس فاذا كان لا بد من الثورة في سبيل الاستقلال فلتكن ثورة فكرية قبل كل شيء ولعل الريحاني خير مفصح عما يختلج في صدورهم من هذا القبيل في قوله " الثورة الحقيقية ونحن من انصارها من رسلها انما هي التي يزرع الزمان بذورها في قلوب الناس وفي عقولهم بل هي التي يشعل الله نورها في ارواح البشر . هي الثورة التي يتقدمها في العراق مثلا وسكة الحجاز وحرية الطباعة والتجارة والتعليم هي التي تنمو في الجامعة نموا هادئا ثابتا بطيئا كما ينمو النخيل في الرمال هي التي تبتدىء في البيت وفي الحريم وفي المدارس والمعابد. (١)

والظاهر ان التحرر الداخلي يبدا عندهم في التخلص من التمسك بالطقوس الروحية البالية والتخلص من سلطان رجال الدين الذين هم في نظرهم سبب الشقاء البشري والتفرقة بين الناس ولا سيما في البلاد العربية حيث لا يزال التعصب يعمي عيون الاكثرية من البشر واذا قالوا رجال الدين فانما يعنون طغمة خاصة ولعلها الطغمة التي حذر منها المسيح نفسه في مناسبات كثيرة وكثيرا ما يحتجون باقواله .

ومما قاله القروي :

اوطانهم وقف بايدى القسوس اديانهم محصورة في الطقوس

نفوسهم يا ذلها من نفوس لهم جسوم ما عليها رؤوس

لهم رؤوس ليس فيها عقول

---

(١) الريحانيات ج ٣ ص ٨٢

والواقع ان المهجريين كانوا يفكرون في فصل الدين عن الدولة اسوة بسائر الامم الاوروبية وهي الفكرة التي نادى بها شعراء الوطن ايضا من ذلك قول المقدس :

دعني وشاتي والذى انا عبد ـ وكما يشا ايمان قلبك فاعبد

اني اخوك وان يكن ابائنا ـ في البعد ما بين الثرى والفرقد

ان فرق الايمان بين جموعنا ـ فلساننا العربي خير موحد

وهي ظاهرة جديدة في ادبنا الحديث سواء في المهجر او الوطن وما قاله الريحاني ان لم تباشر الحكومة في تدمير حصون الجهل يعود الجهل فيدمر حصون الحكومة [1] . ولا يتم لها ذلك الا في تاسيس المدارس العمومية الوطنية مجردة عن كل صبغة دينية . وما هذه ببدعة انادى بها فان مكتب الصناعة في هذه المدينة اسس على هذه الطريقة الوطنية وحبذا لو احبته الحكومة فيكون مثالا للمدارس العثمانية العمومية الاجبارية .

وهو في مكان آخر يقول ان الثورة الفرنسية هي في حقيقتها ابنة لثورة روحية سبقتها هي ثورة لوثر الاصلاحية الشهيرة وكيف كان الحال فان المهجرى مقتنع بان لا خير من حرية تعطى او تؤخذ ان لم يسبقها حرية فكرية وتحرر روحي .

قال جبران :

انا لبناني [2] ولي فخر بذلك ولست بعثماني ولي فخر بذلك ايضا ، لي وطن اعتز بمحاسنه ولي امة اتباهى بمآتيها وليس لي دولة انتمي اليها واحتمي بها . انا مسيحي ولي فخر بذلك ولكنني اهوى النبي العربي واقدر اسمه واحب مجد الاسلام واخشى زواله . الى قوله :

خذوها يا مسلمون كلمة من مسيحي اسكن يسوع في شطر من حشاشته ومحمدا في الشطر الاخر ان لم يتغلب الاسلام على الدولة العثمانيه فسوف تتغلب امم الافرنج على الاسلام . وان لم يقم فيكم من ينصر الاسلام على عدوه الداخله فلا ينقضي هذا الجيل الا والشرق في قبضة ذوى الوجوه البائخة والعيون الزرقاء .

وقد يكون الشيخ محمد عبده اول من نبه المسلمين الى العدو الداخلي في الحظيرة الاسلامية ، اعني الى الجهل والخرافة والاضاليل — حيث يقول :

ولست ابالي ان يقال محمد ـ ابل او اكتظت عليه المآتم

ولكن دينا قد اردت فلاحه ـ مخافة ان تقضي عليه العمائم

ومن ادب التحرر الفكرى قصيدة لفرحات يرد فيها على الشاعر علي ناصر الدين لتشفيه بسقوط شاه للبد العجم امان الله عن عرشه عندما اساء الى الدين على زعم الشاعر بوضع حجاب المرأة ، غير ان السلطان ما لبث ان عاد لملكه وما قاله الاستاذ ناصر الدين متشفيا وعاتبا :

هتكت حجاب المحسنات وقاحة ـ فلغرم فاغرم من لم تلقه قط مغرما

واهويت بالموس على معظم اللحى ـ كان اللحى مما يعوق التقدم

أمن سنن الاصلاحي ان تحلق اللحى ـ وتمنع هذا الشعب ان يتعمم

---

(١) الريحانيات ج ٢ ص ١٦٤ ـ (٢) مجلة الفنون سنه اولى ص ٣٨

(٣) راجع مشاهير الشرق لزيدان ـ (٤) مجلة الاصلاح ج ٦ سنة ٤ ص ٥٢٥ — ٥٣٠

فاجاب فوحات رادا :

اذا ملك لم يدم العلم ملكه   فليس بمغنى عنه أن يتعمم

توهم ان الدين ارسال لحية   فاضحك رب الدين ممن توهم

هنيئا لشعب ناهض اغضب اللحى   على انه أرضى النبي المعظما

الى قوله :

لهوا عن لباب الدين جهلا بقشره   وافتوا بتقليم النهى كلما نما

وسدوا طريق الفكر عن كل مؤمن   والقوا نسيجا فوق عينيه اقتما

ثم يأخذ فوحات بادلاء الادلة والبراهين على افضلية السفور على الحجاب محتجا بام المصريين صفيه هانم حرم زغلول باشا على شرف اخلاقها ونبل محتدها وتمسكها بالفضيلة مع سفورها الى ما هنالك من الادلة والشواهد . ثم يشير بعد ذلك الى بعض المحجبات من اللواتي عرفن بالخيانة والغدر وهو يقول ان الاسلام الصحيح براء من كل هذه الاباطيل .

على ان شعراء امريكا الشماليه يرون في فجور المرأة المزعوم سببا اعمق من الشهوة وابعد من لزوم الحجاب او تركه . وما المرأة الفاجرة في نظرهم الا ضحية الرجل الفاجر والمجتمع الفاجر وما هنالك من اسباب ثانية كالفقر وما اليه وهم ينظرون الى هذه الامور نظرة فلسفية عميقه فيقول نسيب عريضه

الجوهر السامي   يبقى بلا رجس

كم مومس تمضي   عذراء للرمس

وقال جبران خليل جبران :

والحب ان قادت الاجسام موكبه   الى فراش من الاغراض ينتحر

كانه ملك في الاسر معتقل   يابى الحياة واعوان له غدروا

ليس في الغاب خليع   يدعي نبل الغرام

فاذا الثيران خارت   لم تقل هذا الهيام

ان حب الناس داء   بين لحم وعظام

فاذا ولى شباب   يختفي ذاك السقام

ومهما يكن في الامر ، فان الشاعر المهجري قد نظر الى الاشياء والحوادث نظرة جديدة تختلف في كثير او قليل عما سبقها من نظرات . وهي نظرة الرجل المتحرر الذى يدرس الامور على نور الحقيقة فلا يلزم الناس او ينسب اليهم التهم والجرائم وهو سببها وصاحبها .

دع الايام لا تنسب اليها[2]   ذنوبا لم يجيئها سوانا

وليس اضل من وان صحيح   اذا عفته لام الزمانا

وقال فوزى المعلوف :

الناس نحو[3] الترقي مشيها خبب   ونحن نحو التلاشي مشينا خبب

والجهل والدين والاهمال علته   وليس علته غاز ومنتدب

(١) المواكب ص ٢٣   (٢) السهام ص ٦٦   (٣) اطروحة عون ص ١٧٧

وقال نعيمه =

نمك (١) الايام لا ينفعك   انما الايام لا تسمعك
فهي منك الظل يا صاحبي   عجبا ظلك كم يخدعك

وقال ابو ماضي =

وطن (٢) اردناه على حب العلى   فابى سوى ان يستكين الى الشقا
كالعبد يخشى بعدما افنى الصبا   يلهو به ساداته ان يعتقا
او كلما جاء الزمان بمصلح   في اهله قالوا طغى وتزندقا

الى قوله اليائس =

نعسي اخلدى ودعي الحنين فانما   جهل بعيد اليوم ان تتشوقا
هذى هي "الدنيا الجديدة" فانظرى   فيها ضياء العلم كيف تالقا

هذا وليس عجيبا ان ياتي ادبهم مطبوعا بطابع التحرر الفكرى كالدعوة الى الحرية الشخصية وا يمان بحرية الفرد واستقلال الشعوب . وهم الذين قد نشأوا اولا في بلد خيم فيه الجهل وسيطر عليه الطغيان ثم قدر لهم بعد ذلك ان ينتقلوا الى بلاد تقدس حرية الفكر وتحترم حرية القول الصحافة وتؤمن بالعلم الى حد بعيد ولا سيما امريكا الشمالية التي تعدفي طليعة الامم الناهضة في علومها وصناعتها والتي تعد في حريتها الفكرية حصن الدمقراطية الاول . — بل العجيب ان لا يكون الادب المهجري مطبوعا بطابع التحرر والتقدم وان يكون خاليا من الرسالة الروحية العالية.

---

(١) همس الجفون ص٧٣ (٢) ديوانه ج ٢ ص٢٧ .

قال نعيمه = وليكن لي يا الهي
من لساني شاهدان
صادقان

ان (١) انه بالحق فليشهد معي   او انه بالبطل فليشهد علي
واذا ما قام غيرى يدعي   يا الهي الحق في بطل وغي
فليكن سيفا لساني حده   في سبيل الحق ماض لا يهاب
لا يكف الضرب حتى ضده   ينثني عن غيه نحو الصواب

ومن رسالتهم الانسانية العالية ان لا يكون هناك جائع ومجيع وان لا يكون المال مستعبداً للناس في حال من الاحوال بحيث يصبحون اداة عمياء بين يديه قال فرحات =

يحرك الناس (٢) شيء   عن الحياة معرى
مزخوف مستدبر

مزخرف مستدير   عليه نقش وطغرا
مسنن الحرف صلب   محجر ليس يغرى
تبدو عليه سطور   تكاد باللمس تقرا
به ضمائر بعض   تباع حينا وتشرى

وقال القروى =

من (٣) حبة البر اتخذ مثل الندى   يا من قبضت عن الندى يمناكا
هي حبة اعطت عشر سنابل   لتجود انت بحبة لسواكا
حلمت بان ستكون في خبز القرى   فترافقت للموت تحت رحاكا
وكانما الشق الذى في وسطها   للفقائل نصفي يخص اخاكا

وقال امين مشرق =

أنا (٤) رقبت العنبر يبطر   راقصا حول الذهب
بطا الحق ويفخر   بالمعالي والنسب

فارقبيني

باسما قد مزق الفقر ثيابي   ذهبي قلبي وانسابي كتابي
انصر الحق على العاتي المحابي   هازئا بالظلم لا اخشى عطب

وقال ابو ماضي =

نسي الطين (٥) ساعة انه طين   حقير فصال تيها وعربد
وكسى الخز جسمه فتباهى   وحوى المال كيسه فتمرد
يا اخي لا تمل بوجهك عني   ما انا فحمة ولا انت فرقد
انت لم تصنع الحرير الذى تلبس   واللؤلؤ الذى تتقلد
الى قوله = ايها المزدهي أان مسك السقم   الا تشتكي الا تتنهد

---

(١) همس الجفون ص٣ (٢) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٢٠١ (٣) العصبة ص٦٦ سنة ٣ عدد ممتاز (٤) بلاغة العرب في القرن العشرين ص ٢٣٧ (٥) مجموعتي الشعرية ص ٤٧ نقلا عن الجداول .

وقال نسيب عريضه =

يا اخي (١) يا اخي المصاعب شتى — وبعيد مرادنا والموارد
وامام العيون درب عسير — لم تسر قبلنا عليها الاوابد
مظلم موحش كثير الافاعي — والسعالي المستهويات الطرائد
غير ان المسير لا بد منه — ان اردنا ادراك بعض المواعد
فلنسر في الظلام في القفر في الوحشة — في الويل في طريق المجاهد
فلنسر اعزلين الا من الحق سلاحا — والفكر حاد وقائد

ومن اثر الحركات الاشتراكية في العالم والاهتمام بامر العامل قول جبران —

" احب (٢) من الناس العامل احب الذى يشتغل بفكره فيبتدع من التربومن سديم خياله صورا حيه جميله جديدة نافعة . احب ذلك الذى يجد في حديقة ورثها عن ابيه شجرة تفاح واحده فيغرس الى جانبها شجرة ثانية الخ " على انه دعوتهم لانصاف الفقير لا تخرج عن كونها دعوة مسيحية لا اشتراكية مسيحية

وقال ابو ماضي =

قل للغني (٣) المستعز بماله — مهلا لقد اسرفت في الخيلاء
جبل الفقير اخوك من طين ومن — ماء ومن طين جبلت ومـاء
فمن القساوة ان تكون منعما — ويكون رهن مصائب وبلاء
وتظل ترفل بالحرير امامه — في حين قد امسى بغير كساء
انصر اخاك فان فعلت كفيته — ذل السؤال ومنة النجلاء

وآية القول فان الادب المهجرى كما يلاحظ ادب رسالة في الدرجة الاولى ثم هو بعد ذلك اخراج فني ومن رسالته ان يكون مطبوعا بطابع التحرر الفكرى والمناداة بحقوق الانسان على غير ما نزع الى السيف او لجوء الى الثورة . ولا يخلو الامر من تطرف احيانا . وهو في تحرره متاثر بالمجارى الفكرية والروحيه والسياسية والاقتصادية والفلسفية التي مر بها الانسان في عصوره المختلفة ولا سيما منذ الثورة الفرنسية الى ايامنا هذه . ولا يخرج في رسالته عن كونه ادبا مسيحيا يؤمن بوحدة الكون في ابوة الله الشاملة وصوفية الايمان العارمة في قول المسيح " انا في الاب والاب في " كما يؤمن بالتعاليم المسيحية من حيث معاملة الناس بالمثل والتضحية في سبيل الغير قال عبد المسيح حداد =

لماذا (٤) نعادى لماذا نصد — لماذا نسيء لماذا نخون
انظهر للغير ما لا نود — لانفسنا ان هذا جنون

وليس في قولنا هذا ما ينفي عن الادب العربي الاخر قديمه وحديثه المثل الروحية العالية التي نادى بها الفلاسفة والانبياء والمصلحون ولكن ذلك الادب لم يكن ماخوذا بفكرة الرسالة كما هو الادب المهجرى وهو مما لا شك فيه متاثر بالادب الغربي المعاصر ولا سيما الادب الامريكي والانكليزى والالماني والروسي ولعل الادب الفرنسي كان في هذا العصر اميل الى الناحية الفنية منها الى الرسالة والادب المهجرى على ما يلاحظ " ادب صادق (٥) جميل " كما يقول فيه الدكتور محمد مندور

وهو في نظره ادب مهموس " قال سميته مهموسا لا عبر عما يثيره التعبير الفرنسي "
الذى نستطيع ترجمته حرفيا ب " نصف ملفوظ " والمعنى في نفسي ليس واضحا فاقصد به الادب
الذى سلم من الروح الخطابية التي غلبت على شعرنا التقليدى منذ المتنبي وهو ادب الحياة وكانه
قطع منها تستمع الى سرها فتصدقه لان قلبك قد احس في غموض بذلك السر وجاء الشاعر يهمس اليك
فيبصرك بمكانه " والواقع ان الادب الخالد هو ذلك الادب الذى يجمع بين جمال الاخراج وروعة الايحاء
ولا بد له من ان يكون صورة نابضة للحياة . وهو الاب الهامس باسرارها ومن همسه الحب والحنين ح
وهنا لا بد لنا بعد تلك المقدمات المتداخلة بعضها ببعض من التساؤل

---

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين ٢١٦ (٢) مجلة السائح عدد ممتاز لسنة ١٩٢٥ (٣) ديوانه ج ٢ ص ٤٢ (٤) السائح العدد الممتاز لسنة ١٩٢٠ ص ٣٢ (٥) في الميزان الجديد ص ٦٥ .

عما تركه المهجر من اثر في الادب العربي عموما . وعليه نجيب ان الاثر المشار اليه كان اثرا كبيرا
بحيث لا تجد بلدا عربيا لم يعترف بفضل المهجريين على الادب العربي الحديث وان كان على
درجات متفاوتة وليس من الضرورى ان يكون التاثير بمعنى التقليد الاعمى بل حسبه ان يكون موحيا
للخلق الشخصي والعمل المستقل . ويكفي للتدليل على هذا التاثير ان يكون المنفلوطي وهو المعروف
بامير البيان في مصر تلميذا لجبران وسواه من ادباء المهجر في بعض نهجه واسلوب وحسب القارئ
الكريم هذه الشواهد التاليه = جاء في كتاب المطالعة العربية المقرر تدريسه في مدارس مصر الثانوية
بلسان لجنة من وزارة المعارف ما يلي = " اعلم (١) ان المنفلوطي تاثر في القديم بابن المقفع وابن
العميد وفي الحديث بجبران ونعيمه ولكن هذا التاثر دخل في فنه دخول الابهام والايحاء لا دخول
التقليد والاحتذاء" ومما ذكره لي الصديق احمد عبد الجبار في حديثه عن ادب الحجاز ما يقرب
من الكلام السابق ولما طلبت اليه تسجيل كلامه ارشدني الى مقالته في الادب الحجازى المنشورة في
مجلة الاديب حيث يقول =

"ولكن النثر الجازى لم ينحصر ضمن نطاق هذه الدائرة الاصلاحية فحسب بل تخطاها الى مواضيع ادبية
فنية وبحوث علميه جيدة ولقد سلك بعض الادباء طريقة الشعر النثرى فاجادوا فيه وابدعوا . واعتقد
ان زعيم الشعراء النثريين هو " عزيز ضيا " فانك لتجد عنده روحا من نثر المهجر الذى يسميه محمد
مندور " النثر المهموس " ولا يخفي صديقي عزيز ضيا ان استاذه (٢) هو جبران خليل جبران "
ومما جاء عن اثر المهجريين في الادب العربي في تونس ما يذكره الاديب زين العابدين السنوسي =
من ان اثر جبران (٣) في الادب التونسي اثر ملموس بحيث يمكننا القول ان هناك مدرسة جبرانية
في تونس . وكيف كان الحال فالاثر المهجرى في ادبنا الحديث ظاهر بحيث لا يحتاج الى دليل ولا
سيما في لبنان وسوريا . وليس في قولنا هذا ما ينفي عن المهجريين تاثرهم بادب اخوانهم في الوطن
العربي فالتاثير متبادل مشترك في كثير من الاحيان وهم جميعا متاثرون الى حد ما بالادب الغربي

الحديث . كما سبق للادب العربية فتاثرت بالادب الشرقي في الكثير من عصورها . واذا قلت الادب المهجرى فانا اعني ادب المهاجرين الشماليين في الدرجة الاولى اى ادباء امريكا الشمالية امثال جبر ن وابي ماضي ونعيمه والريحاني ويكاد يكون كل واحد منهم صاحب مدرسة مستقلة ولا سيما جبران الذى هو في نظرى زعيم المدرسة المهجرية وواضع حجر الزاوية فيها وان قصر في شعره عن اللحاق بابلي ماضي وعريضه وفوزى المعلوف وحسبه ان يكون زعيم المجددين ورافع لواء التحرر الادبي سواء في اللفظ او المعنى وكما قدر للمهجريون الشماليين ان يتركوا اثرهم في مصر والحجاز وتونس وسوريا ولبنان فقد قدر لهم ايضا ان يتركوا اثرهم في ادب اخوانهم الجنوبيين من ادباء البرازيل وغيرها من اعمال امريكا الجنوبية . واليك ما يقوله الاديب اسكندر (٤) المر في هذا الخصوص = " ويقتصر ادب هولاء غالبا على الترسل وقد نحا بعضهم طريقة جبران ونعيمه ورفاقهم من اعضاء الرابطة القلمية في نيويرك " هذا وحسب الادب المهجرى من النجاح ان يتعدى اثره البلاد العربية الى غيرها من بلاد العالم وآداب الشعوب المختلفة . فقد ترجمت بعض الكتب المهجرية الى معظم لغات العالم الحية ولاقى بعضها رواجا واعجابا .

المطالعة العربية ج ٣ ص ٣٢ (تاليف لجنة من وزارة المعارف والجامعة المصرية وهم الاساتذة ابراهيم مصطفى محمد عطيه ابراشي محمود السيد عبد اللطيف عبد المجيد الشافعي ، الدكتور عبد الوهاب عزام حامد عبد القادر ، محمد ابو بكر ابراهيم ومحمد عاطف البرقوقي) (٢) مجلة الاديب ج ١٢ سنة ٣ ص ٤٤ (٣) قادة الادب العربي الحديث ص ١٩)

) (٤) جريدة المصرى عدد (٢٩١٠ سنة ٩ ١٢ مايو سنة ١٩٤٥ .

كلمة ختام

قد يكون من الخير ان لا نتعجل في الامور قبل اوانها فنصدر احكامنا على غير ما اخذ بالحجه او الدليل فالشعر المهجرى الذى نعنى به في دراستنا هذه ليس بالشعر المستكمل شروط النمو والحياة وما اليها من شروط التطور فهو ما يزال في طوره الاول طور النشوء والارتقاء وذلك بالنسبة الى حداثة عهده . واذن فليست دراستي لهذا الشعر الا من قبيل التوجيه ولعلي قائم بدراسة اوسع في مستقبل الايام واذا قلت ان الشعر المهجرى لا يزال في طور النشوء فانما اعني بذلك ان شعراء المهجر لا يزالون في دور الاثمار وبعض الزهر لما ينعقد على ان في ازاهير الربيع وتباشير الصيف ما يبشر بموسم طيب ان شاء الله واذن فليس من الحكمة في شيء ان نتعجل في اصدار الاحكام ولا سيما اذا ما علمنا ان الشعراء الكبار من شعرائنا هناك لا يزلون يزهرون[1] ويثمرون واننا لناسف كثيرا لفقد الشاعرين المرحومين فوزى المعلوف وامين مشرق اللذين ادركهما الاجل قبل ان يدركا فصل الصيف فقد ماتا وهما في الثلاثين من العمر وما ادرانا ما يكون من امرهما لو نسأ الله في اجلهما فعاشا الى موسم الحصاد ولا سيما الاول الذى فقد الادب العربي بفقده ركنا قويا من اركان نهضته ولعلنا واجدون في شعرائنا الكبار امثال ابي ماضي وعريضه وشفيق المعلوف ونعيمه والجر وفرحات والقروى وصيدح وفي الجيل الناشيء ممن يليهم اقول لعلنا واجدون في هؤلاء وامثالهم التعزية الكبرى وحق للعرب ان تفخر بابناء لها رفعوا لواءها عاليا في بلاد لم يعلو لها علم ولا انخفضت لها راية في بلاد امرع فيها العلم واخصبت فيها الاداب والفنون وما ابعد البون بين هجرة العرب الى الاندلس في الامس وبين هجرة العرب الى العالم الجديد اليوم فقد انتقل هولك الى بلاد يغشاها الظلم وتسود فيها الفوضى وانتقل هولاء الى بلاد تغمرها الحرية ويدعم صروحها العلم اولئك انتقلوا الى بلاد تكثر فيها الاضطرابات ويعمها الخراب وهولاء انتقلوا الى بلاد يسود فيها الامن وتعمر بناطحات السحاب بعد ان عاشوا في ظل دولة عرفت بالجهل والاضطراب واذن فليس عجيبا ان يرحل هولاء الى العالم الجديد ولا يفيدوا من عمرانه وفنونه وعلومه شيئا بل العجيب ان لا يفيدوا من كل شيء ويأخذوا بكل جديد .

وديع امين ديب

---

[1] عند طبعي هذا الكتاب سأضيف اليه ملحقا خاصا يشمل نماذج لامثلة لمختلف شعراء المهجر وفي ذلك سبيل للتعرف بنا ... ادبي شرقا صحيحا كاملا .

الفهرس العام